القضايا الدعوية في باكستان وتحليلها من منظور رسائل النور لسعيد النورسى

(دراسة وصفية)

Dawah Challenges in Pakistan and Their Analysis from the Perspective of Said Nursi's Resile Noor

البحث التكميلي لمتطلبات الحصول علي درجة الماجستير

الباحث

أسامه حيات

رقم التسجيل:60-MPhil/IS/F23

قسم الفكر والثقافة الإسلامية

كلية العلوم الإجتماعية

الجامعة الوطنية للّغات الحديثة

أغستس 2025ء

القضايا الدعوية في باكستان وتحليلها من منظور رسائل النور لسعيد النورسى

(دراسة وصفية)

Dawah Challenges in Pakistan and Their Analysis from the Perspective of Said Nursi's Resile Noor

الباحث:

أسامه حيات

ماجستير الفلسفة

رقم التسجيل: 60-MPhil/IS/F23

الإشراف:

د. سعيد أحمد

محاضر

الجامعة الوطنية للّغات الحديثة

قسم الفكر والثقافة الإسلامية

كلية العلوم الإجتماعية

الجامعة الوطنية للّغات الحديثة

العام الدراسي 2023ء–2025ء

© أسامه حيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منظوری فارم برائے مقالہ ودفاع مقالہ

(Thesis and Defense Approval Form)

زیر دستخطی تصدیق کرتے ہیں کہ انہوں نے یہ مقالہ پڑھا اور مقالہ کے دفاع کو جانچا ہے، وہ مجموعی طور پر امتحاتی کارکردگی سے مطمئن ہیں اور فیکلٹی آف سوشل سائنسز کو اس مقالے کی منظوری کی سفارش کرتے ہیں۔

مقالہ بعنوان: **القضايا الدعوية في باكستان وتحليلها من منظور رسائل النور لسعيد النورسی**

Dawah Challenges in Pakistan and Their Analysis from the Perspective of Said Nursi's Resile Noor

نام ڈگری: ایم فل علوم اسلامیہ

نام مقالہ نگار: اسامہ حیات

رجسٹریشن نمبر: MPhil/IS/F23-60

ڈاکٹر سعید أحمد _____

(نگران مقالہ) نگران مقالہ کا دستخط

ڈاکٹر ریاض أحمد سعید _____

(صدر شعبہ علوم اسلامی فکر وثقافت) دستخط صدرِ شعبہ اسلامی فکر وثقافت

پروفیسر ڈاکٹر محمد ریاض أحمد شاد _____

(ڈین فیکلٹی آف سوشل سائنسز) دستخط ڈین فیکلٹی آف سوشل سائنسز

تاریخ _____

حلف نامہ

(Candidate Declaration Form)

میں اسامہ حیات رولنمبر MP-IS-F23-359 طالب شعبہ ،ایم فل علوم اسلامیہ نیشنل یونیورسٹی آف ماڈرن لینگویجز اسلام آباد حلفاً اقرار کرتا ہوں کہ

مقالہ بعنوان: **القضايا الدعوية في باكستان وتحليلها من منظور رسائل النور لسعيد النورسي**

Dawah Challenges in Pakistan and Their Analysis from the Perspective of Said Nursi's Resile Noor

ایم فل علوم اسلامیہ کی ڈگری کی تکمیل کے سلسلہ میں پیش کیا گیا ہے، ڈاکٹر سعید اُحمد کی نگرانی میں تحریر کیا گیا ہے، راقم ایم فل کا اصل کام ہے اور یہ کہ مذکورہ کام نہ تو کہیں اور جمع کروایا ہے، نہ ہی پہلے سے شائع شدہ ہے اور نہ ہی مستقبل میں کسی بھی ڈگری کے حصول کے لیے کسی یونیورسٹی یا ادارے میں میری طرف سے پیش کیا جائے گا۔

نام مقالہ نگار: اسامہ حیات

دستخط مقالہ نگار: _____

نیشنل یونیورسٹی آف ماڈرن لینگویجز، اسلام آباد

Abstract

This research explores the critical challenges facing Da'wah (Islamic preaching) in Pakistan and seeks to analyze them through the visionary lens of Risale-i Nur by Said Nursi. The importance of this study stems from the rise of sectarianism, extremism, cultural westernization, and religious misinterpretation, which threaten social harmony and spiritual authenticity. In this context, Said Nursi's Qur'an-centered, peaceful, and intellectually grounded approach offers valuable insights for addressing these multifaceted issues. The study aims to identify and classify contemporary Da'wah-related problems in Pakistan, understand their root causes, and provide strategic solutions based on Nursi's teachings. The rationale lies in the compatibility between the Turkish context in which Nursi worked and the socio-religious dynamics of Pakistan today. Using a descriptive and analytical methodology, the research examines classical Islamic texts, Risale-i Nur, and Pakistani case studies across four comprehensive chapters. The study concludes that Nursi's balanced and non-political approach is highly effective for contemporary Da'wah. His emphasis on reason, Qur'anic revivalism, and spiritual ethics can help reform Pakistani religious discourse and practice. Major recommendations include adopting Nursi's methodology in religious education, enhancing Da'wah worker training, and contextualizing his thought in Urdu to revive a constructive and inclusive Islamic culture in Pakistan.

Keywords: Da'wah, Nursi, Pakistan, Reform, Qur'an, Extremism, Sectarianism, Spirituality, Education, Peace.

ملخص المقالة

يتناول هذا البحث التحديات الدعوية الكبرى التي تواجه المجتمع الباكستاني، ويسعى إلى تحليلها من خلال رؤية الإمام بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) كما تجلّت في رسائل النور. وتكمن أهمية هذه الدراسة في واقع باكستان المعاصر الذي يشهد تصاعدًا في الطائفية الدينية، والتطرف الفكري، والتغريب الثقافي، وسوء فهم النصوص الدينية، مما يؤدي إلى تهديد وحدة المجتمع وصفائه الروحي. وفي هذا السياق، يقدّم المنهج القرآني، السلمي، والعقلي المتوازن الذي تبنّاه سعيد النورسي (رحمه الله) نموذجًا فكريًا وعمليًا يمكن الإفادة منه في مواجهة هذه القضايا المتشابكة. يهدف البحث إلى رصد وتصنيف المشكلات الدعوية المعاصرة في باكستان، والكشف عن جذورها الفكرية والاجتماعية، ثم تقديم حلول استراتيجية مستمدة من تعاليم سعيد النورسي، مع الأخذ في الاعتبار التشابه بين الواقع التركي الذي عايشه النورسي والبيئة الدينية والاجتماعية في باكستان اليوم. وقد اعتمد البحث في منهجيته على الدراسة الوصفية والتحليلية، من خلال الرجوع إلى المصادر الإسلامية الكلاسيكية، ورسائل النور، ودراسة حالات واقعية من المجتمع الباكستاني، وذلك في أربعة أبواب رئيسية. وتوصلت الدراسة إلى أن المنهج المتزن واللاعُنفي الذي انتهجه النورسي يُعدّ من أكثر المناهج ملاءمة لمعالجة قضايا الدعوة المعاصرة، حيث يؤكد على إحياء القرآن الكريم، والعقلانية المتزنة، والأخلاق الروحية، مما يساهم في إصلاح الخطاب والممارسة الدينية في باكستان. ومن أبرز التوصيات التي خرج بها البحث: ضرورة تبني منهج النورسي في التعليم الديني، وتطوير برامج تدريب الدعاة، وترجمة أفكاره إلى اللغة الأردية، بما يسهم في إحياء ثقافة إسلامية بنّاءة وشاملة في المجتمع الباكستاني.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، النورسي، باكستان، الإصلاح، القرآن، التطرف، الطائفية، الروحانية، التعليم، السلام

فهرس المحتويات

Abstract ..... **III**

ملخص المقالة ..... **IV**

فهرس المحتويات ..... **V**

كلمة الشكر ..... **IX**

إِهْدَاءٌ ..... **X**

الباب الاول: التعريف بسعيد النورسي (رحمه الله) و عصره ورسائله **1**

المقدمة **2**

الفصل الأول: حياة سعيد النورسي (رحمه الله) وأحوال عصره **8**

المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته..... 9

المبحث الثاني: طلبه للعلم..... 12

المبحث الثالث: رحلاته ومشاركاته العلمية والدعوية..... 14

المبحث الرابع: سجن الشيخ ونفيه ومعاناته 16

المبحث الخامس: الأحوال السياسية في الدولة العثمانية..... 18

المبحث السادس: الحرب العالمية الأولى وما بعدها..... 19

المبحث السابع: تأسيس الجمهورية التركية الحديثة..... 21

المبحث الثامن: الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية..... 23

الفصل الثالث: التعريف برسائل النور **26**

المبحث الأول: منشأ الرسائل وأسباب تأليفها 27

المبحث الثاني: الهيكل العام والمكونات الأساسية للسلسلة 29

المبحث الثالث: أسلوب النورسي اللغوي والبياني في الرسائل..... 31

المبحث الرابع: أثر الرسائل في المجتمع التركي والعالمي 32

الفصل الرابع: منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في رسائل النور **35**

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية والعقدية لمنهجه..... 36

المبحث الثاني: الأسس التربوية والإصلاحية في مشروعه..... 37

المبحث الثالث: المعالجة الفكرية للمشكلات المعاصرة 40

المبحث الرابع: سمات المنهج الجدلي والحوار الهادئ 42

الباب الثاني: منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الدعوة 45

الفصل الاول:التعريف بالدعوة وأصولها.....46

المبحث الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً 47

المبحث الثاني: أهمية الدعوة في القرآن والسنة 51

المبحث الثالث: مقاصد الدعوة الإسلامية 54

المبحث الرابع: خصائص الدعوة الإسلامية..... 58

المبحث الخامس: أصول الدعوة الأساسية 61

الفصل الثاني: أساليب الدعوة في رسائل النور 66

المبحث الأول: التعريف برسائل النور ومكانتها في ميدان الدعوة..... 67

المبحث الثاني: الأساليب الفكرية في الدعوة 68

المبحث الثالث: الأساليب التربوية في رسائل النور..... 70

المبحث الرابع: الأساليب العملية والسلوكية..... 73

المبحث الخامس: الوسائل الدعوية الحديثة في رسائل النور..... 75

الفصل الثالث:منهج سعيد النورسي (رحمه الله) فى الدعوة.....78

المبحث الأول: المرتكزات الأساسية في منهجه الدعوي 79

المبحث الثاني: سمات منهج سعيد النورسي..... 81

المبحث الثالث: التحديات التي واجهها في دعوته..... 83

المبحث الرابع: أثر منهجه في المجتمع التركي والعالم الإسلامي 85

المبحث الخامس: تقويم منهجه الدعوي وإمكانية الاستفادة منه..... 86

الباب الثالث: القضايا الدعوية في باكستان 89

الفصل الاول:الطائفية الدينية والصراعات السياسية 90

المبحث الأول: جذور الطائفية الدينية في باكستان..... 91

المبحث الثاني: أثر الطائفية على وحدة الصف الدعوي..... 93

المبحث الثالث: العلاقة بين الصراع السياسي والانقسام المذهبي 95

المبحث الرابع: الغزو الفكري ومظاهره في باكستان..... 97

المبحث الخامس: أثر الفكر الغربي على الوعي الديني..... 98

المبحث السادس: مفهوم العنف الديني وجذوره في باكستان 100

المبحث السابع: آثار العنف الديني على الدعوة.....102

المبحث الثامن: البدائل الدعوية السلمية في مواجهة العنف.....104

الفصل الثانى: الأخطاء المنهجية في أسلوب الخطاب 107

المبحث الأول: التركيز على الشكل دون المضمون.....108

المبحث الثاني: الخطاب الإقصائي والعدائي 110

الفصل الثالث: الانغماس في التصوف الابتداعي 113

المبحث الأول: مفهوم التصوف الحقيقي والتصوف المنحرف 114

المبحث الثاني: انتشار التصوف المبتدع في باكستان 116

المبحث الثالث: أثر التصوف المنحرف على الدعوة الإسلامية 118

الفصل الرابع: أثر التغريب على الجيل الجديد (الشباب والمرأة) 121

المبحث الأول: مظاهر التغريب الثقافي والفكري في الجيل الجديد.....122

المبحث الثاني: المرأة الباكستانية بين الحداثة والهوية الإسلامية.....124

المبحث الثالث: التحديات الدعوية مع الجيل المعاصر 126

الباب الرابع: تحليل القضايا الدعوية في باكستان من منظور فكر سعيد النورسي 128

الفصل الاول: تجديد صلة المسلمين بالقرآن الكريم.....129

المبحث الأول: أهمية القرآن في فكر سعيد النورسي.....130

المبحث الثاني: ضعف الارتباط مع القرآن في الباكستان 132

المبحث الثالث: ربط المجتمع الباكستاني بالقرآن على ضوء منهج النورسي.....134

الفصل الثاني: التوجيه والارشاد بالمنهج السليم.....137

المبحث الأول: المنهج الدعوي عند النورسي: السِّلم، اللين، والبعد عن الجدل 138

المبحث الثاني: واقع الخطاب الدعوي في باكستان 140

المبحث الثالث: تفعيل منهج النورسي في الإرشاد في البيئة الباكستانية.....142

الفصل الثالث: تحليل ضعف الأسلوب الخطابي وتجديده 146

المبحث الأول: ملامح الأسلوب الخطابي عند سعيد النورسي.....147

المبحث الثاني: مظاهر جمود الخطاب الديني في باكستان.....149

المبحث الثالث: تجديد الخطاب الديني على هدي رسائل النور 152

الفصل الرابع: تحليل الانقسامات والعنف والتصوف البدعي والتغريب وتقديم الحلول الدعوية 155

المبحث الأول: مبدأ النصح الشامل في فكر النورسي 156
المبحث الثاني: مظاهر الشقاق والعنف في الواقع الباكستاني 159
المبحث الثالث: البدائل السلمية في ضوء فكر النورسي 161
المبحث الرابع: موقف النورسي من التصوف المشروع 163
المبحث الخامس: الغلو في التصوف في باكستان 165
المبحث السادس: إعادة تأهيل التصوف في ضوء فكر النورسي 167
المبحث السابع: مفهوم التغريب في منظور النورسي 170
المبحث الثامن: مظاهر التغريب بين شباب باكستان 172
المبحث التاسع: حلول نورية لتحصين الأجيال 174

خلاصة البحث 177

نتائج البحث 179

التوصيات 181

الفهارس 182

فهرس الآيات القرآنية 183

فهرس الأحاديث النبوية 185

فهرس الأعلام 186

فهرس الأماكن 188

قائمة المصادر والمراجع 189

كلمة الشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فالحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تنجز المقاصد والغايات. له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمداً يوافي نعمَه ويكافئ مزيده، على ما منَّ به من التيسير والإعانة في إنجاز هذا البحث المتواضع. ثم أُقدِّم أتمَّ الصلوات والتسليمات على حبيبنا وشفيعنا ورسولنا محمدٍ ﷺ، الذي كان منارًا للتوحيد والهداية، ورحمةً للعالمين، وفخرًا للمسلمين أجمعين. أتوجه بخالص الدعاء وعظيم الامتنان إلى والديّ الكريمين، اللذَين كانا بعد الله عز وجلّ سببًا فيما أنا فيه من توفيقٍ وفضل، فقد رباني صغيرًا، ودعماني كبيرًا، وأحاطاني بدعائهما وصبرهما وتشجيعهما. فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأمدّ في عمرهما على الطاعة، ورفع درجتهما في الدنيا والآخرة.

فإنه لمن دواعي سروري أن أتقدم بأصدق عبارات الامتنان والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور سعيد أحمد مشرفي الكريم، الذي لم يألُ جهداً في توجيهي وإرشادي طوال رحلة إعداد هذا البحث. فبفضل نصائحه القيمة وتصويباته الدقيقة، تمكنت من إكمال هذا العمل. فله مني جزيل الشكر وعظيم التقدير.

كما لا يفوتني أن أعبر عن خالص امتناني لأساتذتي الأفاضل في قسم الفكر والثقافة الإسلامية بكلية العلوم الاجتماعية في الجامعة الوطنية للغات الحديثة، الذين أغدقوا عليّ بعلمهم ومعرفتهم خلال سنوات الدراسة. وأخص بالشكر إدارة الجامعة والمكتبة المركزية على ما وفرته من مراجع علمية وإمكانيات بحثية ساهمت في إثراء هذا العمل. ولا أنسى زملائي الأعزاء الذين كانوا عوناً لي في المناقشات العلمية، وأفراد عائلتي الكرام الذين وقفوا إلى جانبي بالدعم المعنوي والتحفيز المستمر.

وأخيراً، أرفع أسمي آيات الشكر لله تعالى الذي هداني وسدد خطاي، وأسأله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله نافعاً لطلاب العلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

الباحث

أسامة حيات

إِهْدَاءٌ

إِلَى مَنِ انْبَسَطَتْ بِعِلْمِهِمْ صُحُفُ الْوُجُودِ،

وَإِلَى مَنْ فَتَحُوا لِي أَبْوَابَ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ:

أُهْدِي هَذَا الْعَمَلَ الْمُتَوَاضِعَ:

إِلَى أَسَاتِذَتِيَ الْأَفَاضِلِ، الَّذِينَ أَشْرَقُوا عَلَى عَقْلِي بِنُورِ الْعِلْمِ، وَرَافَقُونِي بِحِكْمَتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ فِي رِحْلَةِ الْبَحْثِ وَالِاكْتِشَافِ.

وَإِلَى وَالِدَيَّ الْعَزِيزَيْنِ، اللَّذَيْنِ بَذَلَا الْغَالِيَ وَالنَّفِيسَ لِتَرْبِيَتِي وَتَعْلِيمِي، وَكَانَا خَيْرَ سَنْدٍ وَدَعْمٍ فِي كُلِّ مَرَاحِلِ حَيَاتِي.

رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ عَمَلًا مُبَارَكًا نَافِعًا،

وَأَنْ يَتَقَبَّلَهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ فِي مَوَازِينِ حَسَنَاتِهِمْ

الباب الاول: التعريف بسعيد النورسي (رحمه الله) و عصره ورسائله

الفصل الأول: حياة سعيد النورسي (رحمه الله) وأحوال عصره

الفصل الثالث: التعريف برسائل النور

الفصل الرابع: منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في رسائل النور

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

التعريف بالموضوع

تعد أعمال الإمام بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) من أبرز الإسهامات الفكرية والإصلاحية في التاريخ الإسلامي الحديث، إذ تجسدت في أفكاره رؤية شاملة للإسلام وتعاليمه قائمة على الفهم العميق للقرآن الكريم والسنة النبوية، ومواجهة تحديات الواقع بفكر متجدد ومنهج سلمي. ولد النورسي في ظروف تاريخية دقيقة، حيث كانت الأمة الإسلامية ترزح تحت أثقال الاستعمار والصراعات السياسية والأزمات الفكرية التي هددت الهوية الإسلامية والقيم الأخلاقية، مما زاد من أهمية جهوده في الإصلاح والدعوة. [1].

في هذا السياق العصيب، تميز النورسي بتقديم منهج سلمي متزن في الدعوة إلى الله تعالى، قائم على الموازنة بين البرهان العقلي والإقناع الروحي، وبين المراعاة لحال المجتمع وواقع الفرد، بعيدا عن التصادم والعنف، وقريبا من قلوب الناس وعقولهم. وفي "رسائل النور" التي ألفها، عرض بيانا عقديا عميقا، وتحليلا دقيقا لقضايا الإيمان والعبادة والجهاد الروحي، وبين ضرورة تجديد الروح الإيمانية في حياة المسلمين. [2].

تبرز رسائل النور أهمية العودة إلى أصول الإسلام وجوهره النقي، وتؤكد على تعزيز القيم الأخلاقية والروحية في مواجهة المادية واللادينية، وتبين أن الإسلام ليس مجموعة من الطقوس والشعائر فقط، بل هو نظام حياة شامل يهدف إلى بناء مجتمع متماسك ومتوازن. [3].

ويسعى هذا البحث إلى تحليل تحديات الدعوة التي تواجه المجتمع الباكستاني المعاصر، وذلك باستقراء أهم المشكلات التي تؤثر في الهوية الدينية والثقافية لهذا المجتمع، مثل الطائفية الدينية والصراعات السياسية وأثرها على وحدة المجتمع، وانتشار الغزو الفكري وتأثيره على القيم والثقافة، إلى جانب معالجة الأخطاء المنهجية في أسلوب الخطاب الدعوي والتي قد تضعف أثر الرسالة وتسبب سوء فهم النصوص.

كذلك يتناول البحث ظاهرة التصوف البدعي ودورها في تشويه مفاهيم الدين، ويسلط الضوء

---

1 . النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية (شركة سوزلر للنشر، الطبعة السابعة 2013م) ص:596-601

2 . النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الاسلام (شركة سوزلر للنشر، الطبعة السابعة 2013م) ص:27-52

3 . النورسي، بديع الزمان سعيد، المعات (شركة سوزلر للنشر، الطبعة السابعة 2013م) ص:72-86

على العنف الديني وآثاره السلبية في زعزعة استقرار المجتمع، ويبين تأثير التغريب على الجيل الجديد، وخصوصا فئة الشباب والنساء، وما ينجم عن ذلك من ضعف الهوية الإسلامية.

وبتحليل هذه التحديات، يسعى البحث إلى تقديم رؤية إصلاحية تعتمد على المنهج السلمي الذي دعا إليه النورسي، من خلال تجديد الصلة بالقرآن الكريم، وتطوير أساليب الإرشاد والتبليغ والخطاب الديني بما يتناسب مع حال المجتمع وضوابط الشريعة، وإزالة أسباب التشقق والعنف، وتنقية الممارسات الدينية من البدع والمخالفات، وتحصين الأجيال الجديدة من التيارات الهدامة التي تسعى لضعف هويتهم الدينية والثقافية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

يتناول هذا البحث القضايا الدعوية المعاصرة التي تواجه المجتمع الباكستاني، والتي تشمل الطائفية الدينية والصراعات السياسية، والانقسام الفكري، والأخطاء المنهجية في الخطاب الديني، والعنف الديني، بالإضافة إلى التأثير المتزايد لموجات التغريب على الجيل الجديد، خاصة الشباب والمرأة. وتنبع أهمية هذا البحث من الحاجة الملحة لفهم هذه التحديات وتحليلها، والبحث عن سبل إصلاحية لمعالجتها، وذلك في ضوء فكر المفكر الإسلامي سعيد النورسي.

يمثل فكر النورسي إطارًا عميقًا لتحليل القضايا الدعوية، فهو يدعو إلى تجديد الصلة بالقرآن الكريم، وتبني أساليب دعوية قائمة على الحكمة والإرشاد السليم، وتنقية الممارسات الدينية من التصورات البدعية والخرافات. وبالاعتماد على هذا الإطار، يسعى البحث إلى تقديم حلول شاملة، تتجاوز جوانب القصور في الخطاب الديني الحالي وتؤكد على أهمية تعزيز وحدة المجتمع وتماسكه. وبذلك، يهدف البحث إلى بناء هوية إسلامية قوية ومتجددة في باكستان، قادرة على الصمود إمام التحديات الفكرية والتأثيرات الخارجية، مع الحفاظ على قيمها الأصيلة وتقاليدها الراسخة.

الدراسات السابقة

تعددت الدراسات التي تناولت شخصية الإمام بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) ورسائل النور، حيث تناول الباحثون منهجه الفكري والدعوي من زوايا متعددة، إلا أن معظم هذه الدراسات لم تتعرض بشكل تطبيقي للقضايا الدعوية في باكستان على ضوء فكره، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته. ويمكن تصنيف الدراسات السابقة إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: المنهج الدعوي عند سعيد النورسي

تناولت هذه الدراسات الأبعاد الفكرية والمنهجية في دعوة النورسي، مع التركيز على المبادئ

والأساليب العامة للدعوة.

أطروحة:

- إبراهيم لملم، المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) من خلال رسائله، جامعة الحاج لخضر، 2010م. تناول بشكل خاص الرسائل العقائدية مثل رسائل الإيمان والقرآن.

تناول فيها أصول الدعوة عند النورسي مثل بناء الأمة، تجديد الصلة بالقرآن، غرس محبة النبي ﷺ، تأسيس المؤسسات التعليمية، ومحاربة اليأس.

بحوث ومقالات:

- شنوف سميحة/عاشوري سماح، قضايا الدعوة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، الجزائر، 2020م. ركزتا على الرسائل الاجتماعية والتربوية دون التعرض للقضايا الدعوية في البيئات الخارجية
- ذو الكفل هادي إيمان، عوامل انتصار الدعوة الإسلامية عند بديع الزمان سعيد النورسي، The journal of Risale-i Nur Studies، 2022م. مجلد 5، العدد 2، 2022م
- هذه الدراسات تركز على المبادئ النظرية للدعوة، دون إسقاط تطبيقي على مجتمعات أخرى كالمجتمع الباكستاني. غير أنها لم تحدد درجات الرسائل بدقة، بل تناولتها بصورة عامة.

المحور الثاني: الفكر الإصلاحي والجهاد السلمي في رسائل النور

ركزت هذه الدراسات على مفاهيم الإصلاح الديني والجهاد السلمي، وبيان موقف النورسي من الصراع الفكري والعسكري.

مقالات:

- شكران وحيدة، بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) ومفهوم الجهاد في العصر الحديث، النور للدراسات الحضارية والفكرية، 2017م.
- محمد مصطفى محمد صالح، الفكر الإصلاحي للإمام بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) ودوره في ترسيخ الإيمان بالله، The journal of Risale-i Nur Studies، 2023م. مجلد 6، العدد 1، 2023م.

- تسلط هذه الدراسات الضوء على فكر النورسي الإصلاحي في السياق التركي، دون التوسع في تطبيق هذا الفكر في البيئات المختلفة كالسياق الباكستاني.

المحور الثالث: المواقف السياسية والاجتماعية للنورسي وتأثيره على المجتمع التركي

تطرقت بعض الدراسات إلى مواقف النورسي السياسية والاجتماعية وعلاقته بالجمعيات والمنظمات الإسلامية.

مقالات:

- أحمد آجار، الإمام بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) وعلاقته بجمعية الاتحاد المحمدي، The journal of Risale-i Nur Studies، 2024م.
- أحمد نوري النعيمي، أثر بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) على الفكر الإسلامي المعاصر في تركيا، مجلة العلوم السياسية.
- آزاد سعيد سمو، تصدي العلماء للفكر الإلحادي في تركيا الحديثة: سعيد النورسي (رحمه الله) نموذجاً، مجلة كلية العلوم الإسلامية.
- هذه الدراسات ركزت على الأوضاع الداخلية في تركيا ولم تدرس امتداد فكر النورسي في المجتمعات الإسلامية الأخرى.

المحور الرابع: العمل التربوي والاجتماعي في رسائل النور

ناقشت هذه الدراسات أثر رسائل النور في بناء العمل الجماعي والمؤسسي.

مقالات:

- محمود عبدالنبي شوش، أثر منهج التربية عند بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) في العمل الجماعي المؤسسي ووحدة الأمة، The Journal of Mesopotamian.
- تناولت الدراسة البعد التربوي والاجتماعي لرسائل النور في توحيد الأمة، ولكنها بقيت ضمن الإطار التركي.

الفرق بين دراستي والدراسات السابقة

تُركّز الدراسات السابقة على تحليل فكر الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) في الإطار التركي أو في سياق عام للدعوة الإسلامية، حيث بحثت في المنهج الدعوي، الإصلاح الديني، الجهاد السلمي، والمواقف السياسية والاجتماعية للنورسي. ومع ذلك، لا توجد دراسة متخصصة تناولت القضايا الدعوية

في باكستان وتحدياتها المعاصرة، مع تحليلها في ضوء رسائل النور وتطبيق فكر النورسي عمليًا على الواقع الباكستاني الذي يعاني من الطائفية، العنف الديني، الفكر التغريبي، وانحراف الخطاب الدعوي.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، إذ تسعى إلى سد هذه الفجوة البحثية من خلال دراسة تطبيقية لفكر النورسي على المجتمع الباكستاني، وبيان كيفية استفادة الدعاة هناك من هذا الفكر الوسطي المعتدل في مواجهة التحديات الدعوية والفكرية والاجتماعية المعاصرة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة هذا البحث في التحديات المتعددة التي تواجه القضايا الدعوية في المجتمع الباكستاني، والتي تتضمن انتشار الطائفية الدينية، وتزايد الصراعات السياسية ذات البُعد الديني، وظهور الفكر البدعي في التصوف، إضافةً إلى العنف الديني وتأثير التغريب على فئة الشباب والمرأة. تفاقم هذه القضايا من حالة الانقسام والتشويش الفكري، وتضعف من قدرة الخطاب الدعوي على إيصال الرسالة الدينية بوضوح وفعالية. وتزداد هذه المشكلة تعقيدًا في ظل غياب أساليب دعوية منهجية قائمة على فهم عميق ومتجدد للإسلام، ما يجعل المجتمع أكثر عرضة للتأثيرات الخارجية والأفكار المغايرة للهوية الإسلامية. من هنا، يسعى البحث إلى استقصاء هذه التحديات وتحليلها وفق منظور فكري مستنير من فكر سعيد النورسي، سعيًا لتقديم حلول دعوية إصلاحية تسهم في مواجهة هذه القضايا وبناء مجتمع إسلامي متماسك ومتجدد، يحافظ على هويته وثوابته.

أهداف البحث

1. تحليل "رسائل النور" لاستكشاف منهج سعيد النورسي (رحمه الله) وأصول دعوته، وفهم الأساليب التي وظفها في نشر الدعوة الإسلامية لمواجهة تحديات عصره.
2. استقصاء القضايا الدعوية المعاصرة في المجتمع الباكستاني، مثل الطائفية الدينية، والانقسام الفكري، والعنف الديني، وتأثير التغريب، وتحديد أثر هذه القضايا على تماسك المجتمع الإسلامي.
3. اقتراح حلول مستمدة من فكر سعيد النورسي (رحمه الله) لمعالجة القضايا الدعوية في باكستان، من خلال تعزيز منهج دعوي يركز على الارتباط بالقرآن الكريم، واتباع أسلوب دعوي حكيم يتجنب العنف ويدعم الوحدة المجتمعية.

تساؤلات البحث

1. ما الأساليب والمنهجيات التي اعتمدها سعيد النورسي (رحمه الله) في "رسائل النور" لتحقيق

أهدافه الدعوية؟

2. ما هي أبرز التحديات الدعوية التي تواجه المجتمع الباكستاني اليوم، وكيف تؤثر على استقراره وتماسكه؟
3. كيف يمكن الاستفادة من منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في مواجهة هذه التحديات، وتقديم حلول تعزز الهوية الإسلامية وتحمي المجتمع الباكستاني من التأثيرات السلبية؟

منهج البحث

ومن حيث المنهج، فقد اتبعتُ المنهج الوصفي التحليلي والإطلاقي للكشف عن أبرز النقاط والمرتكزات والأسس التي اعتمد عليها النورسي في تحليل القضايا المعاصرة واستخلاص منهجيته من رسائل النور.

1. وقد استفدتُ من المصادر الأصلية في دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية و رسائل النور لسعيد النورسي (رحمه الله) (جميع أجزائها: العقائدية، التربوية، الاجتماعية).
2. وتعرضتُ في أصل المادة إلى رسائل النور والكتب الأخرى في الموضوع.
3. ورجعتُ أيضاً إلى المراجع الثانوية من التفاسير وشروح الأحاديث والكتب الأخرى حسب الضرورة.
4. واستخدمتُ أدوات البحث الحديثة مثل (الإنترنت، والبرمجيات).
5. واعتمدتُ في الكتابة على التنسيق المعتمد لدى جامعة NUML.

الفصل الأول: حياة سعيد النورسي (رحمه الله) وأحوال عصره

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته

المبحث الثاني: مراحل تعليمه وطلبه للعلم

المبحث الثالث: رحلاته ومشاركاته العلمية والدعوية

المبحث الرابع: سجن الشيخ ونفيه ومعاناته

المبحث الخامس: الأحوال السياسية في الدولة العثمانية

المبحث السادس: الحرب العالمية الأولى وما بعدها

المبحث السابع: تأسيس الجمهورية التركية الحديثة

المبحث الثامن: الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية

تمهيد

تُعَدُّ دراسةُ الترجمة الذاتية للعلماء و المتجددين من أبرز المفاتيح المنهجية لفهم مؤلفاتهم ومواقفهم الفكرية والدعوية. فمعرفة البيئة التي نشأ فيها المفكر أو الداعية تُسهم بدرجة كبيرة في تشكيل مكانه و انجاهأته، كما أن المحن والتجارب الشخصية تُلقي بظلالها على طبيعة تعامله مع النصوص الشرعية والواقع المجتمعي. ولذلك، فإن دراسة سيرة الشيخ سعيد النورسي (رحمه الله) تُعد مدخلاً لا غنى عنه لفهم رسائل النور، ومعرفة الدوافع التي حفّزته على إنجاز مشروعه الفكري والدعوي، خصوصًا في ظل التحولات السياسية والدينية الكبرى التي شهدتها الدولة العثمانية ثم الجمهورية التركية.

لقد نبّه كبار العلماء والأصوليين إلى أهمية قراءة النصوص في ضوء الواقع الاجتماعي والمؤثرات الشخصية لأصحابها. ولهذا، كان علم "الرجال" و"الطبقات" في التراث الإسلامي أحد الشواهد الدالة على إدراك العلماء لأهمية الخلفية الشخصية في تشكيل الرأي والاجتهاد. وما سعيد النورسي (رحمه الله) إلا واحد من أولئك الذين تفاعلوا بعمق مع بيئتهم، فانعكست معاناته وتجربته في السجن والمنفى على أسلوبه في الدعوة، واختياره للكلمة اللينة والأسلوب التربوي بدلاً من العنف أو المواجهة السياسية [1].

ومن هذا المنطلق، فإن إهمال دراسة الترجمة الشخصية لأي مفكر قد يؤدي إلى قراءة مبتورة أو مجتزأة لتراثه، بل ربما تقود إلى إساءة فهم مقاصده الفكرية والدعوية. فمثلاً، لا يمكن فهم فكر الإمام الغزالي دون التوقف عند أزمته الروحية في كتابه "المنقذ من الضلال"، ولا يمكن إدراك أبعاد مشروع ابن تيمية الإصلاحي دون التطرق إلى محنته السياسية والدينية. وبالمثل، فإن دراسة حياة سعيد النورسي (رحمه الله) تُتيح للباحثين رؤية شاملة عن مشروع رسائل النور في محبط الزماني والمكاني، مما يجعل الفصل الأول في هذه الرسالة أساسًا لفهم باقي الفصول.

المبحث الأول: نسبه ومولده ونشأته

إنّ دراسة سيرة العلماء و المتجددين، وخصوصاً في جوانبها الشخصية كالنسب والمولد والنشأة، ليست ترفاً تاريخياً، بل هو مفتاح أساسي لفهم مشاريعهم الفكرية والدعوية. فإن التكوين الأولي للإنسان، من حيث بيئته الاجتماعية، وسياقه الثقافي، وملامح شخصيته في الصغر، تلعب دورًا جوهريًا في رسم معالم منهجه في التفكير والتأليف والدعوة. وفي حالة الشيخ سعيد النورسي، فإن الوقوف على تفاصيل نسبه ومولده وبيئته يُساعد على إدراك المنطلقات التي أسَّست لرسالته الإصلاحية الفريدة، ويضيء الطريق لفهم خصائص دعوته ومضامين رسائل النور التي كانت ثمرة تفاعله العميق مع محيطه وتاريخه الشخصي.

---

[1] الزركلي، خير الدين، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م) ،129/3

اسمه ونسبه

يُعرف الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) بلقب "بديع الزمان"، وهو لقب أُطلق عليه نظرًا لنبوغه وتقدّمه في العلوم منذ صغره. أما اسمه الكامل فهو: سعيد بن ميرزا بن قورقود النورسي، ويُنسب إلى قرية "نورْس" الواقعة في ولاية "بِطليس"[1] شرق الأناضول. وقد أُخذ لقبه "النورسي" من اسم هذه القرية، التي ولد فيها النورسى. يُشير بعض الباحثين إلى أن أسرته كانت تنتمي إلى أصول كردية، وكان والده من أهل التقوى والورع، وقد غرس فيه حبَّ الدين والعلم منذ نعومة أظفاره [2].

ظهر ذلك في اعتزازه بانتمائه إلى أسرته المحافظة المتدينة. ومع أن أصله العرقي لم يكن له أثر مباشر في دعوته، إلا أن شعوره بالهوية الدينية والقومية ظلّ حاضرًا في نصوصه، خاصةً عندما كان يخاطب أبناء جلدته من الكرد والترك وسائر مسلمي الأناضول. لقد ساعد هذا الانتماء على صياغة خطاب جامع يتجاوز الحدود العرقية، ويخاطب الأمة بوصفها كيانًا موحّدًا تحت راية الإسلام [3].

ويُلاحظ أن اهتمام النورسي بالنسب لم يكن من باب الفخر المجرد، بل من باب بيان الرسالة التي نشأ عليها، وهي خدمة الدين ونشر الوعي الإسلامي في أوساط الأمة التركية، التي كانت تمر بتحولات عميقة على المستوى السياسي والديني في أواخر الدولة العثمانية [4].

مولده

وُلد سعيد النورسي (رحمه الله) سنة 1293هـ الموافق 1877م في قرية "نورْس" التابعة لولاية "بِطليس" الواقعة في شرق الأناضول، وهي منطقة يغلب عليها الطابع الريفي، وكان أغلب سكانها من الأكراد المسلمين المتدينين. وتُعد هذه المنطقة من المناطق التي حافظت على تعاليم الإسلام رغم الظروف السياسية الصعبة التي مرّت بها الدولة العثمانية في ذلك الزمن [5].

فقد نشأ في بيئة لم تكن ذات مركز حضري كبير، بل في قرية بسيطة محاطة بالجبال والطبيعة، وهذا ما ساعده على التأمل منذ صغره، وأكسبه بساطة في الطبع ووضوحًا في الفهم. كما هذا الأصل الريفي جعله قريبًا من الناس العاديين، فكان يخاطبهم في كتبه بلغة سهلة وواضحة يفهمها الجميع. [6].

---

1 مدينة تاريخية في شرق تركيا، كانت مركزًا علميًا مهمًا في العهد العثماني. درس فيها النورسي على يد كبار علمائها، وتلقّى لقب "بديع الزمان" هناك.

2 النورسى، بديع الزمان سعيد، السيرة الذاتية (اسطنبول: شركة سوزلر للنشر، الطبعة السابعة 2013) ص 57-58

3 النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات (إسطنبول: سوزلر للنشر، 2004) 12/1

4 صالحى، احسان قاسم، صيقل الإسلام كليات رسائل النور (قاهرة: دار النيل 2010) ص 534

5 النورسى، سعيد، السيرة الذاتية، ص57-58

6 بكير، حسن عبد الله، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة (دمشق: دار الشهاب1421هـ/2000ء) ص 45

وقد أثّر تاريخ ميلاده على وعيه السياسي والديني، حيث عاصر سقوط الدولة العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية، ما جعله شاهدًا على أعظم التحولات التي أصابت الأمة الإسلامية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. هذا الحضور التاريخي جعله يضطلع بمهمة الإصلاح والتجديد في وقت عصيب، فكانت ولادته إذن نقطة انطلاق لعصرٍ كامل من التحديات الفكرية [1].

البيئة التي نشأ فيها

نشأ سعيد النورسي (رحمه الله) في بيئة محافظة متدينة، كان الناس فيها يتمسكون بأهداب الإسلام، ويُظهرون تعظيمًا لأهل العلم والفقهاء. وقد ساعدته هذه البيئة على حب القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، كما شجّعته أسرته على ارتياد المدارس الدينية في سن مبكرة، مما أهّله لحفظ الكثير من المتون والمقررات في سنٍ مبكر [2].

كما أن البيئة الثقافية التي نشأ فيها كانت مزيجًا من اللغة الكردية التي كانت لغة الحديث اليومي، واللغة التركية العثمانية التي كانت لغة الإدارة والدولة، واللغة العربية التي كانت لغة الدين والعلم. وهذا التعدد اللغوي أسهم في صقل شخصيته الفكرية، ومكّنه لاحقًا من مخاطبة شرائح مختلفة من المجتمع التركي والإسلامي.

ولم تكن البيئة الاجتماعية خالية من التحديات، بل أهل المنطقة يعيشون فى الفقر والجهل والاضطرابات السياسية، وقد أثرت هذه الأوضاع في تشكيل حسّ المسؤولية لديه، فانبثق منه مشروع "رسائل النور" ليكون وسيلة لإصلاح المجتمع التركي وتنوير عوامه في ظل غياب المرجعية الإسلامية بفعل سياسات التتريك[3] والتغريب [4].

ملامح ذكائه المبكر ونبوغه العلمي

ظهر نبوغ سعيد النورسي (رحمه الله) منذ نعومة أظفاره، وقد أذهل شيوخه بسرعة حفظه وفهمه العميق للمسائل المعقّدة. يُروى أنه حفظ عدداً من الكتب الدينية خلال مدة وجيزة، وكان يناقش أساتذته في مسائل دقيقة رغم صغر سنه. وقد أُطلق عليه لقب "بديع الزمان" لما لمسه فيه العلماء من ذكاء نادر و قدرة فكرية خارقة. وقد سافر في صباه إلى عدة مدن للطلب على العلماء، مثل "وان" و"بِطليس" و"ديار بكر"، وتلقى العلم على يد عدد من كبار علماء عصره. وقد كان يرفض أن يُسلِّم

---

1 النورسى، السيرة الذاتية، ص58

2 النورسي، سعيد، المكتوبات (إسطنبول: دار سوزلر، 2004) 41/1

3 التتريك هو تحويل المجتمعات المتعددة الثقافات داخل تركيا إلى مجتمع تركي صرف، مع إقصاء الهويات الدينية والعرقية الأخرى.

4 النورسى، السيرة الذاتية، ص59

بشيء دون تحقيق ونظر، وهذه الروح الناقدة والمنهج التحليلي كانا من أبرز ملامح تكوينه العلمي المبكر. وقد جمع بين العلوم النقلية والعقلية، وأبدى تفوقًا في الرياضيات والفلسفة والمنطق، مما جعله مميزًا بين أقرانه، ومؤهلاً للقيام بمشروعه الإصلاحي لاحقًا. فذكاؤه لم يكن حبيس المدرسة أو الدرس التقليدي، بل امتد ليشمل الواقع ويُحاكي مشكلاته، وهو ما بدا جليًا في رسائل النور [1].

المبحث الثاني: طلبه للعلم

يمثل التكوين العلمي والذهني في حياة المصلحين والعلماء مرحلة بالغة الأهمية في بناء شخصيتهم وتشكيل أفكارهم والدعوية. ولما كان الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) أحد أعلام النهضة الإسلامية المعاصرة، فإن دراسة مراحل تعليمه وتكوينه العلمي يكشف لنا الجذور الفكرية والمنهجية التي استند إليها لاحقًا في مشروعه الإصلاحي، ويظهر كذلك كيف استطاع الجمع بين أصالة التراث الإسلامي ومعاصرة الفكر الفلسفي الغربي.

التعليم الابتدائى

تلقى الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) تعليمه الأول في قريته "نورس"، وبرز ذكاؤه في سنّ مبكر، مما جذب انتباه العلماء المحليين. بدأ دراسته على يد الشيخ محمد أمين أفندي في قريته، حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم. ثم انتقل إلى بلدة طاغ[2] حيث درس على يد الشيخ سيدي مفتاح أفندي مبادئ الفقه الحنفي واللغة العربية.

بعدها، رحل إلى بتليس ودرس عند الشيخ فتح الله أفندي الذي أُعجب بذكائه ومنحه لقب "بديع الزمان" تقديرًا لتفوقه العلمي. هناك تعلّم الفقه الحنفي بكتابه الكنز، والنور الهدى، والنحو بكتاب الآجرومية والقطر، والبلاغة بكتاب جواهر البلاغة، والمنطق من كتاب إيساغوجي، وعلم الكلام من كتاب العقائد النسفية.

ثم واصل دراسته في مدينة سعرد[3] عند الشيخ محمد جلالي أفندي حيث أتمّ دراسة علم التفسير والحديث، وتعمق في علم المنطق والكلام. وفي فان[4] درس الفلسفة والمنطق القديم عند الشيخ حسين باشا أفندي، واطّلع على بعض الأفكار الغربية الفلسفية.

تميز أسلوبه بالجمع بين الحفظ الدقيق والفهم العميق، وكان يميل إلى النقاش والتحليل بدل

---

1 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة، ص47

2 بلدة صغيرة قرب نورس تابعة لمنطقة حيزان، قصدها النورسي لطلب العلم في صغره. لم تحظَ بشهرة كبيرة خارج السياق المحلي.

3 مدينة في جنوب شرق تركيا، اشتهرت بمدارسها الدينية في القرنين 19 و20. واصل فيها النورسي دراسة التفسير والحديث والمنطق.

4 إحدى كبريات مدن شرق الأناضول، مشهورة ببحيرتها وبأنها كانت مركزًا للثقافة والتعليم. درس فيها النورسي الفلسفة والمنطق القديم.

الحفظ الآلي. وقد حفظ خلال هذه الفترة أكثر من مئة كتاب في مدة قصيرة.

من خلال هذه الرحلات العلمية، جمع النورسي بين العلوم النقلية (القرآن، الحديث، الفقه) والعلوم العقلية (المنطق، الفلسفة، علم الكلام)، مما هيأه لدور علمي دعوي مبكر في مواجهة الشبهات الفكرية والعقائدية. [1].

اطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية والفلسفة الغربية

مع تقدمه في التعليم، لم يكتفِ سعيد النورسي (رحمه الله) بالعلوم الإسلامية التقليدية، بل اتجه إلى دراسة العلوم الطبيعية والفلسفية التي كانت تُدرس في المدارس الغربية، خاصة في الحقبة العثمانية الأخيرة. درس في الفلسفة، والرياضيات، والفلك، والفيزياء، وكان يرى أن هذه العلوم لا تتعارض مع الإسلام، بل تؤيده إذا ما قُرئت في ضوء العقيدة الصحيحة [2].

كان اطلاعه على الفكر الغربي مدفوعًا برغبته في الرد على موجات الإلحاد والماديات التي بدأت تنتشر في العالم الإسلامي، وخاصة بين المثقفين المتأثرين بالغرب. وقد قرأ أعمال فلاسفة الغرب مثل ديكارت[3] وسبينوزا[4] وروسو[5]، لكنه لم يُفتتن بها، بل اتخذ منها وسيلة لفهم فكر الخصم وإعداد الردود المحكمة عليه.

وقد انعكس هذا الاطلاع الواسع على منهجه الفكري في "رسائل النور"، حيث سعى إلى بناء خطاب يجمع بين إيمان العوام ويقين العلماء، ويخاطب أهل الفكر بلغة عقلانية تربط بين الشرع والعقل. وهذا ما جعله يتميز عن كثير من المصلحين في عصره [6].

---

1 نورسي، سعيد. سيرة ذاتية ، ص 12-25.

2 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة /45

3 فيلسوف فرنسي (1596–1650م)، يُعد مؤسس الفلسفة الحديثة، اشتهر بمنهجه الشكي العقلي، وقاعدته المشهورة: «أنا أفكر إذن أنا موجود». أسس الفلسفة العقلانية وساهم في تطوير الرياضيات والفيزياء.(Jean-Luc Marion, On Descartes' Metaphysical Prism, Yale University Press, 1999.)

4 فيلسوف هولندي (1632–1677م)، من أعلام الفلسفة العقلية في أوروبا الحديثة. دعا إلى وحدة الوجود، حيث يرى أن الله والطبيعة شيء واحد. اشتهر بكتاب «الأخلاق» الذي عرض فيه فلسفته الأخلاقية والميتافيزيقية.(Steven Nadler, Spinoza: A Life, Cambridge University Press, 1999.)

5 فيلسوف وكاتب فرنسي (1712–1778م)، من رواد الفكر الاجتماعي والسياسي في عصر التنوير. دعا إلى الحرية الفردية والديمقراطية الاجتماعية، وألف كتابه الشهير «العقد الاجتماعي» الذي أثّر في الثورات الأوروبية.(Maurice Cranston, Rousseau: The Social Contract, Penguin Classics, 2004.)

6 ايضاً

انتقاله بين المدارس والمعاهد العلمية

بعد التعليم الابتدائى وصل إسطنبول، بحثًا عن بيئة علمية أكثر تنوعًا وتعددًا. في مدرسة "بايزيد" أظهر شخصية مستقلة، لقد كان يرفض أن يملأ عقله بالعلوم والمعارف بشكل تقليدي دون أن يفهمها بعمق، بل كان يحرص على إدراك المعنى الحقيقي لكل مسألة قبل حفظها، لأنّه كان يرى أن الفهم العميق هو الطريق الصحيح لبناء العلم الراسخ، وليس مجرد الحفظ بدون تفكير. ، وقال: "أريد الفهم لا الحفظ"، بعدما كان يتوقف عند الأسئلة المنطقية التي يطرحها معلموه. ثم في إسطنبول انخرط في جلسات علمية وفكرية، وتفاعل مع التيارات الفكرية السائدة، مما وسّع مداركه وأعده لتحديات دعوية جديدة في المدن الكبرى.

صفاته الشخصية وسماته الفكرية في هذه المرحلة

اتسم سعيد النورسي (رحمه الله) بشخصية قوية ومستقلة، وكان جريئًا في قول الحق، غير هيّاب من السلطة أو العلماء الكبار. وكان يحمل في نفسه عزيمة لا تلين في سبيل البحث عن الحقيقة وخدمة الدين. وقد كان يتصف بذاكرة خارقة، حيث حفظ عشرات الكتب في زمن وجيز.

ومن الناحية الفكرية، كان منهجه يعتمد على البرهان العقلي والنقلي معًا، ولم يكن خطابه خطابًا عاطفياً فقط، بل بني على استدلالات دقيقة ومنطقية. وكان يرى أن الإسلام دين العقل والعلم، ويجب أن يُقدم للأمة بلغة تتناسب مع روح العصر دون التخلي عن الأصول.

كما كان يتصف بالتواضع والورع والزهد في الدنيا، وكان يرى أن خدمة الدين لا تحتاج إلى مال أو سلطة، بل إلى إخلاص وتجرد. وكانت هذه الصفات ظاهرة في سلوكه الشخصي وفي طريقته في تربية تلاميذه وأتباعه [1].

المبحث الثالث: رحلاته ومشاركاته العلمية والدعوية

في هذا المبحث ندرس رحلات سعيد النورسي (رحمه الله) بين مدن الأناضول وسعيه لإيجاد بيئة علمية مناسبة لإطلاق مشروعه الفكري والدعوي، كما نتناول مشاركته في الحوارات الفكرية مع التيارات المتنوعة، وتفاعله الميداني مع العلماء والمفكرين، بما يكشف عن شخصيته كداعية يجمع بين الثبات والانفتاح الفكرى.

---

1 النورسى، السيرةالذاتية/61

انتقالاته بين مدن الأناضول

لم تكن رحلات النورسي بين مدن الأناضول مجرد رحلات في سبيل طلب العلم التقليدي، بل كانت تعبيرًا عن سعيه لتوسيع آفاقه الفكرية والتفاعل مع الواقع الاجتماعي والسياسي في تلك المناطق. بعد إتمامه حفظ المتون والمناهج الأساسية في قريته "نورس"، انتقل إلى "بيتليس" و"فان"، حيث بدأ في نشر أفكاره الإصلاحية، وكان هدفه البحث عن بيئة تعليمية تتيح الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة.

في مدينة فان، سعى إلى تأسيس مشروع "مدرسة الزهراء"، وهو مشروع علمي إصلاحي يهدف إلى تقديم نموذج تعليمي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وقد حظي هذا المشروع بدعم والي المنطقة. غير أن الأوضاع السياسية غير المستقرة، واندلاع الحرب العالمية الأولى، حالت دون استمرار هذا المشروع، واضطر النورسي إلى مغادرة المنطقة.

ثم انتقل إلى "بايزيد"، حيث شارك في الحلقات العلمية، ووجه انتقادات واضحة لأساليب التعليم التقليدي القائم على الحفظ دون الفهم، ودعا إلى إدخال التفكير النقدي والتحليل العقلي في المناهج.

وفي المرحلة الأخيرة من هذه المرحلة، رحل إلى إسطنبول، حيث واجه تيارات فكرية مختلفة، وتعرف على واقع الحياة الفكرية والسياسية في العاصمة، مما أسهم في تشكيل منهجه الدعوي القائم لاحقًا على الحوار الفكري المكتوب، والذي تجلى في مؤلفاته الشهيرة "رسائل النور". [1]

نشره للعلم

خاض النورسي مناظرات فكرية في مساجد الأناضول حول موضوعات مثل الاتحاد الإسلامي والعلمانية الجديدة، بل وصل نقاشه إلى الحوار مع مسؤولين سياسيين وعلماء في إسطنبول، أبرزها خطبته الشهيرة في جامع دمشق التي دعت إلى الوحدة والتصالح بين المسلمين كحل للأزمات.

كما أكد تقرير جمعية الحوار بين الأديان أن دروسه ومساجلاته اتصفت بمرونة دعوية، حتى تجاه المسيحيين واليهود، مدعوماً بنظريته حول "جهاد القول لا العنف". وقد كتب أيضًا القسم "المناقشات" ضمن مجموعة رسائل النور، التي تضم حوارات موثقة مع طلبته ومعارك عقلية تناول فيها منطق الإلحاد والعلمانية، ما يعكس مدى التزامه بالمنهج النقاشي العقلاني [2].

---

1 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة /49

2 شريف، عرفان رشيد، بديع الزمان النور، امعة السليمانية، كليةالعلوم الاسلامية، مجلة جامعةالانبار، العدد28، 437/7

تفاعله مع العلماء والمفكرين

تفاعل سعيد النورسي (رحمه الله) بشكل مثمر مع علماء مدرسته التقليدية – حتى لو كان يشكك أحيانًا بأساليبهم – وقد وصفه البعض بأنه "مُحدث بالعلوم الحديثة".

كما شبّه البعض أسلوبه في الحوار بالاتجاه الأنغليكي المسيحي[1] في حواره التشاركي، مؤكدًا أهمية الأخلاق والنزاهة الفكرية في النقاش والتعلم، وفق ما نشره مشتركون في مؤتمر السريان والغرب وكُتبت عنه دراسات أكاديمية مثل مقال " Said Nursi: His Life and His Thoughts" في مجلة South Asian and Middle Eastern Studies تثني على شموليته الفكرية وتفاعله المقاوم مع التيارات الفكرية في عصره [2].

المبحث الرابع: سجن الشيخ ونفيه ومعاناته

يُعد هذا المبحث محطة محورية في سيرة الإمام سعيد النورسي، إذ يشكّل السجن والنفي مرحلة حاسمة في بلورة أفكار الإصلاحية والدعوية. لم تكن معاناته في السجون مجرد تجربة شخصية، بل تحوّلت إلى محرّك فعّال لصياغة مشروعه الفكري ونقل دعوته من الخطب العامة إلى الكتابة المنهجية المقنّنة. وقد واجه النورسي كل ذلك بثبات وصبر، واثقاً بنصر الله، ما جعله نموذجًا في الصبر على الابتلاء في سبيل نشر الحق.

الظروف السياسية التي أدت إلى سجنه

بعد سقوط الخلافة العثمانية، ومع صعود الفكر الكمالي[3] في تركيا، أصبح سعيد النورسي (رحمه الله) في نظر الدولة رمزا للاتجاه الإسلامي المقاوم للعلمنة. كانت خطبه في دمشق وإسطنبول وتحركاته بين علماء الأناضول مثار قلق للسلطة السياسية الجديدة التي أرادت قطع العلاقة بين الإسلام والشأن العام. ولهذا السبب تم نفيه إلى "بوردور" ثم سجن في "دنيزلي"[4] و"أفيون"[5] بتهم ملفقة، منها

---

1 هي فرقة دينية تنتمي إلى المسيحية البروتستانتية، ظهرت في إنجلترا، وتعرف باسم الكنيسة الأنغليكانية (Anglican Church). وهي تتبنى في حواراتها مع الآخرين منهجًا وسطيًا يقوم على التسامح، واحترام الآراء المختلفة، والحوار التشاركي الهادئ بعيدًا عن التشدد والصدام.

2 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة ،ص45

3 هو مصطلح يُطلق على التوجهات الفكرية والسياسية التي أسسها مصطفى كمال أتاتورك بعد سقوط الخلافة العثمانية، والتي تهدف إلى علمنة الدولة والمجتمع التركي. يقوم هذا الفكر على عدة مبادئ-

4 مدينة تقع في جنوب غرب تركيا، تُعرف بأنها مركز صناعي وتجاري، وتشتهر بصناعات النسيج والقطن. خلال عهد الجمهورية التركية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، كانت مدينة دنيزلي تضم أحد السجون التي نُقل إليها سعيد النورسي وسُجن فيها مع بعض تلامذته بسبب اتهامهم بنشر الفكر الديني المخالف للعلمانية الرسمية آنذاك.

"تهديد الأمن العام" و"تشكيل تنظيم ديني غير مرخص" [1].

وقد جاء في تقارير المحكمة أن سعيد النورسي (رحمه الله) كان يعلّم الناس الدين رغم الحظر الرسمي على التعليم الديني، ويشجّع على مقاومة المفاسد المجتمعية عبر رسائل النور، مما دفع السلطة إلى اتخاذ إجراءات قمعية [2].

كما أن رفض النورسي قبول المخصصات الحكومية أو التودد للسلطة عزّز موقف الدولة العدائي ضده، إذ اعتُبر غير قابل للتطويع، وهذا ما جعله مستهدفًا باستمرار [3].

أثر السجن والنفي في كتاباته

تحوّل السجن من مكان للقيد إلى فضاء للكتابة. ففي سجن "دنيزلي"، كتب النورسي أشهر كتبه، منها "اللمعات" و"الشعاعات"، وقد عبّر في مقدماتها عن أن المحن مصدر إلهام وتجديد للمعاني القرآنية. كتب يقول: "لقد فتحت لي الزنزانات أبواب معاني لم أكن أدركها في الحرية"[4].

كما أن رسائل النور التي كُتبت في السجن اتسمت بطابع وجداني وروحي عميق، حيث تضمنت مضامين عن الصبر واليقين والجنة والنار، وكان يُمليها على طلبته من خلف القضبان، ويُهرّبونها سرًا إلى الخارج. وبالرغم من كل أنواع التضييق، لم تتوقف كتاباته قط، بل ازداد إنتاجه العلمي. وقد وُصف في مذكرات تلامذته أنه كان يقضي الليل في الدعاء والنهار في الكتابة، وكأن الله سخّر له السجن ليعزل نفسه عن ضجيج الدنيا ويكتب للأمة [5].

صبره وثباته على الدعوة

لقد قدّم سعيد النورسي (رحمه الله) نموذجًا فريدًا في الصبر على البلاء والثبات على المبدأ، حيث لم تُثنه السجون عن رسالته، بل ازداد إيمانًا بأن طريق الدعوة يمرّ من بوابة الابتلاء. يقول: "إن السجن الذي أرادوه عقوبةً لي، أصبح مدرسة لتقوية إيماني وإيمان الآخرين" [6].

---

5 مدينة وسط غرب تركيا، معروفة بموقعها الاستراتيجي وصناعاتها الزراعية والغذائية. خلال الحقبة الكمالية، أصبحت مركزًا لبعض المحاكمات والسجون السياسية.

1 النورسي، سيرة السيرة الذاتية،ص36

2 الكيلانى والصميدعى، بديع الزمان سعيد النورسى قراءة جديدة فى فكره المستنير، ص 12

3 ايضاً

4 النورسي، سيرة السيرة الذاتية/39

5 يورت، أحمد، من هو بديع الزمان النورسي؟ (أنقرة: وقف النور، 2009) ص 112

6 كورقون، عبد الرحمن، العزلة والتجديد الفكري في حياة النورسي (إسطنبول: مركز الفكر الإسلامي، 2008) ص 174

وقد امتد صبره إلى قبول العزلة التامة في قرية "بارلا"[1]، حيث عاش دون صحبة إلا من حفنة من الطلبة، محرومًا من الصحف والمراسلات، ومع ذلك كتب فيها معظم "الكلمات" و"المكتوبات" دون كلل أو ملل.

إن ثباته على دعوته رغم النفي والمنع والسجن جعله رمزًا حيًا للدعوة الصامتة بالكلمة والمثال، وهو ما أكسب دعوته قبولًا واسعًا حتى في صفوف مخالفيه. وقد أشار أحد القضاة في محاكمته إلى أنه "رجل لا يمكن مقارنته بأي معارض سياسي، لأنه يدعو بلا سلاح ويصبر بلا شكوى" [2].

الخلاصة: لقد يتّضح من خلال دراسة حياة الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) رحمه الله أنّه لم يكن مجرد عالم تقليدي أو واعظ مصلح، بل كان مدرسة فكرية متكاملة تشكّلت من خلال المعاناة، والنفي، والسجن، والعزلة، والتأمل العميق في الواقع الإسلامي المتغير. لقد أسهمت مراحل حياته المختلفة، من الطفولة إلى الشيخوخة، في بناء رؤية دعوية وتربوية متميزة، جعلت من رسائل النور نموذجًا في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي مخاطبة العقول والقلوب في آنٍ واحد.

إنّ محن النورسي لم تكن عوائق، بل محفّزات لصياغة خطاب دعوي جديد، يجمع بين الروحانية العميقة والمنهجية العقلانية، ويتعامل مع التحديات الفكرية والاجتماعية بأسلوب سلمي بنّاء. ومن ثمّ فإن شخصيته تُعدّ مثالًا للثبات على المبدأ، وللربط بين العلم والعمل، بين التربية الفردية والإصلاح المجتمعي، وهو ما يجعل سيرته مصدر إلهام دائم للدعاة والمصلحين في كل العصور.

ختامًا، فإنّ فكر النورسي، المتشكّل من خلال سيرته الحافلة بالتضحية والصدق، لا يزال حاضرًا بقوة في العالم الإسلامي، ويُقدّم إجابات عملية لمشكلات العصر، عبر تركيزه على تجديد الإيمان، وتحصين الأمة من الإلحاد، وبناء الإنسان الصالح، بالاعتماد على القرآن الكريم، والعقل، والفطرة السليمة.

المبحث الخامس: الأحوال السياسية في الدولة العثمانية

فهم الظروف السياسية التي نشأ فيها المفكرون والمصلحون يُعدّ أمرًا جوهريًا لفهم طبيعة أفكارهم واتجاهاتهم الإصلاحية. وسعيد النورسي (رحمه الله) لم يكن بمنأى عن التحولات السياسية العميقة التي شهدتها الدولة العثمانية في أواخر عهدها، إذ تأثّر بمظاهر الانحدار السياسي والصراع بين التيارات المتنوعة، مما ساهم في تشكيل رؤيته الإصلاحية والدعوية.

---

1 بارلا قرية جبلية صغيرة تقع في ولاية إسبارطة (Isparta) جنوب غرب تركيا. نُفي إليها سعيد النورسي في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، تحديدًا عام 1926م، بأمر من النظام الكمالي، بسبب نشاطه الفكري والدعوي.

2 يورت، أحمد، تقارير المحاكمات في حياة النورسي (إسطنبول: وقف النور، 2011) 1/57

الوضع السياسي العام في أواخر العهد العثماني

شهدت الدولة العثمانية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حالة من التراجع السياسي والعسكري، بسبب تعدد الحروب مع القوى الأوروبية والانقسامات الداخلية، مما أدى إلى فقدان العديد من الأراضي التابعة لها. هذا التدهور السياسي انعكس مباشرة على المؤسسات الدينية والتعليمية، حيث تراجعت سلطتها وتأثيرها في المجتمع، وظهر شعور عام بالإحباط واليأس. وقد أشار النورسي إلى هذه الأوضاع في كتاباته، معتبرًا أن ضعف القيادة السياسية كان من أبرز أسباب الانحدار الحضاري [1].

ضعف الخلافة ومحاولات الإصلاح

مع تراجع الخلافة العثمانية، بدأت تظهر محاولات إصلاحية داخلية يقودها بعض المفكرين والسياسيين العثمانيين، الذين رأوا أن الحداثة الغربية قد تكون سبيلًا لإنقاذ الدولة، فظهرت حركة "التنظيمات" التي تبنت إصلاحات إدارية وتعليمية، لكنها كانت غالبًا نسخة عن النموذج الغربي دون مراعاة للثوابت الدينية والثقافية الإسلامية. سعيد النورسي (رحمه الله) لم يكن ضد الإصلاح، لكنه كان ناقدًا حادًا لأي تغيير يمس جوهر الدين، واعتبر أن الإصلاح الحقيقي لا يكون إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم وإحياء الروح الإيمانية [2].

الصراع بين التيارات الإسلامية والعلمانية

أدى دخول المفاهيم الغربية إلى المجتمع العثماني إلى نشوء صراع بين التيارات الإسلامية التي تمسكت بهوية الدولة الدينية، وبين التيارات العلمانية المتأثرة بالفكر الغربي. وقد زاد هذا التوتر بعد انتهاء الخلافة عام 1924. كان سعيد النورسي (رحمه الله) في طليعة العلماء الذين تصدّوا لهذا التوجه العلماني، لكنه اختار منهجًا سلميًا وعقليًا في المواجهة، فكتب رسائل النور بهدف تقوية الإيمان في قلوب المسلمين لمواجهة هذا الغزو الفكري. وأوضح في العديد من نصوصه أن التيارات العلمانية لا يمكن مواجهتها إلا بسلاح العلم والإيمان [3].

المبحث السادس: الحرب العالمية الأولى وما بعدها

تُعدُّ الحرب العالمية الأولى نقطة تحوّل في التاريخ الحديث، خاصة بالنسبة للدولة العثمانية التي

---

1 النورسي، سيرة ذاتية/87-88

2 كورقون، العزلة والتجديد الفكري في حياة النورسي/174

3 النورسي، سيرة ذاتية/87-88

كانت تعيش مرحلة ضعف سياسي داخلي وتحديات خارجية جسيمة. أسهمت هذه الحرب في إحداث تغيّرات جوهرية في البنية السياسية والاجتماعية للدولة العثمانية، ما أثّر بدوره في المفكرين والدعاة أمثال سعيد النورسي، الذين واجهوا تحولات عميقة في المجتمع والدولة، وسعوا إلى صياغة استجابات فكرية ودعوية تلائم المرحلة الجديدة.

مشاركة الدولة العثمانية في الحرب

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى سنة 1914م إلى جانب ألمانيا والنمسا ضد دول الحلفاء، وقد كان هذا القرار نتيجة لضغوط داخلية وخارجية، واعتقاد بعض قادة الاتحاد والترقي بإمكانية استعادة الهيبة العثمانية من خلال التحالف مع قوى صاعدة. كان لهذا القرار آثار مباشرة على الجبهة الداخلية، حيث تمّ تجنيد عدد كبير من الجنود من مختلف الولايات العثمانية، بما في ذلك الأناضول، ما تسبب في خلخلة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الداخل العثماني [1].

وقد شارك سعيد النورسي (رحمه الله) بنفسه في الحرب العالمية الأولى ضمن الجيش العثماني على الجبهة الشرقية ضد الروس، وكان له دور بارز في قيادة الفصائل الكردية، كما أصيب وأُسر أثناء المعركة. وكان لهذه التجربة الحربية الأثر العميق في تشكيل وعيه السياسي والديني، إذ تعمّقت رؤيته لأهمية الحفاظ على القيم الإسلامية في وجه الانهيارات السياسية والعسكرية [2].

نتائج الحرب على الداخل التركي

أسفرت الحرب العالمية الأولى عن نتائج كارثية على الدولة العثمانية، إذ فُقدت معظم الأراضي العربية، وأُعلن عن نهاية الخلافة العثمانية لاحقًا عام 1924م. كما تعرّضت المدن التركية لمجاعات ودمار واسع النطاق، وفقدت الدولة قدرتها على السيطرة على أطرافها، ما أسهم في بروز حركات تمرد واستقلال محلية. انعكست هذه الأوضاع على الحالة الفكرية والدينية للمجتمع، حيث أصبح المسلمون يعيشون في حالة من التيه والانهيار النفسي [3].

سعيد النورسي (رحمه الله) عايش هذه التحولات بعين الناقد والمصلح، ورأى أن انحدار الأمة سببه ضعف التمسك بالدين، والانبهار بالنموذج الغربي المادي، فبدأ من تلك اللحظة في إعادة صياغة خطابه الدعوي، معتمدًا على القرآن الكريم كأساس لإعادة بناء الأمة [4].

---

1 نصار، محمد نصار، الدولة العثمانية من النشأة إلى السقوط، (بيروت: دار النفائس، 2008) 354/2

2 النورسى، سيرة ذاتية/89

3 النجار، عبد الكريم، تاريخ الدولة العثمانية (دمشق: دار الفكر، 2001) 418/2

4 ايضاً

الاحتلال الأجنبي وتأثيره في المجتمع

بعد هزيمة الدولة العثمانية، خضعت أراضٍ تركية كثيرة للاحتلال البريطاني والفرنسي واليوناني، وهو ما أدى إلى حالة من التصدع الاجتماعي والشعور بالإهانة القومية والدينية، خاصة بعد إلغاء الخلافة الإسلامية. بدأت الحكومات الجديدة بقيادة مصطفى كمال أتاتورك في تبني سياسات علمانية صارمة، شملت إغلاق المدارس الدينية، ومنع استخدام الحروف العربية، ومحاربة الرموز الإسلامية علنًا.

واجه سعيد النورسي (رحمه الله) هذا الواقع الجديد بمزيد من الصبر والمثابرة، حيث رفض التعاون مع الأنظمة العلمانية، وبدأ في تأليف رسائل النور التي تهدف إلى ترسيخ الإيمان، وبناء الشخصية الإسلامية في ظل هذا الانحدار. وقد اتخذ موقفًا ثابتًا ضد التدخلات الغربية، وحذر من محاولات طمس الهوية الإسلامية، مركزًا على بناء الوعي الفردي في مواجهة الاحتلال الفكري والثقافي [1].

المبحث السابع: تأسيس الجمهورية التركية الحديثة

يُعدّ فهم نشأة الجمهورية التركية الحديثة أمرًا ضروريًا لتأمل الظروف التي أحاطت بسعيد النورسي، إذ شكّلت تلك المرحلة نقطة تحول تاريخية في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في تركيا. فقد ساهم انهيار الدولة العثمانية وصعود أتاتورك في إحداث تغيرات عميقة مست القيم الإسلامية والمؤسسات الدينية، وهو ما جعل النورسي يتفاعل مع الواقع الجديد بأسلوبه الإصلاحي الفريد.

صعود مصطفى كمال أتاتورك

برز مصطفى كمال أتاتورك كقائد عسكري خلال الحرب العالمية الأولى، واستطاع أن يحقق شهرة واسعة في معركة غاليبولي سنة 1915م، ما منحه مكانة مرموقة بين أوساط الجيش والشعب. وبعد انتهاء الحرب واحتلال إسطنبول، بدأ أتاتورك يقود الحركة القومية من أنقرة[2]، مُعلناً الكفاح ضد الاحتلال الأجنبي. وقد تُوجت جهوده بتأسيس الجمعية الوطنية الكبرى سنة 1920م، ما مثّل نواة التحول من السلطنة إلى الجمهورية.

كان صعود مصطفى كمال متسارعًا، إذ استغل الفوضى السياسية التي أعقبت الحرب وسقوط إسطنبول ليعزز نفوذه. فبعد معاهدة لوزان سنة 1923م، تم إعلان الجمهورية التركية رسميًا، وانتُخب أتاتورك أول رئيس لها، مطلقًا مسارًا علمانيًا صارمًا. هذا التحول صدم المفكرين الإسلاميين ومنهم سعيد

---

1 زيدان، عبد الحميد، انهيار الخلافة العثمانية (القاهرة: مكتبة وهبة، 1995) 142/1

2 أنقرة هي عاصمةُ الجمهورية التركية، تقع في منطقة الأناضول الوسطى، وتُعَدّ ثاني أكبر مدينة في تركيا بعد إسطنبول من حيث عدد السكان. اشتهرت تاريخيًّا باسم "أنكيرا" أو "أنكيورا"، وكانت مركزًا إداريًّا وتجاريًّا مهمًّا منذ العهد الروماني والبيزنطي، ثم أصبحت عاصمةً للدولة العثمانية لفترة وجيزة، وأعلنها مصطفى كمال أتاتورك عاصمةً لتركيا الحديثة سنة 1923م.

النورسي، الذي رأى فيه خطرًا على الهوية الإسلامية للأمة.

جاءت هذه المرحلة في وقتٍ كان فيه سعيد النورسي (رحمه الله) يدعو إلى التمسك بالإسلام كمنقذ للأمة، مما جعله يتخذ موقفًا ناقدًا لهذا التحول السياسي. ومع أن النورسي لم يشارك في تمردات مسلحة، إلا أن كتاباته كانت حافلة ببيان مخاطر استبدال الشريعة بالقوانين الغربية، وهو ما عرّضه للاضطهاد والمراقبة من قبل النظام الجمهوري [1].

إلغاء الخلافة الإسلامية سنة 1924م

كان قرار إلغاء الخلافة الإسلامية في 3 مارس 1924م من أبرز القرارات التي اتخذها مصطفى كمال أتاتورك، وهو ما اعتُبر قطيعةً نهائية مع التاريخ الإسلامي للدولة العثمانية. وقد أثار هذا القرار موجة من الرفض في الأوساط الدينية، إذ رأى فيه العلماء والمفكرون نهايةً للرابطة الروحية والسياسية التي جمعت المسلمين عبر قرون [2].

لم يكن سعيد النورسي (رحمه الله) بمعزل عن هذا الحدث، بل عدّه كارثة كبرى، وكتب رسائل يبين فيها خطورته على وحدة الأمة الإسلامية. ورغم الظروف القمعية، لم يتوانَ عن الدعوة إلى الإيمان كبديل عن السياسة، موجهًا جهوده نحو تربية الجيل الجديد على تعاليم القرآن.

ومن الملفت أن النورسي لم ينجر إلى الصدام المباشر، بل لجأ إلى العمل التربوي والدعوي، معتبرًا أن التغيير الحقيقي يبدأ من النفوس. لقد قدّم بديع الزمان رؤية إصلاحية بديلة عن الطرح القومي والعلماني، وذلك من خلال تأسيس "مدرسة النور" التي كانت ردًا عمليًا على محاولة فصل الدين عن الدولة [3].

السياسات العلمانية والتغييرات الجذرية في بنية الدولة

اعتمد النظام الجمهوري الجديد في تركيا بعد 1924م سلسلة من القوانين العلمانية، شملت إلغاء المحاكم الشرعية والمدارس الدينية، واعتماد الحروف اللاتينية بدل العربية، ومنع الأذان بالعربية، وإغلاق الطرق الصوفية. هذه الإجراءات كانت تهدف إلى اقتلاع الجذور الإسلامية من الحياة العامة، مما أحدث صدمة في الوعي الجمعي للمجتمع التركي.

واجه سعيد النورسي (رحمه الله) هذه التحديات بالتركيز على الإصلاح الفكري ، وكتب رسائل

---

1 نورسى، السيرة الذاتية ص 89

2 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة /50

3 يونس، عبد القادر، إلغاء الخلافة: من السلطنة إلى الجمهورية، (القاهرة: دار السلام، 2005م) ص 76

النور التي دعت إلى التمسك بالقرآن، والعودة إلى الإيمان كطريق للنجاة. وقد مثّلت رسائله دعوة مضادة للتغريب، تركز على بناء الإنسان المسلم المتزن، رغم الحصار والملاحقة التي كان يتعرض لها.

لقد أحدثت هذه التغيرات في بنية الدولة صراعًا حادًا بين الهوية الإسلامية والهوية القومية العلمانية. وكان النورسي من أبرز من واجهوا هذه التحولات بالدعوة إلى التوازن بين الأصالة والمعاصرة، مؤكدًا أن لا نهضة بدون روح الإسلام، وأن الحضارة المادية إذا انفصلت عن القيم، فإنها تؤدي إلى الانهيار الأخلاقي والاجتماعي [1].

المبحث الثامن: الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية

إنَّ دراسة الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية في الفترة التي عاش فيها سعيد النورسي (رحمه الله) تُعدُّ ضرورة لفهم العمق الحقيقي لرسالته الإصلاحية والفكرية. فقد جاءت دعوته في وقت كانت فيه تركيا تمر بتحولات جذرية مست حياة الناس في معتقداتهم وهويتهم وثقافتهم، حيث تبنّت الدولة سياسة علمانية متطرفة هدفت إلى قطيعة تامة مع الماضي العثماني والتراث الإسلامي. ووسط هذا التغيير العنيف، كان على الداعية أن يفهم الواقع فهماً دقيقاً، وأن يتفاعل معه بأدوات جديدة وأساليب مبتكرة تحفظ روح الإسلام وتضمن استمرارية رسالته.

لقد واجه المجتمع التركي في تلك المرحلة سلسلة من السياسات الممنهجة التي استهدفت الدين ومؤسساته، من خلال تتريك التعليم، وإغلاق المدارس الدينية، وتضييق الخناق على العلماء والدعاة، ونشر الفكر الغربي المنفصل عن القيم الدينية. كما أدى تفكك البنية الاجتماعية التقليدية إلى ضعف الرابط بين العلم والدين، مما نتج عنه انحصار التأثير الديني في الحياة العامة.

في هذا السياق الصعب، برزت أهمية مشروع سعيد النورسي (رحمه الله) الذي استطاع أن يقدم نموذجاً فريداً في التفاعل مع هذا الواقع، من خلال رؤية تربوية ودعوية متوازنة جمعت بين الثبات على المبادئ والانفتاح على المستجدات. لذا فإن تناول هذه الأوضاع بالتحليل هو مدخل أساس لفهم طبيعة دعوته وأبعاد مشروعه الفكري والتربوي.

سياسات التتريك[2] وإلغاء المدارس الدينية

في بداية العهد الجمهوري التركي، بدأت الحكومة الكمالية تنفيذ سياسة تتريك شاملة تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية والثقافية العثمانية، واستبدالها بهوية قومية تركية ذات طابع علماني. تمثل ذلك

---

1 محمد حرب، سعيد النورسي: هموم الإسلام والوطن، 91/1

2 التتريك مصدر من "تَرَّكَ"، ومعناه: جعل الشيء تركيًا أو تحويله إلى الطابع التركي.التتريك هو تحويل المجتمعات المتعددة الثقافات داخل تركيا إلى مجتمع تركي صرف.

في إغلاق المدارس الدينية، ومنع التعليم الديني التقليدي، ونشر اللغة التركية بدلًا من العربية في كافة المناهج والمؤسسات، وقد أثرت هذه السياسات بشكل مباشر على بنيان التعليم الديني ونقل العلوم الشرعية من جيل إلى جيل.

كما شملت هذه السياسات محاولة قمع اللغة العربية التي كانت لغة القرآن والتعليم الإسلامي، مما أدى إلى انفصال الأجيال الجديدة عن تراثها الديني. وقد تم إغلاق مدارس التعليم الشرعي التقليدي كـ"المدارس النورية" و"المدارس الفقهية"، مما أحدث فراغًا كبيرًا في الوسط الديني، وأسهم في تراجع دور العلماء في الحياة العامة.

وقد واجه سعيد النورسي (رحمه الله) هذه السياسات من خلال مقاومة فكرية، إذ دعا إلى إعادة إحياء التعليم الديني من خلال "المدارس الزهرية" التي اقترحها، والتي تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الحديثة، وسعى من خلالها إلى تحقيق توازن بين الإيمان والعقل، وبين الروح والتقدم [1].

اضطهاد العلماء والدعاة

في ظل السياسات الكمالية العلمانية، تعرض العلماء والدعاة لحملة قمع واضطهاد منهجي، حيث تم سجن العديد منهم، ونفي بعضهم، ومنع آخرين من إلقاء الدروس والخطب. وكانت هذه الحملة تهدف إلى قطع الصلة بين المجتمع والعلماء الذين كانوا يمثلون المرجعية الدينية والاجتماعية. وكان سعيد النورسي (رحمه الله) من بين أبرز الشخصيات التي طالتها هذه السياسات، إذ سُجن مرات عدة ونُفي من مدينة إلى أخرى.

وقد رافق هذا الاضطهاد التضييق على المؤسسات الدينية الرسمية، وتم تحويل المساجد إلى متاحف أو مراكز ثقافية، كما أُغلقت الزوايا[2] والطرق الصوفية، وأُجبر العلماء على التوقف عن التدريس. وقد أثر ذلك سلبًا على الحياة الدينية، حيث انحسر التعليم الشرعي وتراجع مستوى التدين في المجتمع.

ومع ذلك، فإن الاضطهاد لم يؤدِ إلى إخماد صوت الدعوة، بل أدى إلى تحولها من الشكل العلني إلى الشكل السري المنظم، كما دفع الشخصيات المؤثرة مثل سعيد النورسي (رحمه الله) إلى تبني طرق جديدة في نشر الفكرة الدعوية، مثل الكتابة السرية، وتشكيل الحلقات العلمية الصغيرة في البيوت [3].

---

1 النورسي، السيرة الذاتية/102

2 هي أماكن العبادة والتربية الصوفية التي كانت تنتشر في العالم الإسلامي، وخاصة في تركيا والعالم العربي، وكانت تستخدم لـ: تعليم الذكر والتربية الروحية. إيواء الفقراء وطلبة العلم. نشر تعاليم الطرق الصوفية.

3 محمد حرب، سعيد النورسي: هموم الإسلام والوطن، 95/1

تأثير هذه الأوضاع على الدعوة الإسلامية والنشاط العلمي

أثرت هذه الأوضاع بشكل كبير على مسيرة الدعوة الإسلامية في تركيا، حيث واجه الدعاة تحديات جمّة في إيصال رسالتهم إلى الناس، في ظل المراقبة والاضطهاد وانعدام الحريات. إلا أن هذا الواقع أوجد أيضًا دافعًا قويًا لتطوير وسائل جديدة في الخطاب الدعوي، تركز على البعد الروحي والفكري بدلًا من النشاط الجماهيري أو السياسي.

وقد ساهمت هذه المرحلة في بلورة فكر سعيد النورسي (رحمه الله) الذي أسس "رسائل النور" كوسيلة لنشر الدعوة في بيئة معادية للدين. وبدلًا من المواجهة المباشرة، اتبع النورسي أسلوب التربية الإيمانية العميقة، مما جعله قادرًا على التأثير في طلابه وتحفيزهم على الثبات والعمل الصامت البنّاء.

كما دفعت هذه الأوضاع إلى ولادة تيار دعوي جديد يقوم على المقاومة الفكرية السلمية، ويركز على تجديد الإيمان الفردي وبناء المجتمع من القاعدة، بعيدًا عن السياسة والصراع. وقد أثبتت هذه التجربة نجاحها في استمرارية الرسالة رغم الحظر والمضايقات [1].

الخلاصة: لقد مثّل سعيد النورسي (رحمه الله) نموذجًا فريدًا للداعية والمفكر الذي لم ينعزل عن عصره، بل تفاعل معه بكل وعي وبصيرة، فاستوعب تحوّلاته السياسية والفكرية والدينية، وواجه تحدياته بأسلوب متجدد يجمع بين الأصالة والمعاصرة. لم تكن دعوته مجرد استجابة لمظاهر الانحراف والانحدار، بل كانت رؤية متكاملة لإصلاح الأمة من داخلها، انطلقت من القرآن والسنة، وارتكزت على التربية الإيمانية، وتعميق الفهم الديني في مواجهة التغريب والعلمانية.

لقد أثّرت التغيرات السياسية والاجتماعية العميقة التي عصفت بالدولة العثمانية، ثم الجمهورية التركية الحديثة، بشكل مباشر في فكر النورسي. فقد رأى في سقوط الخلافة وتفكك المجتمع التقليدي مظاهر خطيرة تهدد كيان الأمة، ولكنه لم يلجأ إلى الثورة أو المواجهة الصدامية، بل تبنّى منهجًا إصلاحيًا هادئًا يقوم على بث الوعي وتنوير العقول من خلال رسائل النور، تلك الرسائل التي شكّلت مدرسة فكرية وروحية متكاملة هدفت إلى إعادة بناء الإنسان المسلم على أسس الإيمان واليقين.

يتجلّى تفاعل النورسي مع واقعه من خلال مرونته المنهجية، وثباته العقدي، وسعة أفقه في التعامل مع النوازل. لقد رفض الانسياق وراء الأطر الأيديولوجية المغلقة، وركّز على إعادة ربط المسلم بمصدر قوّته الحقيقي: القرآن الكريم، والإيمان العميق، والعمل الصالح. وبذلك أسّس لتيار دعوي إصلاحي طويل المدى، لا يزال تأثيره حاضرًا في تركيا والعالم الإسلامي، يشهد له بالدور الريادي في الحفاظ على الهوية الإسلامية في وجه العلمنة والضغوط الفكرية.

---

1 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة /61

الفصل الثالث: التعريف برسائل النور

وفيه اربعة مباحث

المبحث الأول: منشأ الرسائل وأسباب تأليفها

المبحث الثاني: الهيكل العام والمكونات الأساسية للسلسلة

المبحث الثالث: أسلوب النورسي اللغوي والبياني في الرسائل

المبحث الرابع: أثر الرسائل في المجتمع التركي والعالمي

تمهيد

تُعَدُّ "رسائل النور" من أبرز المؤلفات الإسلامية التي ظهرت في القرن العشرين، وقد شكّلت منعطفًا مهمًّا في الخطاب الدعوي والتربوي، خاصة في السياق التركي الذي شهد تحوّلات فكرية ودينية جذرية. جاء هذا المشروع الإصلاحي في وقت اشتدّت فيه العلمانية وسياسات تهميش الدين، فكان لسعيد النورسي، من خلال هذه الرسائل، دور ريادي في مواجهة هذا التحدي بإحياء الإيمان في النفوس والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

تميّزت "رسائل النور" بمنهجية عقلية وروحية عميقة، إذ جمعت بين الأصالة والمعاصرة، وبين نصوص الوحي واستيعاب تحديات العصر. فهي لم تكن مجرّد تفاسير دينية تقليدية، بل كانت خطابًا حيًّا ينبض بالحكمة ويستجيب لاحتياجات الواقع، ولهذا انتشرت سريعًا بين طلبة العلم والمفكرين والجماهير العادية على حد سواء.

وقد تجاوز تأثير "رسائل النور" حدود تركيا، فامتد إلى العالم الإسلامي والعربي، وأصبحت تُترجم إلى لغات مختلفة، مما يدلّ على صدق مقاصدها وعمق أثرها. ولهذا فإن دراستها ضرورة لفهم تطور الفكر الدعوي الإسلامي في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية.

المبحث الأول: منشأ الرسائل وأسباب تأليفها

نشأت رسائل النور في سياق أزمة روحية وتربوية حادة عاشها المجتمع التركي عشية الجمهورية، حيث وجد سعيد النورسي (رحمه الله) نفسه إمام مجتمع تحوّل بشكل جذري إثر تبنّي القومية العلمانية وفقدان الهُوية الدينية. ولذلك توجه إلى تأليف هذه الرسائل كوسيلة منهجية لإعادة بناء الإيمان النهضة الروحيه الدينية باستخدام لغة العصر، مستندًا إلى القرآن كمنهج حياة وحجة عقلية.

الظروف الشخصية والفكرية التي دفعت النورسي إلى كتابتها

بعد نفيه إلى قرية بارلا، وجد سعيد النورسي (رحمه الله) نفسه في عزلة جغرافية وروحية، فكان معرضًا لتأملات عميقة في فطرته وتاريخ أمته. وفي تلك الفترة، تأثر ببعض الفلسفات الغربية الحديثة، لكنه رفضها عند مواجهتها بروح الإيمان والقرآن، فبات يبحث عن خطاب يجمع بين العقل والدين، فكانت "رسائل النور" ثمرة لهذا البحث، حيث وُلدت في هذه البيئة القاسية كصياغة إيمانية عقلية روحية.

تُظهر الدراسات أن رسائل النور بدأت كتابتها في السجن أو النفي باستخدام الذاكرة القوية والإملاء السريع، فقد كان يكتب بأقلام بسيطة على أوراق متفرقة، دون الرجوع إلى مراجع خارجية، بسبب الحظر المفروض على التعليم الديني في تلك الفترة. وقد اعتمد في كتابته على فهمه العميق للقرآن

الكريم، مستخرجًا منه رؤى إيمانية ومعنوية تعالج مشكلات العصر، دون أن يدّعي ابتكارًا جديدًا في الدين، بل كان يقدمه بأسلوب يحيي القلوب والعقول معًا.

وقد كتب سعيد النورسي (رحمه الله) رسائله باللغة التركية العثمانية، التي كانت تضم مزيجًا من المفردات التركية والعربية والفارسية، مما أكسبها عمقًا لغويًا وروحيًا، وسهّل في الوقت نفسه وصولها إلى العامة والمتعلمين.

أما من حيث نقلها ونسخها وتوثيقها، فقد قام بهذا العمل عدد من أبرز طلابه الذين عُرفوا باسم "طلاب النور"، ومن أشهرهم:

- ❖ حافظ علي أفندي،
- ❖ رفيق يار أفندي،
- ❖ حسين فيضي،
- ❖ مصطفى صبري،
- ❖ زبيدة هانم،
- ❖ أحمد فاضل وغيرهم،

الذين كانوا ينسخون هذه الرسائل يدويًا، ويوزعونها سرًا في القرى والمدن، في ظل حظر رسمي على نشر الكتب الدينية.

أما ترجماتها، فقد تُرجمت "رسائل النور" إلى العربية، والإنجليزية، والفارسية، والأردية، ومن أوائل من قاموا بترجمتها إلى العربية الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، والدكتور شكران فاهيده، اللذان نقلاها بأسلوب علمي وروحي إلى القراء العرب.

وقد اعتمدت الطبعات الحديثة من رسائل النور على هذه النسخ الأصلية التي راجعها طلابه، وطُبعت لاحقًا في دور نشر موثوقة مثل دار سوزلر (Sözler Yayınları) في إسطنبول، التي قامت بجمع المخطوطات الأولى ومقارنتها لتوثيق النصوص.

كما تكشف سيرة النورسي عن ميل عميق نحو التصوف العملي، حيث لم يكن البحث الفلسفي غاية عنده، وإنما وسيلة للوصول إلى يقين إيماني نابع من القرآن ومن تجارب قلوب المؤمنين وسلوكهم. وقد صاغ هذا اليقين بأسلوب يناسب عقول القرنين العشرين والحادي والعشرين، جامعًا بين

الروح الإيمانية والتحليل العقلي الهادئ. [1].

التحديات الدينية والاجتماعية التي واجهها

عانى المجتمع التركي من مضايقة مباشرة: مدارس دينية أُغلقت، والمساجد شُطبت من الوعي العام، والأذان منع بالعربية، إضافة لاعتقال العلماء ومصادرة الكتب. وهذا المناخ الصارم دفع النورسي إلى تجربة السرّيات الدعوية، فكتب بإملاء إلى طلبته في المنازل ليتداولها الناس في الخفاء.

التحدي أيضًا برز في مواجهة الفلسفات الداعية إلى الإلحاد والذاتانية الغربية، فكان "جهاد القول" طريقه، عبر إثبات الإيمان بمنطق العقل، وإظهار أن الكون يعبر عن قدرة الله وليس صدفة، كما يبرهن على وحدانية الخالق.

كما تناول التحديات المجتمعية حيث ظهرت ظواهر مثل العاطفة المفرطة تجاه القوميات أو العلمانية، فكان منهجه يخاطب الضمير قبل العقل: دعوة للرجوع إلى الفطرة البشرية والإيمان، وليس إلى الانحياز لجماعة ضيقة [2].

أهداف النورسي من هذه الرسائل في ظل الأزمة الروحية

كان الهدف الأبرز هو إعادة إحياء الإيمان الحقيقى، وفق مقولة ‘‘الإيمان بالتحقق وليس بالتقليد’’، وهو أرسى هذا المبدأ في رسائله التي تستند إلى برهانات العقل والتجربة الشخصية. كما وجه رسائله لبناء مجتمع واعٍ مبني على الأخلاق القرآنية، فركز على التربية الذاتية كمدخل للإصلاح الاجتماعي، وأظهر أن النهضة الحقيقية تبدأ من الفرد المؤمن قبل المؤسسة. وأما الهدف الثالث، فكان دمج العلوم الحديثة داخل التعليم الديني، ليولد خطابًا فكريًا وسطًا يصدّر المنطق العلمي ولا يفقد روح البصيرة الإيمانية. ويرى النورسي أن العلم إذا قرأ في ضوء القرآن يكون نورًا، وإذا خرج عن هذا الإطار صار دمارًا أخلاقيًا [3].

المبحث الثاني: الهيكل العام والمكونات الأساسية للسلسلة

تشكل "رسائل النور" مجموعة منهجية متكاملة تصنف أنواع نصوصها إلى عقائدية، تربوية، اجتماعية، وأخلاقية، بهدف معالجة القضايا الروحية والفكرية المعاصرة بأسلوب يجمع بين الحكمة والبلاغة. وقد صممت لتخاطب مختلف فئات المجتمع، من العلماء إلى العامة، مستخدمة لغة تتسم

---

1 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة /63

2 سهيل النورسي، سيرة النور: سيرة الإمام سعيد النورسي/41

3 بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره فى الفكر والدعوة /45

بالعقل والإحساس، فتجد في "الكلمات" بُعدًا عقائديًا، وفي "اللمعات" بعدًا تربويًا، وفي "الشعاعات" أبعادًا روحية ترفّع النفس، مع أساليب متميزة في كل نوع تخدم المقصد وتُقرب المعنى للقارئ.

تصنيف الرسائل: العقدية، التربوية، الاجتماعية، الأخلاقية

تنقسم سلسلة "رسائل النور" إلى أربعة أصناف رئيسة، تشكّل بنية متكاملة في المجالات العقدية، والتربوية، والاجتماعية، والأخلاقية، وذلك وفق المنهج المتكامل الذي رسمه النورسي، والذي يهدف إلى إصلاح الإنسان والمجتمع معًا:

- أولاً: الجانب العقدي، مثل كتاب "الكلمات" (كلمات)، حيث يعرض فيه أساسيات التوحيد، والإيمان، والبعث بأسلوب عقلاني وروحي، يرد على الشبهات الفكرية المعاصرة بأسلوب واضح وقوي.
- ثانيًا: الجانب التربوي، كما في كتاب "اللمعات" (لمعات)، الذي يقدم توجيهات إيمانية تربوية مرتبطة بواقع الإنسان الفردي والاجتماعي، ويدعو إلى تربية النفس على الصبر، والإحسان، ومجاهدة الأهواء.
- ثالثًا: الجانب الاجتماعي والأخلاقي، مثل كتاب "الشعاعات" (شعاعات), حيث يتناول فيه القيم الاجتماعية والأخلاقية من خلال الفهم القرآني العميق، ويهدف إلى ترسيخ الفضائل في المجتمع ومواجهة الانحرافات السلوكية.
- رابعًا: الكتابات المتنوعة الأخرى، مثل "المكتوبات" (مكتوبات) و"الإشارات" (إشارات), التي تشتمل على رسائل في قضايا متنوعة، تجمع بين التأمل الروحي، والتحليل الفكري، والإرشاد الاجتماعي. [1].

أبرز الرسائل ومضامينها مثل: الكلمات، اللمعات، الشعاعات

''الكلمات'' تُعد أولى الرسائل وأهمها، حيث تشكّل تفسيرًا روحيًا للقرآن، مبنية على أدلة عقلية وفيزيائية؛ مثال: "كلمة البعث" تعتمد على دليل مماثل لإحياء البذور ليقين القارئ.

''اللمعات'' تتناول القضايا التربوية مثل الصبر واليقين، وصيغت على حلقات قصيرة تستند إلى القصص والتشبيهات؛ منها تشبيه "الليمون" بثمرة تنفيذ العمل الصالح.

''الشعاعات'' تعرض براهين على صفات الرب وذلك بنسج النص بأسلوب شعري وبصورة

---

1 الكيلانى والصميدعى، بديع الزمان سعيد النورى قراءة جديدة فى فكره المستنير/132

روحية تناسب خاطبًا يبحث عن معنى الروحانية بمشاركة الكون [1].

الخصائص الأسلوبية في كل نوع

يمتاز الأسلوب في "الكلمات" باللغة المنطقية المجردة، قائمًا على الحجج والتفكير العلمي، مقدمًا شروحات عقلية مدعمة بالأمثلة من الكون والمصطلحات الفلسفية.

أما "اللمعات" فتستخدم أسلوبًا قرآنيًا بسيطًا ونداءً وجدانيًا يُحفّز القارئ على تأمل القيمة الأخلاقية، يمتاز بجمل قصيرة وحب الاستفهام البلاغي.

في "الشعاعات" يظهر الشعر الإسلامي ضمن ترميم فكري؛ أسلوبه يتسم بالتصوير الفني والوصف الكوني العذب، مع استخدام واسع للتجسيم والتمثيل الذي ينقل القارئ من العقل إلى القلب [2].

المبحث الثالث: أسلوب النورسي اللغوي والبياني في الرسائل

يتميز أسلوب سعيد النورسي (رحمه الله) بلاغياً بفهم عميق للاحتياج الفكري والإيماني للقارئ المعاصر، فبنَى منهجه على التوازن بين قوة العقل ومتانة العاطفة، مستفيداً من تراكيب قرآنية، واستناداً إلى أدب فارسي–عربي–عثماني غني. وهذا الأسلوب صنفه الباحثون ضمن مناهج جديدة في البلاغة الدعوية، حيث تُعرف رسائله بوضوحها الحاسم، وهدوئها العلمي، وقوّة المعاني والدلائل.

مزج العقل والعاطفة في العرض

يُعَدّ مزجُ النورسي للعقل والعاطفة أساساً في خطابه الدعوي، حيث يوازن بين البراهين المنطقية والأحاسيس الروحية لتكوين أثر قوي في النفس، فتصوغ عباراته بطريقة تجمع بين الحجة العقلية والتأثير الروحي.

في رسائله العقائدية مثل "الكلمات"، يعرض أدلة على البعث باستخدام تشبيه حكم الأرض والزرع، لكنه ينتقل بعدها مباشرة إلى الجانب الإنساني الدافق بالحنين واليقين، فتلمس قلب القارئ وتؤثر فيه. كما يستخدم عبارات وجدانية مثل "آه"، أو "يا لسوء حالي" ليعبر عن مشاعر الإحساس البشري، لكنه يعقّبها بتحليل منطقي، فتعيش القراءة تجربة فكرية ووجدانية معاً [3].

---

1 صالحى، صيقل الإسلام كليات رسائل النور /535

2 نقشبندي، طاهر، سعيد النورسي: حياته وآثاره، 40/1

3 صالحى، احسان قاسم، صيقل الإسلام كليات رسائل النور، ص 537

اعتماد الأدلة العقلية والنقلية

لم يكن النورسي من أنصار النقل بلا عقل، بل استند إلى القرآن والسنة والبراهين العقلية المنطقية، فمثلاً استدل على وحدانية الله من نظام الكواكب والفلك، مستخدماً منهج "قراءة كتاب الكون" إلى جانب قراءة القرآن.

في إشارات الإعجاز واللمعات، يعرض آثار الكائنات الطبيعية كنبات الزهرة أو حركة الحيوان ليؤكد طلبه، ثم يُسقط هذه المشاهد على الغيبيات مثل البعث والقدر، مما يعزز التصديق من العقل والقلب معاً. كما يستشهد بالنصوص الشرعية بانتظام، خصوصاً الآيات المتعلقة بالمعاني التي يناقشها، فتُدعم الحُجة بآيات وأحاديث صحيحة، مما يضفي ثقة على رسائله وينسّق بين العقل والنقل [1].

التصوير البلاغي والاستعارات في مخاطبة القارئ

يُعدّ النورسي مصورًا بارعاً؛ فقد بنى نصوصه على الاستعارات والتشبيهات المشبعة بالمعاني، مثل تشبيه الروح بالزهرة التي لا تنمو إلا بالنور، أو الإنسان بالذرة إذا تحرّكت، مما يقرب المفاهيم إلى العقل والوجدان- في رسائل مثل "رسالة الطبيعة"، يصف كيفية تنظيف الذباب جناحيه كسلوك إرادي، فيرمز إلى روحية الإنسان، معبّراً بذلك عن قدرة المخلوق الطبيعية كدليل على عظم الخالق. وقد استعمل صوراً قرآنية كـ"دساتير المجتمع" في إشارات الإعجاز ليُبرز حكمة التشريع، مستخدماً جملًا موجزة تُخاطب العقل البديهي وتوقظ فطرة القارئ [2].

المبحث الرابع: أثر الرسائل في المجتمع التركي والعالمي

رغم القمع السياسي الصارم الذي ساد في تركيا بعد تأسيس الجمهورية، استطاعت "رسائل النور" أن تتغلغل في النفوس وتقاوم الحظر بذكاء ودون مواجهات، فتم توزيعها وخطّها يدوياً في حلقات سرّية، وهو ما أتاح لها التأثير العميق داخل المجتمع التركي وتأسيس تيار فاعل باسم "الحركة النورجية".

انتشار الرسائل رغم القمع السياسي

استمرت نسخ اليدوية لرسائل النور بين تلامذته في مقاطعة بارلا وغيرها، رغم حظر المواد الدينية وتوقيع الرقابة البوليسية، واستمر التلاميذ في نسخها خطوة بخطوة، مما أسفر عن انتشار واسع القلب والذي شكّل أساساً للحركة المعروفة لاحقاً بNurcu .

---

1 سهيل النورسي، سيرة النور: سيرة الإمام سعيد النورسي،40/1

2 النورسى، السيرة الذاتية/68

هذه الحلقات المنزلية شكلت شبكة معلومات غير مركزية، قائمة على الثقة والتعاون، حيث يتناقل التلاميذ الكتب كتاباً كتاباً إمام الشرطة، دون كتابتها طباعة رسمية؛ مما جعل من الصعب قمعها بالكامل. وقد وصفها المؤرخون بأنها "نظام يصعب القضاء عليه".

ومع تغير الزمن وصعود حكومة العدالة والتنمية، تم رفع الحظر في 2012، وأصبح توزيع الرسائل مطبوعاً قانونياً، وأصبحت جزءًا من المنظومة الدعوية المسموحة من الدولة نفسها [1].

اعتماد بعض المعاهد والمدارس عليها في التعليم

في ذروة انتشارها، بدأت بعض المدارس والمراكز العلمانية، وحتى بعض معاهد التعليم الرسمية، بتضمين رسائل النور ضمن منهجها، خاصة في التعليم الشرعي غير الرسمي، ما يعكس ثقة المؤسسين فى جودتها التربوية.

لقد باتت الرسائل مادة رئيسية في حلقات "مدرسة الزهراء" ومراكز Nurcu في الأناضول، إذ تُنتخَب كدراسات أسبوعية توجيهية، يمكن للمدارس استخدامها كمنهاج لتعزيز التربية القرآنية النورانية.

حتى في الجامعات، تُدرّس رسائل مختارة كقراءة تأملية أو سند لمواد في التفسير والفكر الإسلامي، وهو الأمر الذي يدلّ على تغلغلها داخل المنظومات الأكاديمية، وزيادة الاعتراف بها من العلمانيين أنفسهم [2].

الترجمة إلى لغات متعددة وتأثيرها خارج تركيا

ترجمت "رسائل النور" إلى أكثر من 50 لغة، بما في ذلك الروسية، الإنجليزية، العربية، والأوردو، لتصل إلى الجمهور الإسلامي الأوسع خارج تركيا.

دخلت الرسائل جمهور وسط آسيا وحوض البلقان من خلال النسخ اليدوية والمطبوعات، وخاصة عبر مبادرات نشطاء Nurcu، دون دعم رسمي للدولة التركية، وهو ما يُعد نموذجًا للنشر الشعبي المستقل.

في بعض الدول مثل باكستان، تستخدم الرسائل ضمن حلقات التعليم في المدارس الخاصة والحلقات المنزلية، كما أثرت على المدارس المرتبطة بحركة غولن التي استندت إليه، لتصبح جزءًا من منهج

---

1 الخالدي، سعيد النورسي ومشروعه الإصلاحي، 49/1

2 النورسي، سعيد، المكتوبات، 49/1

تربوي يقيم التوازن بين العلم والدين [1].

الخلاصة: تُعدّ رسائل النور لسعيد النورسي (رحمه الله) منظومة فكرية وروحية متكاملة، نجحت في الجمع بين الأصالة الإسلامية والحداثة الفكرية، حيث قدّمت للقرن العشرين وما بعده منهجًا تربويًا وإيمانيًا قادرًا على ملامسة العقل والقلب في آنٍ واحد. فقد تناولت أمهات القضايا العقدية التي شغلت الأمة الإسلامية في ظل التحولات الكبرى، وردّت عليها بردود عقلية موثقة، مستندة إلى النقل الصحيح والفهم المتجدد للنصوص الشرعية، مما جعلها مرجعًا معتمدًا في كثير من الدوائر العلمية والدعوية.

وما يميز هذه الرسائل أنها لم تقتصر على معالجة المسائل العقائدية فحسب، بل انطلقت نحو بناء الذات الإنسانية، تربويًا وأخلاقيًا، فكانت بحق منهجًا متكاملًا في إصلاح النفس، وتزكيتها، وترشيد الفكر، وتقوية الإرادة الفردية في مواجهة التحديات المادية والروحية. وفي هذا السياق، استطاع النورسي أن يوظّف البلاغة القرآنية، والرموز الفلسفية، والقصص الواقعية، في بناء خطاب دعوي معتدل، يربط الإنسان بالله عبر التأمل في الكون، والنفس، والشرائع.

إن التأثير العميق لرسائل النور، في تركيا وخارجها، وفي المؤسسات التعليمية والحلقات الدعوية، دليل على نجاح هذا المشروع الإصلاحي في مخاطبة الروح الإسلامية المعاصرة، دون أن تفقد هويتها أو تُلغى خصوصيتها. لقد أثبتت الرسائل أنها ليست نصوصًا ماضوية جامدة، بل هي نواة فكرية حيّة قابلة للامتداد في الزمان والمكان، وهو ما جعل منها مرجعية تربوية وروحية راسخة، تصلح لتوجيه الأجيال في عصر ما بعد الحداثة، في ظل التحديات العقدية والثقافية الراهنة.

قال الأستاذ الدكتور مصطفى صبري:

> «رسائل النور ليست مجرد شروحات، بل هي حياة متكاملة، تنفذ إلى صميم النفس، وتعيد لها توازنها بين المادة والروح، بين العقل والنص، بين القديم والجديد» [2].

---

1 Prof. Dr. Bunyamin Duran, Islam and Muslims in the Post Secular Society, Tuesday 08 April 2008 17:21

2 صبري، مصطفى. الفكر الإسلامي الحديث في تركيا (إسطنبول: وقف النشر الإسلامي، 2010م) ص 228

الفصل الرابع: منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في رسائل النور

وفيه اربعة مباحث

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية والعقائدية لمنهجه

المبحث الثاني: الأسس التربوية والإصلاحية في مشروعه

المبحث الثالث: المعالجة الفكرية للمشكلات المعاصرة

المبحث الرابع: سمات المنهج الجدلي والحوار الهادئ

تمهيد

يُعدّ المنهج حجر الأساس في أي مشروع فكري أو دعوي، إذ يُعبّر عن الإطار النظري والعملي الذي يُنظم الرؤية ويُوجه الوسائل نحو الأهداف المرجوة. وتزداد أهمية المنهج حين يكون المشروع في مواجهة أزمات حضارية، وانهيارات ثقافية، وتحديات روحية واجتماعية، كما كان الحال في تركيا أوائل القرن العشرين. لقد برز الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) في هذا السياق المضطرب، وقدم من خلال "رسائل النور" منهجًا متميزًا يجمع بين الأصالة الإسلامية والانفتاح على قضايا العصر، متخذًا من الإيمان والعقل والعاطفة محاور أساسية في معالجته الفكرية والتربوية.

امتاز منهج النورسي بشموليته وتوازنه بين الموروث الشرعي والمستجدات الواقعية، وبين البعد الفردي والبعد المجتمعي، وبين الرؤية الأخروية والمسؤولية الدنيوية. فلم يكن مشروعه مجرد ردة فعل على الانهيار السياسي والديني، بل رؤية إصلاحية ذات جذور قرآنية، وغايات تربوية وروحية، تبنت مخاطبة القلب والعقل معًا. ومن خلال تحليل "رسائل النور" تتكشف لنا ملامح هذا المنهج الذي استطاع أن يُعيد للأمة شيئًا من وعيها، ويغرس في النفوس روح المقاومة الإيمانية، والتجدد الأخلاقي.

وسوف يتناول هذا الفصل ملامح منهج النورسي من زوايا متعددة، من أبرزها: اعتماده على مركزية الإيمان، وتقديمه رؤيةً إصلاحية متدرجة، وحرصه على التوازن بين العقل والنقل، وفاعلية الخطاب الروحي في زمن الأزمات. وسوف يُستند في كل مبحث إلى نصوص مباشرة من "الرسائل"، وإلى دراسات تحليلية معاصرة تؤكد قوة المنهج وعمقه، ومدى تأثيره في الواقع التركي والعالمي.

المبحث الأول: المنطلقات الفكرية والعقدية لمنهجه

يتأسس كل مشروع فكري إصلاحي على منطلقات عقائدية وفكرية تحدد أُطره النظرية ومقاصده التطبيقية. وتظهر أهمية هذه المنطلقات في مشروع بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) بوضوح شديد، حيث جعل من "رسائل النور" تجسيدًا عمليًا لمنهجه العقدي والتربوي، مستندًا إلى أسس إيمانية راسخة مستمدة من القرآن والسنة، ومعتمدًا على منطق عقلاني تربوي متوازن يواكب مقتضيات العصر دون أن يُفرّط في الأصول.

العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدرين أصيلين

أبرز ما يميز منهج النورسي الفكري هو اعتماده الكلّي على الكتاب والسنة كمصدرين أصيلين للتصور العقدي والتربوي. وقد صرح مرارًا في "الكلمات" و"اللمعات" أن القرآن هو الشفاء الوحيد

لأمراض هذا العصر، وكتب يقول: «إنّ هذا الزمان هو زمان القرآن، ولا سبيل إلى الهداية إلا بنوره»[1]. وقد حث على الرجوع إلى هدي النبي ﷺ باعتباره تجسيدًا عمليًا للقرآن الكريم، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] . وهذا الاعتماد الأصلي مكّنه من مواجهة الاتجاهات الفكرية المادية والعلمنة التي اجتاحت المجتمع التركي بعد سقوط الخلافة.

توجيه العقل نحو اليقين الإيماني

اعتمد النورسي في مشروعه على تفعيل العقل كأداة للوصول إلى اليقين الإيماني، وليس لمعارضة النقل. وقد بيّن ذلك في أكثر من موضع، مؤكدًا أن "العقل إذا أُنير بنور الإيمان يصبح مرآة للأسماء الحسنى، وإذا انقطع عن الوحي يُصبح وسيلة للضلال[2]. ولذلك استخدم في "رسائل النور" الأدلة العقلية والفيزيائية في إثبات العقائد، مثلما نراه في "الكلمة العاشرة" التي تثبت البعث باستخدام براهين من الطبيعة. فكان هدفه تأسيس الإيمان على القناعة العقلية، لا مجرد التقليد، دون الخروج عن الأطر الدينية [(3)].

التوازن بين العقل والنقل في تفسير النصوص

من أبرز ما يظهر في "رسائل النور" تحقيق النورسي لتوازن دقيق بين العقل والنقل، فليس العقل في منهجه وسيلة بديلة عن الوحي، بل وسيلة خادمة له. وقد واجه النورسي الإشكاليات الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والمادية بتحليل عقلاني يستند إلى النصوص النقلية، مجليًا بذلك انسجام الدين مع العقل الصحيح. فمثلاً، في "الشعاعات"، شرح صفات الله تعالى ووجوده من خلال التأمل في الكون والنظام، ثم ربط ذلك بآيات قرآنية تثبت المعنى العقائدي. فكان منهجه في التفسير يربط النص بالعقل والتجربة، ويُقدّم رؤية علمية روحية تجمع بين الأصالة والحداثة [(4)].

المبحث الثاني: الأسس التربوية والإصلاحية في مشروعه

يُعدّ البُعد التربوي والإصلاحي من أبرز الملامح المنهجية في مشروع سعيد النورسي، حيث لم يكن هدفه مقتصرًا على التنظير الفكري أو الدفاع العقدي فحسب، بل كان يسعى إلى إحداث نهضة روحية وأخلاقية شاملة في الفرد والمجتمع. وقد أدرك النورسي منذ وقت مبكر أن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية – من إلحاد، وتغريب، وانهيار منظومة القيم – لا تُواجه بشعارات سياسية أو نزعات

---

[1] النورسي، سعيد، الكلمات، ترجمة سُهيل حسن، (إستانبول: سوزلر للنشر، 2019) ص12

[2] الأحزاب: 21

[3] النورسي، سعيد، اللمعات، (إستانبول: دار سوزلر، 2020) ص145

[4] النورسي، سعيد، الشعاعات، (إستانبول: دار سوزلر، 2020) ص88.

صدامية، وإنما من خلال إصلاح النفوس وتربية الضمائر. وهذا ما جعله يركّز على الإنسان بوصفه محور التغيير، فعمل على صياغة منظومة تربوية متكاملة تُعنى ببناء الداخل الإنساني، وتُقدّم بديلًا حضاريًا قائمًا على الإيمان والعقل والقيم.

ويتميّز مشروع النورسي في هذا الباب بسمتين رئيسيتين: الأولى، إحياء الروح القرآنية التربوية عبر رسائل النور، بما تحويه من معالجات روحية وأخلاقية معمّقة؛ والثانية، تفعيل منهج الإصلاح الهادئ التدريجي القائم على الاقتناع الداخلي بدلًا من الإكراه الخارجي. فكان يؤمن بأن كل إصلاح خارجي لا يستند إلى تزكية النفس وتهذيب السلوك مآله إلى الانهيار. ومن هنا فإن دراسة الأسس التربوية والإصلاحية في فكر النورسي تمثل مدخلًا جوهريًا لفهم عمق مشروعه، وخصوصًا في ظل التحديات الفكرية والاجتماعية التي واجهها في سياق الدولة التركية الحديثة.

وقد امتازت هذه الأسس بأنها جمعت بين الرؤية القرآنية، والحكمة النبوية، واستيعاب الواقع، مما جعلها قابلة للتطبيق والتجديد في آنٍ معًا. وعليه، تأتي هذه الدراسة لتحليل أبرز هذه الأسس، مثل بناء الإنسان من الداخل، ومواجهة الإلحاد بالتربية، ومنهج التدرج في الإصلاح، عبر عرض منهجي وتحليلي مدعوم بالنصوص الأصلية والشواهد المرجعية [1].

بناء الإنسان من الداخل (تزكية النفس)

يُعدّ بناء الإنسان من الداخل محورًا أساسيًا في المشروع الإصلاحي لسعيد النورسي، حيث أكد على أن إصلاح المجتمع لا يتم إلا من خلال إصلاح أفراده، وهو ما يتطلب تزكية النفوس وتطهير القلوب من أمراضها المعنوية. وقد استمد هذا التوجه من القرآن الكريم الذي اعتبر التزكية شرطًا للفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [2]. ولذلك ركّز النورسي في رسائل النور على مفاهيم مثل الإخلاص، والصبر، والتواضع، وصدق النية، معتمدًا على بناء باطني يُهذّب الغرائز ويغذّي الروح.

وقد عبّر النورسي في رسالته "الكلمة الثانية" عن أن "الإنسان خليفة في الأرض لأنه يحمل في نفسه مرآة تعكس أسماء الله وصفاته[3]، وهذا لا يتحقق إلا إذا تهذبت نفسه"، ومن هنا فإن المشروع التربوي عنده ينطلق من عمق روحي يربط الفرد بخالقه. يُظهر هذا العمق بوضوح في تأكيده على التفكر، ومحاسبة النفس، ودوام الذكر، كوسائل لترقية الإنسان أخلاقيًا وروحيًا.

---

1 عبد الله، سعيد النورسي ومشروع النهضة، 42/1

2 الشمس: 9

3 عندما نقول: "لأنه يحمل في نفسه مرآة تعكس أسماء الله وصفاته"، فالمقصود بذلك ليس انعكاسًا ذاتيًا أو حلولًا إلهيًا في الإنسان – والعياذ بالله – بل المقصود أن الإنسان بما فيه من صفات الكمال المحدودة يعكس – بحسب قدرته وخلقه – أثر صفات الله تعالى وكمالاته المطلقة في الكون.

وفي هذا السياق، بيّن الباحث ابرهيم محمد ابو ربى' أن النورسي أعاد تشكيل مفهوم التربية الإسلامية ليجعله "تحولاً داخليًا للذات نحو المقصد الأعلى"، مع تجنب الصراع الخارجي والتركيز على إصلاح القلب والوجدان[1]. وهذا يتّضح في تعامله مع طلابه حيث كان يركز على التربية الروحية من خلال الصبر على الأذى والاحتساب، كما في نصوص رسائل "الشعاعات" و"المكتوبات" [(1)].

مواجهة الإلحاد والتغريب بالتربية والإقناع لا بالعنف

تميّز مشروع النورسي الإصلاحي بأنه لم يعتمد في مواجهة الإلحاد والتغريب على المواجهة الصدامية أو العنف، بل على التربية العقلية والإقناع الهادئ. وقد رأى أن الأزمات الفكرية التي أصابت المجتمعات الإسلامية، خاصة في تركيا بعد سقوط الخلافة، لا يمكن علاجها بالعنف، بل بتصحيح المفاهيم وتقوية الإيمان بالدليل والبرهان. قال النورسي: "لسنا في زمن القتال، بل نحن في زمن المحاجة، فالسلاح الحقيقي اليوم هو العلم والإيمان" [(2)].

أظهرت الرسائل العقائدية للنورسي، مثل "الكلمات" و"اللمعات"، مقاربة متفردة في الرد على الشبهات الفكرية، حيث قدّم أدلة عقلية مبنية على المشاهدة والتجربة والحس، إضافة إلى النقل. وكان يُخاطب فيها العقول بلغةٍ منطقية متزنة، تخلو من تكفير الخصم أو مهاجمته لفظيًا، وهو ما جعل خطابه مقبولًا حتى لدى بعض خصومه.

وقد أشار الدكتور فتحي يكن في دراسته عن الفكر الدعوي عند النورسي إلى أن "أهم ما ميّز سعيد النورسي (رحمه الله) هو رفضه للعنف حتى في أشد لحظات المحنة، فقد جعل من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة قاعدته الثابتة"[3]. ومن ثمّ فإن طريقته في معالجة التغريب كانت طريقة إصلاحية هادئة، تعوّل على التربية لا على المواجهة، وعلى الحوار لا على الإقصاء.

منهجية التدرج في الإصلاح والعودة إلى القيم

من السمات اللافتة في منهج النورسي الإصلاحي اعتماده على التدرج، فكان يؤمن أن الإصلاح لا يتم دفعة واحدة، بل يحتاج إلى مراحل تبدأ بإصلاح الفرد، ثم الأسرة، ثم المجتمع. وقد شبّه ذلك في بعض رسائله ببناء الجدران: "لا يمكن إقامة البناء إلا بترتيب الطوب واحدًا فوق الآخر"[(4)].

وقد استند النورسي في هذا التدرج إلى السنن الإلهية التي دلّت على أن الأنبياء – عليهم السلام

---

1 النورسي، الشعاعات/88.

2 ايضاً

3 النورسي، سعيد، الكلمات، ترجمة سُهيل حسن/12

4 ايضاً/14

– بدأوا دعوتهم بتقوية العقيدة، ثم تطهير الأخلاق، ثم تغيير الواقع. فكان يرى أن تغيير العقول والمفاهيم أسبق من تغيير الأنظمة. ولهذا، ركّز في بداية مشروعه على رسائل إيمانية (مثل الكلمات)، ثم تربوية (اللمعات)، ثم مجتمعية.

وقد علّق الباحث سكران وحيد على ذلك قائلة: "كان سعيد النورسي (رحمه الله) يدرك أن أي تغيير اجتماعي لا يستند إلى القيم الروحية والتدرج الواعي سيؤول إلى فشل، ولذا اعتمد على بناء طويل المدى في مشروعه الفكري"[1]. ويظهر هذا التدرج جليًا في طريقة نشره للرسائل، وفي تقسيماته الموضوعية التي تراعي التدرج في تناول القضايا من البسيطة إلى المعقدة.

المبحث الثالث: المعالجة الفكرية للمشكلات المعاصرة

تميز سعيد النورسي (رحمه الله) بمنهجه الفريد في مقاربة التحديات الفكرية المعاصرة، حيث سعى إلى معالجة الإشكالات المستجدة التي فرضها العصر الحديث، ومنها الحداثة، والعلمانية، وانهيار المرجعية الدينية، من منظور يجمع بين الأصالة الإسلامية وفهم عميق لمقتضيات العصر. فبدلًا من المواجهة الصدامية، اعتمد خطابًا إيمانيًا عقلانيًا يستهدف القلوب والعقول، ويوجّه المسلمين إلى التمسك بهويتهم دون الانغلاق أو الاستلاب. ومن خلال رسائل النور، قدم النورسي أطروحات إصلاحية عميقة تمثل معالجة فكرية راقية لمظاهر التحدي الثقافي والاجتماعي [(2)].

نقد الحداثة الغربية من منظور إيماني

لقد واجه النورسي الحداثة الغربية بموقف نقدي إيماني، حيث رأى أنها قامت على الإلحاد المادي وتغييب القيم الروحية، ففصلت بين الدين والحياة، وأعلت من شأن العقل المجرد على حساب الوحي. يقول: "المدنية الأوروبية تهتم بالجسد وراحته، أما المدنية القرآنية فتهتم بروح الإنسان ونجاتها"[1]. ولهذا رفض النورسي تقليد الغرب تقليدًا أعمى، ودعا إلى الاستفادة مما فيه من علوم وتقنيات، دون التنازل عن الهوية الإيمانية [(3)].

وانتقد النورسي استبدال القيم الدينية بالأيديولوجيات الوضعية كالعقلانية المتطرفة والمادية التاريخية، موضحًا أنها تؤدي إلى خلخلة الأسس الأخلاقية والروحية للمجتمع المسلم. وهو في ذلك يقترب من أطروحات المفكرين الإسلاميين المعاصرين كمالك بن نبي، الذي وصف الحضارة الغربية بأنها "متحضّرة من دون روح".

---

1 النورسي، سعيد، الكلمات، ترجمة سُهيل حسن/12

2 Malek Bennabi, The Question of Culture, IIIT, 2003, p. 91 .

3 سعيد النورسي، رسائل النور، الكلمة الثانية/76.

ركز النورسي كذلك على نقد النزعة الفردية والإباحية في الثقافة الغربية الحديثة، ورأى فيها تهديدًا لبنية الأسرة والقيم الاجتماعية. وفي رسائله بيّن كيف أن الانفصال عن الوحي يؤدي إلى ضياع الهدف الوجودي، فكتب: "من لم يعرف الله عاش قلقًا لا سكينة له"[1]. ولذلك كانت دعوته إلى العودة للإيمان دعوة لبناء الإنسان على الأساس القيمي لا المادي.

التصدي للعلمانية بدون تصادم

لم يعتمد النورسي في رفضه للعلمانية نهج التصادم مع الدولة أو المجتمع، بل ركز على التغيير التربوي الداخلي للأفراد. فقد أدرك أن المواجهة المسلحة تؤدي إلى مزيد من الاضطهاد وانهيار الدعوة، بينما العمل الصامت على بناء الإيمان هو الطريق الفعّال. ولهذا كتب: "الدين لا يُخدم بالسيف، بل بالنور"[2]، مشيرًا إلى أن الفكرة تُغلب بالفكرة لا بالقوة.

وواجه النورسي القوانين العلمانية التي منعت التعليم الديني ببدائل تربوية خفية، حيث نظم دروس الإيمان سرًا في القرى والجبال، وعبر المراسلات المكتوبة، واعتبر هذه الطريقة أسلم لمجتمع يتعرض للقمع. ويقول أحد تلاميذه: "كان يُدرّسنا في الليل نور الإيمان وسط ظلمة السياسة".[3]

اعتمد النورسي على خطاب هادئ لا يستفز السلطة، بل يخاطب العقلاء فيها لفتح مجال للحرية الدينية، فرفض تكفير المجتمع أو وصمه بالجاهلية كما وقع فيه بعض الحركات المعاصرة، بل أصر على أن "القلوب تُفتح بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالسباب والتخوين [4].

رؤيته في الحفاظ على الهوية الإسلامية ضمن دولة قومية علمانية

من التحديات الكبرى التي واجهها النورسي كيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية ضمن دولة قومية علمانية، وقد كان رده إبداعيًا، إذ فصل بين الدين كقيمة روحية وبين السياسة كمجال للمصالح، فرفض أن يكون الدين أداة للسيطرة أو التمرد، بل وسيلة للإصلاح الصامت المستمر. وقد كتب: "الإسلام لا يُختزل في السياسة، بل السياسة يجب أن تخدم الإسلام" [5].

عمل النورسي على صياغة مفهوم "الهوية الروحية" التي تحافظ على إيمان الفرد وقيمه في ظل التحولات السياسية. وبدلًا من الاشتباك مع الدولة، ركز على نشر رسائل النور وبناء نُخب ملتزمة

---

1 سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس/214

2 سعيد النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة عشرة/143

3 محمد أمين سرهندوي، ذكرياتي مع الأستاذ النورسي (إسطنبول: دار سوزلر، 2002م) ص115.

4 سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة/55

5 سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع السادس/193

بالقيم، قادرة على التأثير في المجتمع من الداخل. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن منهجه "يعدّ من أبرز النماذج الإصلاحية غير الصدامية في الفكر الإسلامي الحديث" [1].

وقد برز أثر هذا المنهج في تمسك آلاف الأتراك بدينهم رغم علمنة الدولة، بل وانتقال النموذج إلى خارج تركيا، مما يدل على فاعلية هذا الأسلوب الدعوي في بيئة علمانية، دون اللجوء إلى العنف أو الثورة. وهذا ما جعله محل اهتمام واسع في دراسات الفكر الإسلامي الإصلاحي في العصر الحديث [2].

المبحث الرابع: سمات المنهج الجدلي والحوار الهادئ

تميّز منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في رسائل النور بطابعه الجدلي المتزن الذي يجمع بين العمق العقلي والروح القرآنية. وقد تبنّى هذا المنهج في خضمّ صراع فكري وسياسي كانت تعيشه تركيا والعالم الإسلامي مع الحداثة والعلمانية والتغريب. فكان لا بدّ من خطاب دعويّ يواجه هذه التحديات ليس بأسلوب الصدام، وإنما بأسلوب يدمج العقل بالنقل، ويستعمل الحجة بدل الإقصاء، في إطار من الحوار الهادئ المبني على الاحترام والانفتاح، مما جعل رسائله مقبولة لدى شرائح متنوعة من القرّاء.

الاعتماد على البرهان والمنطق في الردود

اعتمد النورسي في كثير من رسائله أسلوب الحجة العقلية والمنطق البرهاني في الردّ على الشبهات المادية والإلحادية. فقد استند إلى قواعد علم الكلام القديم، وأعاد صياغتها بلغة العصر، دون التوقف عند المصطلحات المدرسية، بل تجاوزها إلى أمثلة محسوسة وتجريبية كما في "الكلمات" و"اللمعات". ففي "الكلمة العاشرة" على سبيل المثال، يستعمل النورسي مثال النبات الذي يخرج من البذور بعد دفنه، لإثبات البعث عقلاً وحسًا، مما يعكس وضوحًا منهجيًا في بناء البرهان [3].

كما أنه لم يقتصر على سرد الأدلة، بل رتّبها وفق تسلسل منطقي، يبدأ من المعطى الحسي، وينتقل إلى المعنوي، ثم إلى اليقين الإيماني. وهذا واضح في "اللمعة الثانية والعشرين" حيث يناقش وجود الله من خلال الحاجة إلى النور كما تحتاج العين إلى الضوء وهو مسلك منطقي يرتكز على مقدمات بسيطة تقود إلى نتائج يقينية [4].

---

1 M. Hakan Yavuz, Islamic Political Identity in Turkey (Oxford: Oxford University Press, 2003), p. 162.

2 Serif Mardin, Religion and Social Change in Modern Turkey: The Case of Bediuzzaman Said Nursi (Albany: SUNY Press, 1989), pp. 47–48.

3 سعيد النورسي، الكلمات، ضمن رسائل النور، ص: 342

4 سعيد النورسي، اللمعات، رسائل النور، ص: 568.

وقد لقي هذا النهج تقديرًا من باحثين غربيين أيضًا، مثل "Colin Turner" الذي رأى أن النورسي أعاد لعلم الكلام الإسلامي حيويته، بجمعه بين منطق الفلاسفة وروحانيات المتصوفة دون انغلاق مذهبي أو عداء عقلي [1].

احترام المخالف ومخاطبة العقول لا الأجساد

أبرز ما ميّز خطاب النورسي هو احترامه لمخالفيه سواء كانوا ملاحدة أو علمانيين أو حتى من خصوم الدين التقليديين. فهو لم يستخدم خطاب التكفير أو الاستهزاء، بل دعاهم إلى الحوار العقلي، وبيّن لهم مواطن الخلل في تفكيرهم بلغة مفعمة بالشفقة والرحمة، كما نقرأ في مقدمة "الكلمة الثانية عشرة" حيث يقول: "أيها الأخ، لا أراك خصمًا، بل مريضًا أصف له دواء العقل والإيمان" [2].

وقد تميزت رسائل النور بالمخاطبة المباشرة للقارئ، بلغة عقلية وجدانية، تحترم حريته الفكرية، ولا تفرض عليه قناعة، بل تدعوه إلى التأمل والتفكر. ولهذا السبب كان يكثر من استخدام "يا أخي" أو "أيها الإنسان"، مما يخلق صلة وجدانية بين الكاتب والقارئ. وهذه الطريقة تقرب المسافات النفسية وتُهيّئ القارئ لتقبّل الرسالة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الأسلوب ساهم في نشر الرسائل بين غير المسلمين أيضًا، إذ وجدوها خطابًا إنسانيًا لا يصادم، بل يحاور، كما أكد على ذلك المفكر الألماني Thomas Michel في دراسته حول التسامح في رسائل النور [3].

استخدام لغة جامعة و بسيطة

استعمل النورسي لغة قرآنية جامعة، خالية من المصطلحات الحزبية أو الانقسامات المذهبية، فكان يقصد بكتاباته عامة الناس، ولا يوجّهها إلى فئة مخصوصة، كما هو بيّن في رسائله الموجهة إلى "طلاب النور"، حيث خاطبهم بأنهم "أمة محمد" لا طائفة ولا حزبًا.

وقد اختار النورسي ألفاظًا مألوفة غير معقدة، وحافظ على روح القرآن في تعبيره، مما جعله أقرب إلى الأميين كما إلى العلماء. وكتب بلغتين: تركية عثمانية وعربية، مراعيًا فئات متعددة من المجتمع التركي والعالمي، كما نرى في رسائله الموجهة إلى طلبة المدارس والجامعات.

---

1 Colin Turner, The Qur'an Revealed: A Critical Analysis of Said Nursi's Epistemology, (Oxford: Oxford Centre for Islamic Studies, 2009), p. 122

2 سعيد النورسي، الكلمات، ص: 172

3 Thomas Michel, Insights from the Risale-i Nur: Said Nursi's Approach to Dialogue, in "Islam at the Crossroads", ed. Ibrahim Abu Rabi' (Albany: SUNY Press, 2003), p. 211.

وتُجمع الدراسات المعاصرة على أن هذا الأسلوب الجامع هو من أسرار انتشار الرسائل في بيئات متعددة، منها ما أشار إليه الباحث التركي سكران وحيد في دراستها حول البناء اللغوي لرسائل النور حيث قالت: "لقد صاغ النورسي خطابًا يتجاوز الحدود القومية، ويستهدف العقل المسلم والضمير الإنساني معًا" [1].

الخلاصة: يتجلّى من خلال دراسة سمات المنهج الجدلي والحوار الهادئ عند سعيد النورسي، أنّ مشروعه الفكري والدعوي لم يكن مجرّد ردّ فعل عاطفي على تحديات عصره، بل كان نتاج رؤية متكاملة تمزج بين الإيمان والعقل، وبين الأصالة والتجديد. فقد وظّف البرهان العقلي والمنطق المتين كوسيلة للردّ على الشبهات الفكرية، دون أن يقع في فخ الجدل العقيم أو التشدد في الطرح. بل اختار طريقًا معتدلاً، يجعل من البرهان لا سيفًا لمهاجمة الآخر، بل مفتاحًا لفتح أبواب القلوب والعقول.

ولعلّ أعظم ما يميّز هذا المنهج هو احترام الآخر وإنسانيّة الخطاب، حيث تعامل النورسي مع المخالف ـ سواء كان علمانيًا أو ملحدًا أو مغتربًا فكريًا ـ بلغة رحيمة، تتفادى التحقير أو الإقصاء، وتُركّز على مخاطبة الفطرة والعقل، كما هو ديدن القرآن الكريم. ومخاطبته للإنسان بما هو "كائن مسؤول عن مصيره" جعل من رسائله ذات تأثير تربوي وروحي دائم، لا ينتهي عند لحظة الحوار.

وختامًا، فإنّ اعتماد النورسي على لغة جامعة وحيادية، بعيدة عن التشنّج الطائفي أو التحيّزات الأيديولوجية، جعله رائدًا في بناء نموذج حواري يصلح للاقتداء في بيئة معاصرة يغلب عليها الصراع والاستقطاب. إنّ منهجه لا يقدّم فقط مادة فكرية غنية، بل يُبرز أسلوبًا عمليًا في الدعوة، جديرًا بالتمحيص والاستلهام في مشروعات النهضة الإسلامية المعاصرة.

---

1 Şükran Vahide, The Author of the Risale-i Nur: Bediuzzaman Said Nursi, (Istanbul: Sozler Publications, 2005), p. 145.

الباب الثاني: منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الدعوة

الفصل الاول: التعريف بالدعوة وأصولها

الفصل الثاني: أساليب الدعوة في رسائل النور

الفصل الثالث: منهج سعيد النورسي (رحمه الله) فى الدعوة

الفصل الاول:التعريف بالدعوة وأصولها

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: مشروعية الدعوة في القرآن والسنة

المبحث الثالث: أهداف الدعوة الإسلامية

المبحث الرابع: خصائص الدعوة الإسلامية

المبحث الخامس: أصول الدعوة الأساسية

تُعد الدعوة الإسلامية ركيزة أساسية في بناء الأمة الإسلامية، ومقومًا في رسالتها العالمية، إذ إن الله سبحانه وتعالى قد بعث الرسل والأنبياء ليبلغوا رسالاته ويدعوا الناس إلى التوحيد وعبادته وحده لا شريك له. وقد جاءت هذه الدعوة بشمولها ووضوحها لتكون هادية للناس في شؤون دينهم ودنياهم، لذلك فإن المعرفة على المفهوم الدقيق للدعوة، وأصولها، وأهدافها، وخصائصها، تعد مقدمة ضرورية لفهم أي منهج دعوي، لا سيما المنهج الذي سلكه العلامة سعيد النورسي (رحمه الله) في مشروعه الإصلاحي. ومن هنا، يتناول هذا الفصل الأسس النظرية التي تقوم عليها الدعوة الإسلامية، من حيث التعريف والمشروعية، والغاية، والسمات، والركائز.

ويتناول الفصل في مباحثه الأولى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للدعوة، كما يبين مشروعيتها بالأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية. ثم يعرض للأهداف الكبرى التي تسعى إليها، مثل الهداية، والإصلاح، وإقامة القيم، متوقفًا عند خصائصها التي تميزها عن غيرها من الدعوات، مثل الشمول والرحمة والوسطية. ويختم هذا الفصل بتناول الأصول الكبرى التي تقوم عليها، كالتوحيد والإخلاص والاقتداء بالنبي ﷺ، وهي أصول تؤسس لبناء منهج دعوي متكامل، يكون منطلقًا لفهم جهود المجددين والدعاة في العصور الحديثة، وفي مقدمتهم سعيد النورسي.

المبحث الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

أولاً: المعنى اللغوي للدعوة

كلمة "الدعوة" مشتقة من الجذر الثلاثي "د ع و"، ومصدرها "دعوة"، ويُطلق على القائم بهذا الفعل "داعية"، وجمعه "دعاة". وتدل هذه المادة في اللغة العربية على النداء والطلب والدعاء والاستمالة، كما تُشير إلى التجمع والتوجه نحو شيء ما بالكلام أو السلوك.

وقد أورد الزمخشري[1] أن:

"دعوتُ فلاناً وبفلان، أي ناديتُه وصرختُ به"[2].

أما زين الدين الرازي[3] فقد ذكر أن:

"الدعوة إلى الطعام تُقال بالفتح: كنا في دعوة فلان، أي تمت دعوتنا إلى وليمة أو

---

1 هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، المعروف بالزمخشري (467–538هـ)، مفسّر ونحوي وأديب، من أشهر كتبه الكشاف عن حقائق التنزيل.(الزركلي، الأعلام، ج7، ص185.)

2 الزمخشري، محمود بن عمرو جار الله، أساس البلاغة (بيروت: دار الفكر، 1399هـ / 1979م) 189/1

3 هو زين الدين عمر بن سهلان الرازي (ت. 666هـ)، فيلسوف ومتكلم ومنطقي، له مصنفات عديدة في المنطق والفلسفة.(الزركلي، الأعلام، ج5، ص79.)

مأدبة"[1].

ويشير القرآن الكريم إلى الاستخدام المجازي للدعوة في نسب التبني، كما في قوله تعالى:

﴿ وَ مَا جَعَلَ اَدْعِيَآءَكُمْ اَبْنَآءَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِاَفْوَاهِكُمْ وَ اللّٰهُ يَقُوْلُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِى السَّبِيْلَ اُدْعُوْهُمْ لِاٰبَآئِهِمْ هُوَ اَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ فَاِنْ لَّمْ تَعْلَمُوْٓا اٰبَآءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِى الدِّيْنِ وَ مَوَالِيْكُمْ﴾ [2].

ومن معانيها: النداء للاستجابة، والدعاء إلى الخير، كما جاء في الحديث الشريف:

"دع داعي اللبن"[3].

وقد فصّل ابن منظور[4] في "لسان العرب" مفهوم الدعوة فقال:

"الدعوة هي مرة واحدة من الدعاء، والدعاء هو نداء أو طلب من الغير. كما تُستعمل في الدعوة إلى بيعة، سواء للهدى أو الضلالة، والداعية هو من يدعو إلى فكرة ما، والزيادة في (داعية) للمبالغة." [5].

أما الزبيدي فيُعرف الدعوة بأنها:

"الرغبة إلى الله تعالى بالسؤال والابتهال، والدعاء من باب التفعل بمعنى التوسل، ومنه قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً [6]﴾"[7].

ويُضيف ابن فارس[8] أن بعض العرب أنثوا الدعوة فقالوا "الدعوى"، ويُفهم من سياق دعائهم:

"اللهم أشركنا في دعوى المسلمين"، أي في دعائهم وذكرهم لله

الخلاصة اللغوية:

الدعوة لغةً تدور حول معاني النداء، الطلب، السؤال، التوجيه، والإغراء نحو غرض معين.

---

1 الرازي، ابوعبد الله محمد بن ابى بكر، مختار الصحاح (بيروت: المكتبةالعصرية، 1999) 1420/86/1

2 الأحزاب: 4-5

3 المقدسى، ضياء الدين ابوعبد الله محمد بن عبد الواحد، الأحاديث المختارة (بيروت: مكتبة النهضة الحديثة 2000/1420) 8 /91، إسناده صحيح

4 هو محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الإفريقي المصري (630-711هـ)، إمام في اللغة، أشهر كتبه لسان العرب.(الزركلي، الأعلام، ج7، ص32.)

5 ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر) 14/258-259

6 يونس: 10

7 الزبيدي، محمد مرتضى الحسيينى، تاج العروس من جواهر القاموس (بيروت: دار احياء التراث، 2001) 47/38

8 هو أحمد بن فارس بن زكريا (329-395هـ)، لغوي جليل، ومن أبرز مؤلفاته مقاييس اللغة.(الزركلي، الأعلام، ج1، ص121.)

وتُستخدم في سياقات دنيوية (كالولائم) وأخرى أخروية (كالدعاء إلى الله أو الدعوة إلى الدين).

ثانياً: الدعوة اصطلاحاً

كلمة "الدعوة" اصطلاحًا تُستعمل بمعنيين رئيسيين:

الدعوة بمعنى الرسالة والدين:

وهو أن تُطلق الدعوة على الإسلام ذاته، كونه الرسالة التي بعث الله بها أنبياءه لهداية البشرية.

الدعوة بمعنى العملية الدعوية: أي الجهد المنظم لنقل هذا الدين إلى الناس، من خلال التبليغ، والتعليم، والتربية.

أولًا: الدعوة بمعنى الرسالة والإسلام:

وقد وردت تعريفات متعددة للدعوة بهذا المعنى، منها:

محمد عبد الرحمن الراوي يقول:

"الدعوة هي دين الله الذي بُعث به الأنبياء، متجددًا بكماله على يد محمد ﷺ، يحقق صلاح الدنيا والآخرة"[1].

أبو السعود[2] يُعرفها بأنها:

"نداء الحق للخلق لتوحيد الله وعبادته وحده دون شريك"[3].

كما قيل إنها:

"النظام الكامل للسلوك الإنساني المبني على الاعتراف بالخالق والإحسان إلى المخلوق"[4].

ثانيًا: الدعوة بمعنى التبليغ والنشر:

هذا هو المعنى المقصود في هذا البحث، وقد تعددت تعريفاته عند العلماء:

ابن تيمية رحمه الله عرفها بقوله:

---

1 الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية (بيروت: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م) ص11-12

2 هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الشهير بأبي السعود (896-982هـ)، مفسّر وفقيه حنفي، تولى قضاء القضاة في الدولة العثمانية، وأشهر مؤلفاته تفسير أبي السعود المعروف بـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

3 أبو السعود، التخطيط للدعوة الإسلامية (مصر: دار التوفيق، 1992م) ص19

4 ايضاً

"الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبرسله، والعمل بتصديقهم وطاعتهم، والدعوة إلى إقامة أركان الإسلام والإيمان باليوم الآخر والقدر"[1].

محمد البيانوني قال:

"هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه لهم، وتطبيقه في حياتهم العملية"[2].

محمد الخطيب[3] يرى أن الدعوة هي:

"حث الناس على فعل الخير، والنهي عن الشر، والتحبيب بالفضائل، والتنفير من الرذائل"[4].

توفيق الواعي[5] يُعرفها بأنها:

"الدعوة إلى توحيد الله وتنفيذ منهجه في الأرض، كما جاء في القرآن والسنة، ليكون الدين كله لله"[6].

عبد الله يوسف الشاذلي يصفها بأنها:

"فن جذب الآخرين إلى الإسلام أو المحافظة على إيمانهم بأساليب مناسبة"[7].

محمد الخضر حسين[8] يراها بأنها:

"جهد لإنقاذ الناس من الضلالة والتحذير من الوقوع في الشر"[9].

رؤوف شلبي[10] يعتبرها:

---

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى (السعودية: مكتبة ابن تيمية) 15/157-158

2 البيانوني، محمد ابو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة (الرياض، المكتبة الاسلامية،1999) ص17

3 هو محمد الخطيب، من أعلام القرن العشرين، باحث إسلامي ومؤلف في الفقه والدعوة. (الزركلي، الأعلام، ج7، ص65.)

4 الخطيب، محمد طاحون، مرشد الدعاة (قاهرة: دار المعرفة، 1981ء) ص24

5 هو توفيق يوسف الواعي (1344-1429هـ/1925-2008م)، كاتب ومفكر مصري، له مؤلفات عديدة في الفكر الإسلامي والدعوة.(الزركلي، الأعلام، ج2، ص110.)

6 الواعي، توفيق، الدعوة إلى الله (الرياض: مكتبة الفلاح، 1986م) ص19

7 الشاذلي، عبد الله بن يوسف، الدعوة والإنسان (طنطا: المكتبة القومية) ص39

8 هو محمد الخضر بن حسين بن طاهر (1293-1377هـ/1876-1958م)، عالم وأديب تونسي الأصل، مصري المعيشة، تولى مشيخة الأزهر سنة 1952م، وكان من كبار الدعاة والمصلحين، من كتبه نقض كتاب في الشعر الجاهلي و الاتجاهات الدينية والإصلاحية.(الزركلي، الأعلام، ج6، ص92.)

9 الخضر حسين، محمد الدعوة إلى الإصلاح (رياض: المطبعة السلفية، 1346هـ) ص17

10 هو رؤوف شلبي، من المفكرين والكتاب المعاصرين في مصر، ألّف كتباً في العقيدة والتاريخ والفكر الإسلامي.(الزركلي، الأعلام، ج3، ص245.)

"عملية إحياء للنظام الإسلامي بهدف نقل الأمة من واقع إلى واقع جديد"[1].

عبد الرحيم المغذوي[2] يرى أنها:

"قيام الداعية المؤهل بنقل الإسلام للناس بما يناسب زمانهم ومكانهم"[3].

حمد ناصر العمار يرى أن هذه التعريفات لا تتناقض، بل تُكمل بعضها بعضًا؛ لأن كل منها يعكس جانبًا من جوانب هذا العمل العظيم[4].

يتضح أن الدعوة لغةً تدور حول النداء والطلب والتوجيه، بينما اصطلاحًا تشمل معنى الرسالة السماوية التي جاء بها الأنبياء، وكذلك عملية التبليغ والتعليم والتغيير في المجتمع. وهذه المهمة تعد أشرف الأعمال وأعظمها أثرًا في بناء الإنسان والمجتمع، وهي محور هذا البحث الذي يتناول جهود الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) في هذا المجال.

المبحث الثاني: أهمية الدعوة في القرآن والسنة

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم

الدعوة إلى الله عزّ وجلّ مشروعة بنصوص كثيرة من القرآن الكريم، وهي تمثل أساسًا من أسس هذا الدين، بل هي مهمة الرسل والأنبياء، ثم من تبعهم بإحسان. ومن هذه الآيات:

قوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5].

التفسير: هذه الآية تُعتبر من أُمّهات النصوص في باب الدعوة، وهي تتضمن منهجًا متكاملًا للداعية، من حيث الأسلوب والمخاطبة؛ حيث تبدأ بالحكمة، وهي وضع الشيء في موضعه المناسب، وتليها الموعظة الحسنة، ثم الجدال بالحسنى عند الحاجة. وهذا يُشير إلى مراعاة حال المدعو واختيار الأسلوب المناسب له.

قوله تعالى:

---

1 شلبي، رؤوف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (بيروت: دار القلم، 1982م) ص32

2 هو عبد الرحيم بن الحسين المغذوي (من أعلام تونس في القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي)، فقيه وأديب، اشتغل بالتعليم والتأليف، وله إسهامات في الأدب العربي والفقه المالكي.

3 المغذوي، عبد الرحيم بن محمد، الأسس العلمية لمنهج الدعوة (الرياض: دار الخضارة،1431) ص49

4 العمار، حمد ناصر، نصوص الدعوة في القرآن، (دمشق: دار إشبيليا، 2002م) ص18

5 النحل: 125

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [1].

التفسير: هذه الآية تُثني على من يشتغل بالدعوة إلى الله، وتُقدّمه على غيره في حسن القول والعمل، وتربط الدعوة بالعمل الصالح والانتماء الصريح إلى الإسلام.

قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [2].

التفسير: الأمر الإلهي بوجود جماعة قائمة بمهمة الدعوة يدل على فرض الكفاية في هذا الباب، ويبين أن الفلاح الأخروي مرتبط بممارسة هذه الوظيفة.

قوله تعالى:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [3].

التفسير: في هذه الآية الكريمة يوضح الله تعالى أن طريق النبي ﷺ وأتباعه قائم على الدعوة إلى الله عن علم وبصيرة، لا عن جهل وتخبط. وهذا يُشير إلى وجوب التسلح بالعلم والفهم السليم في ميدان الدعوة.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [4].

التفسير: هذا يُشير إلى لزوم تبليغ ما أنزل من العلم والدين، وعدم كتمانه، وهو أصل في وجوب الدعوة وبيان الحق.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية

الدعوة إلى الله هي سنة رسول الله ﷺ، وقد أمر بها قولًا وعملاً، ونُقل عنه في ذلك عدد وافر من الأحاديث، نذكر منها:

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

---

1 فصلت: 33

2 آل عمران: 104

3 يوسف: 108

4 آل عمران: 187

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ:

«إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ...» [1].

الشرح: في هذا الحديث بيان منهجي للدعوة، إذ يُبدأ بالأهم فالأهم، ويُستخدم أسلوب التعليم التدريجي، وهو أصل في منهج الدعاة.

حديث سهل بن سعد رضي الله عنه:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه:

«فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» [2].

الشرح: هذا الحديث يدل على عظم أجر الدعوة، وأنها أفضل من أغلى ما يملكه العرب، وهو إبلهم الحمراء. فيه تحفيز للدعاة وتقدير لعملهم.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا...» [3].

الشرح: يدل هذا الحديث على استمرارية الأجر للداعية، وأنه يُشرك في أجر من اهتدى به، ما دام عمله باقيًا، وهي من أعظم الفضائل للدعوة.

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...» [4].

---

1 البخاري، الجامع الصحيح (بولاق مصر: المطبعةالكبرى،1311) كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم 1395، ومسلم، صحيح مسلم (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1955/1374) كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، حديث رقم 19

2 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث رقم 3701، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم 2406

3 مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة، حديث رقم 2674

4 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم 3461

الشرح: يُشير إلى مسؤولية كل مسلم في الدعوة بحسب علمه، حتى وإن كان قليلاً. وهذا يُعزز مفهوم عموم واجب التبليغ.

خلاصة المبحث

يتبين من خلال ما سبق أن الدعوة إلى الله هي أمر مشروع ومؤكد، جاءت به نصوص الكتاب والسنة، وهي من أبرز مهام الأنبياء ومن ورثهم من العلماء والدعاة. وتشمل في معناها تبليغ الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالحكمة والموعظة الحسنة. كما أن الداعي مأجور على عمله في الدنيا والآخرة، وقد قرن الله بين الدعوة والفلاح، وأمر بها في مواضع متعددة، مما يدل على عظمتها وعلو منزلتها.

المبحث الثالث: مقاصد الدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية ليست عملاً عشوائيًا أو نشاطًا ارتجاليًا، بل هي منهج إلهي له أهداف سامية ومقاصد عظيمة، ترتكز على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى الوعي، ومن الشرك إلى التوحيد. ومن أبرز أهدافها:

أولاً: الهداية

1. معنى الهداية لغة و اصطلاحاً:

الهداية في اللغة تعني الدلالة والإرشاد إلى الطريق، أما في الاصطلاح الشرعي فتعني: إيصال العبد إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، عبر الإيمان والعمل الصالح، وهي الغاية العظمى من الدعوة.

2. الأدلة من القرآن الكريم:

قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [1].

تفسير: أي يهدي الله إلى طريق الحق من يرجع إليه بالتوبة ويخضع له، والهداية هنا هي ثمرة الدعوة التي تجد في القلوب المتواضعة أرضًا خصبةً.

قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [2].

---

[1] الشورى: 13

تفسير: الله يخبر نبيّه ﷺ أنه يدلّ الناس على الصراط المستقيم، أي دين الإسلام، وهذه هي مهمة النبيّ الأولى، ومن ثم مهمة الدعاة من بعده.

3. الأدلة من السنة النبوية:

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» [1].

الشرح: فيه بيان فضل الهداية وأنها أعظم من متاع الدنيا، وتؤكد أن الهداية هي الهدف الأسمى للدعوة.

4. أقوال العلماء:

قال ابن القيم:

"الهداية نوعان: هداية الدلالة، وهي إلى الأنبياء والدعاة، وهداية التوفيق، وهي إلى الله وحده، والدعاة مهمتهم إيصال الأولى." [2].

ثانيًا: الإصلاح

1. المعنى والمقصد:

الإصلاح هو إزالة الفساد في العقائد والأخلاق والسلوك والمجتمعات، وتحقيق الاستقامة الفردية والجماعية، وهو من أعظم أهداف الرسل والدعاة.

2. الأدلة من القرآن الكريم:

قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [3].

تفسير: يُعلن شعيب أنّ هدفه ليس سوى الإصلاح في قومه، وأنه يسعى لذلك بقدر طاقته، مستندًا إلى توفيق الله وحده.

---

[2] الشورى: 52

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث: 3701

[2] ابن القيم، محمد بن ابى بكر، مدارج السالكين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م) 345/1

[3] هود: 88

قوله تعالى:

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [1].

تفسير: يتضمّن القاعدة العامة في القرآن، وهي أن الصلح مقدَّم على الخصومة، وأن الإصلاح مقصد شرعي في كل نواحي الحياة.

3. الأدلة من السنة:

حديث النبي ﷺ:

«أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [2].

الشرح: يدل الحديث على مسؤولية كل فرد في إصلاح من هو تحت ولايته، وهذا الإصلاح يبدأ من الأسرة إلى المجتمع كله.

4. أقوال العلماء:

قال الإمام الطبري:

"الدعوة إلى الله تتضمن النهي عن الفساد، والدعوة إلى الصلاح، فإنها لا تتم إلا بذلك." [3].

وقال ابن تيمية:

"القيام بالإصلاح في الأرض هو من أعظم مقاصد الشريعة، ومن أعظم مقاصد بعثة الرسل." [4].

ثالثًا: إقامة القيم

1. معنى اقامة القيم لغة و اصطلاحاً:

---

1 النساء: 128

2 ا لبخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى، حديث: 893، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الامام العادل، حديث: 1829

3 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيانفى تأويل آى القرآن (القاهرة: دار هجر، 2001م) 234/12

4 ابن تيمية، احمد، الفتاوى الكبرى (بيروت: دار المعرفة) 252/11

إقامة القيم تعني ترسيخ المبادئ الأخلاقية والروحية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام، كالتقوى، والعدل، والرحمة، والصدق، والتعاون، وهذه من غايات الدعوة الكبرى.

2. الأدلة من القرآن الكريم:

قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحسان وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [1].

تفسير: هذه الآية تجمع أبرز القيم الإسلامية، وتُعدّ محورًا للدعوة الإسلامية في تربية النفوس والمجتمعات.

قوله تعالى:

﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [2].

تفسير: يوجب الله التعاون في إقامة القيم والبناء الأخلاقي، وينهى عن معاونة أهل الباطل والفساد.

3. الأدلة من السنة:

حديث النبي ﷺ:

«إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ» [3].

الشرح: يصرّح ﷺ أن من أهداف بعثته غرس القيم والأخلاق، فالدعوة بدون أخلاق لا تؤتي ثمارها.

4. أقوال العلماء:

قال القرطبي:

"الآية (النحل: 90) من أجمع آيات القرآن في باب القيم، وهي أصل في باب الدعوة الأخلاقية والاجتماعية." [4].

---

1 النحل: 90

2 المائدة: 2

3 أحمد ابن حنبل، المسند (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001/1421) 381/2، والبيهقي، احمد بن الحسين، السنن الكبرى (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003/1424) حديث: 21315، وقال الألباني: حسن

4 القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار الفكر) 142/10

وقال الشاطبي:

"من مقاصد الشريعة الكبرى: حفظ الأخلاق والقيم التي بها تستقيم حياة الناس." [1].

خلاصة المبحث الثالث:

تتمثل أهداف الدعوة الإسلامية في:

هداية الخلق إلى عبادة الله وحده.

إصلاح العقائد والأخلاق والمجتمعات.

إقامة منظومة القيم الإسلامية التي تضمن استقامة الحياة.

وكل هذه الأهداف مستندة إلى الوحي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأقوال العلماء الراسخين، وهي تُعدّ جوهر رسالة الإسلام في كل زمان ومكان.

المبحث الرابع: خصائص الدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية تمتاز بخصائص ربانية تجعلها عامة وصالحة لكل زمان ومكان، وتؤهلها للقيام بدورها في هداية البشرية، وتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. ومن أبرز هذه الخصائص:

أولًا: العموم

1. معنى العموم:

العموم في الدعوة الإسلامية يعني أنها لا تقتصر على جانب واحد من حياة الإنسان، بل تشمل جميع مناحي الحياة: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، والنظام الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي. فالإسلام ليس دين طقوس عبادية فقط، بل منهج شامل للحياة. وهذا ما يُميز الدعوة الإسلامية عن سائر الدعوات الأرضية، إذ لا تترك شاردة ولا واردة في حياة الإنسان إلا أرشدت إلى وجه الحق فيها.

2. أدلة العموم من القرآن والسنة:

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [2].

---

1 الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات (القاهرة: دار المعرفة) 15/2

2 الأنعام: 162

التفسير: توضح الآية أن حياة المسلم بأكملها، من العبادة إلى أدق شؤون الحياة والموت، مرتبطة بعقيدة التوحيد، وهذا عين الشمول.

وقال رسول الله ﷺ:

«ما تَرَكْتُ شيئًا يُقَرِّبُكُمْ إلى اللهِ إلَّا وأمَرْتُكُمْ بهِ، وما تَرَكْتُ شيئًا يُبَاعِدُكُمْ عَنْ اللهِ إلَّا ونَهَيْتُكُمْ عنهُ» [1].

الشرح: يدل على أن النبي ﷺ بلّغ دينًا شاملًا يغطي كل ما فيه مصلحة للناس في دينهم ودنياهم.

3. أقوال العلماء:

قال الإمام الشاطبي:

"الشريعة الإسلامية كلها جاءت لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، وهي شاملة لكل ما يحتاجه الناس من مصالحهم." [2].

وقال ابن تيمية:

"الدين الذي بعث الله به نبيه ﷺ، يشمل كل ما يحتاجه البشر من أصول العقائد، وفروع الشريعة والأخلاق والسياسات." [3].

ثانيًا: الوسطية

1. معنى الوسطية:

الوسطية هي التوازن والاعتدال بين الإفراط والتفريط، وبين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة. وهي تعني أيضًا العدل في التفكير والسلوك، والبعد عن الغلو والتنطع، وهي صفة ملازمة للدين الإسلامي، بل هي إحدى ملامحه الكبرى، ومطلوبة في كل مجالات الدعوة: الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

2. الأدلة من القرآن والسنة:

قال الله تعالى:

---

1 الطبرانى، سليمان بن احمد بن ايوب، المعجم الكبير (رياض: دار الصميعى،1994/1415) حديث: 10253، وقال الألباني: حسن

2 الشاطبي، الموافقات، 9/2

3 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، 246/11

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [1].

التفسير: الأمة الوسط هي العادلة المعتدلة، وأُطلق الوصف عليها للدلالة على أن دعوتها تجمع بين الجوانب الروحية والمادية، وبين عبادة الله وعمارة الأرض.

وقال رسول الله ﷺ:

«إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» [2].

الشرح: يدعو النبي ﷺ إلى الاعتدال في الدين، وينهى عن الغلو والتشدد، وهو من مظاهر الوسطية المطلوبة في الدعوة الإسلامية.

3. أقوال العلماء:

قال القرطبي في تفسير الوسطية:

"الوسط هو الخيار الأعدل، أي خير الأمم وأعدلها، لأن الوسطية تشير إلى التوازن بين طرفي الغلو والتقصير." [3].

وقال يوسف القرضاوي:

"الوسطية فريضة إسلامية، وهي من خصائص الدعوة، تحميها من التطرف والانحراف." [4].

ثالثًا: الرحمة

1. معنى الرحمة:

الرحمة هي رقة في القلب تحمل صاحبها على الإحسان إلى الخلق، والدعوة الإسلامية مبنية على الرحمة لا على القسوة، وعلى اللين لا على الغلظة، لأن هدفها هداية الناس لا تعذيبهم، ولذا كانت الرحمة سمةً بارزة في شخصية الرسول ﷺ، وفي كل توجيهاته الدعوية.

2. الأدلة من القرآن والسنة:

قال الله تعالى:

---

1 البقرة: 143

2 النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي (قاهرة: المكتبةالتجارية الكبرى، 1930/1348) كتاب المناسك، باب التَّشْدِيدِ فِي التَّعْرِيفِ، حديث: 3057، وصححه الألباني

3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 153/2

4 القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (القاهرة: مكتبة وهبة) ص 21

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [1].

التفسير: الرسالة المحمدية كلها رحمة: للمؤمنين، وللكافرين في دعوتهم بالحكمة، وللخلق أجمعين في تشريعاتها العادلة.

وقال النبي ﷺ:

«اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» [2].

الشرح: يظهر في هذا الحديث كيف أن النبي ﷺ تعامل مع قومه بالرحمة رغم إيذائهم له، ودعا لهم بالهداية بدل الدعاء عليهم، وهو من أعظم مظاهر الرحمة في الدعوة.

3. أقوال العلماء:

قال ابن القيم:

"الرسول ﷺ أرحم الخلق بالخلق، وكانت دعوته مبنية على الرفق واللين، ولهذا فَتَحَ اللهُ بها القلوب قبل الأبدان." [3].

وقال النووي:

"الرحمة من أعظم صفات الأنبياء، والدعاة إلى الله لا ينجحون إلا إذا اقتدوا بهم في رحمتهم بالمدعوين." [4].

الخلاصة:

إن خصائص الدعوة الإسلامية: الشمول، والوسطية، والرحمة، تُبين عظمة هذا الدين وكماله، وتكشف عن نُبل أهدافه وسعة أفقه، وتؤكد أنه دين لكل زمان ومكان، يصلح القلوب والمجتمعات، ويهدي إلى سواء السبيل. ولهذا فإن الدعاة إلى الله يجب أن يحملوا هذه الخصائص في أقوالهم وأفعالهم، لتؤتي دعوتهم ثمارها.

المبحث الخامس: أصول الدعوة الأساسية

ترتكز الدعوة الإسلامية على أصول عظيمة هي الأساس الذي تُبنى عليه رسالتها وتنجح به

---

1 الأنبياء: 107

2 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الطائف، حديث: 1792

3 ابن القيم، محمد بن ابى بكر، زاد المعاد (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998) 35/1

4 النووي، يحيٰ بن شرف، شرح صحيح مسلم (بيروت: دار احياء التراث العربى، 1392) 91/12

مهمتها. ومن أهم هذه الأصول: التوحيد، والإخلاص، والاقتداء بالرسول ﷺ. وهذه الأصول تمثل لبّ الرسالة التي جاء بها الأنبياء، وهي مفتاح قبول الدعوة واستجابة القلوب لها.

أولًا: التوحيد

1. معنى التوحيد وأهميته في الدعوة:

التوحيد هو إفراد الله بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وهو أصل كل دعوة نبوية، وبدونه لا تقوم للدين قائمة. كل الرسل بدأوا بدعوة أقوامهم إلى عبادة الله وحده، لأنه الأساس الذي تُبنى عليه العبادات، وتتحقق به العبودية الخالصة. فالدعوة الإسلامية هي دعوة إلى التوحيد أولًا، قبل أي تشريع أو تنظيم اجتماعي.

2. الأدلة من القرآن والسنة:

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ﴾ [1].

وقال سبحانه:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [2].

وقال رسول الله ﷺ:

«من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله» [3].

3. أقوال العلماء:

قال ابن تيمية:

"التوحيد هو أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، وأول ما يُدعى إليه الناس، كما قال النبي ﷺ لمعاذ: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)." [4].

---

1 النحل: 36

2 الإخلاص: 1-4

3 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث: 23

4 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، 343/5

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب:

"كل دعوة لا تقوم على التوحيد فهي دعوة فاسدة مردودة، لأنه أصل الدين وأساس النجاة." [1].

ثانيًا: الإخلاص

1. معنى الإخلاص ومكانته في الدعوة:

الإخلاص هو تصفية النية لله تعالى، وابتغاء وجهه وحده في كل قول وعمل. وهو شرط أساس لقبول العبادة والدعوة. فالداعية لا ينبغي أن يطلب بدعوته الشهرة، أو الجاه أو المناصب أو التفوق على الآخرين، وإنما عليه أن يدعو إلى الله لا إلى نفسه. فكم من دعوة فشلت لغياب الإخلاص، وكم من دعوة يسيرة أثمرت لأن صاحبها كان مخلصًا.

2. الأدلة من القرآن والسنة:

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [2].

وقال سبحانه:

﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [3].

وقال رسول الله ﷺ:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» [4].

3. أقوال العلماء:

قال الفضيل بن عياض:

"أخلصه وأصوبه؛ قيل: ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا

---

1 الدرر السنية، 58/1

2 البينة: 5

3 الزمر: 14

4 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، حديث: 1، ومسلم، كتاب الإمارة، حديث: 1907

صوابًا. والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة." [1].

وقال ابن القيم:

"الدعوة إلى الله لا تقوم إلا على إخلاص كامل، لأن الداعية المخلص هو الذي يريد هداية الناس لا التفوق عليهم أو إذلالهم." [2].

ثالثًا: الاقتداء بالرسول ﷺ

1. أهمية الاقتداء في الدعوة:

الاقتداء برسول الله ﷺ هو أحد أعظم أصول الدعوة، لأنه هو القدوة الأولى والمثل الأعلى في الأسلوب، والمنهج، والخلق، والصبر، والرحمة. ومن أراد النجاح في دعوته، فعليه أن يتبع سنته وطريقته، لأن الله أمرنا بذلك في محكم كتابه، وجعل الاقتداء به من علامات الإيمان.

2. الأدلة من القرآن والسنة:

قال الله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[3].

وقال سبحانه:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [4].

وقال رسول الله ﷺ:

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» [5].

3. أقوال العلماء:

قال ابن كثير:

"في هذه الآيات أعظم الحثّ على الاقتداء برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله

---

1 ابن رجب، إمع العلوم والحكم، حديث: 1

2 ابن القيم، مدارج السالكين، 91/2

3 الأحزاب: 21

4 آل عمران: 31

5 أبو داود، سليمان بن أشعث، كتاب السنة (بيروت: المكتبةالعصرية) حديث: 4607، وصححه الألباني

وأخلاقه."[1].

وقال النووي:

"اتباع النبي ﷺ واجب في كل ما دعا إليه، وليس لأحد أن يبتدع طريقًا في الدعوة غير طريقه، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى." [2].

خاتمة المبحث الخامس:

إن أصول الدعوة الإسلامية التوحيد، والإخلاص، والاقتداء بالرسول ﷺ هي الأسس التي عليها تُبنى الدعوة الصحيحة الناجحة. فإذا اختلّ واحد منها، ضعفت الدعوة وفسدت، وإذا اكتملت وتحقق بها الداعية، أثمرت دعوته بإذن الله، وهُدي بها الناس إلى صراط الله المستقيم.

---

1 ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998/1419) 380/6

2 النووي، شرح صحيح مسلم، 231/6

الفصل الثاني: أساليب الدعوة في رسائل النور

و فيه خمسة مباحث

المبحث الأول: التعريف برسائل النور ومكانتها في ميدان الدعوة

المبحث الثاني: الأساليب الفكرية في الدعوة

المبحث الثالث: الأساليب التربوية في رسائل النور

المبحث الرابع: الأساليب العملية والسلوكية

المبحث الخامس: الوسائل الدعوية الحديثة في رسائل النور

تمثل رسائل النور التي كتبها الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) أحد أبرز النماذج الدعوية في العصر الحديث، حيث شكلت مدرسة دعوية فكرية وتربوية متكاملة، واجه بها النورسي التحديات الحضارية التي عصفت بالمجتمع التركي في مرحلة شديدة الاضطراب. وقد كان لأسلوبه المميز في عرض الأفكار، وطريقة معالجته للقضايا الإيمانية والاجتماعية، دور كبير في إعادة الإيمان إلى قلوب الآلاف من الناس، وفتح آفاق جديدة إمام العمل الدعوي. ولذلك، يتناول هذا الفصل أساليب الدعوة التي اعتمدها النورسي في رسائله، مبرزًا تنوعها بين الفكري والتربوي والعملي، ودورها في بناء الشخصية المسلمة.

ويشتمل الفصل على تحليل دقيق لأساليبه الفكرية، كالاعتماد على مخاطبة العقل واستخدام البراهين المنطقية في دحض الشبهات، كما يعرض للأساليب التربوية التي تهدف إلى تقوية الإيمان وتهذيب الأخلاق وبناء الإنسان المسلم. وينتقل بعد ذلك إلى الأساليب العملية التي طبقها النورسي واقعًا من خلال القدوة والسلوك والثبات على المبادئ، بالإضافة إلى الوسائل الحديثة التي استخدمها، مثل الكتابة والمجالس التعليمية والنشر السلمي. ويُظهر هذا الفصل كيف أن هذه الأساليب قد مكنت رسائل النور من الوصول إلى قلوب الناس، رغم شدة التضييق والملاحقة.

المبحث الأول: التعريف برسائل النور ومكانتها في ميدان الدعوة

الخلفية التاريخية

نشأت رسائل النور التي كتبها الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) (1877–1960)، في فترة انهيار الخلافة العثمانية والحملة العلمانية الكمالية بقيادة أتاتورك، والتي شهدت تغييرات جذرية في التعليم والدين والمؤسسات، مما دفع النورسي إلى الجهد الفكري العميق للنهوض بالدعوة الإسلامية في سياق الحداثة والإلحاد.

اعتمد النورسي في رسائله على منهج المواكبة العقدية، حيث تحدّى الاتجاهات العقلانية المادية بصياغة حوار معرفي متوازن ينسجم مع العقيدة، مستفيداً من العلوم الطبيعية والمنطق، ورافعاً راية فهم العقيدة في زمن التحديات.

فيما ظل النورسي منتشرًا عبر المجالس المكتبية (الدرس في البيوت) بدل المساجد، ولذلك أصبحت رسائله أساساً لعمل جماعي غير رسمي، ساهم في نشر المعرفة الدينية وإحياء الفكر الإسلامي من خلال القراءات الجماعية والنقاشات الهادفة.

ونشأ من رسائل النور تكوين جماعة النور (Nurcu)، وهي جماعة فكرية وروحية انتشرت

بداية في تركيا ولاحقاً في العالم الإسلامي، بفضل دور رسائل النور في تشكيل قاعدة دعوية متينة مبنية على المعرفة والغرس الروحي.

أهداف رسائل النور في الإصلاح الاجتماعي

تنبثق أهداف رسائل النور من أصل الدين وروحه، فهي لا تقتصر على معالجة الأزمات الظرفية بل تسعى إلى ترسيخ القيم العقدية والأخلاقية الأصيلة في واقع الإنسان المعاصر. فقد سعى النورسي إلى تجديد الإيمان في النفوس بعد فترات الجمود والانكفاء، من خلال معالجة الإشكالات العقدية الكبرى مثل إثبات قدم الله تعالى وعدم محدوديته، وترسيخ اليقين القلبي والعقلي عبر التحليل والبرهان، مما جسّد أصالة الفكرة ومثالها العملي في مواجهة موجات الشك والتيه الفكري.

كما اتخذت رسائل النور من القيم الأخلاقية مسارًا عمليًا للإصلاح، حيث لم تكتفِ بالتنظير للصبر والرضا والشكر، بل قدمت نماذج حية لكيفية ممارستها في خضم الانهيار القيمي الذي سببته العقلانيات المادية والتغيرات السريعة في المجتمع. فكان القصد منها تخليق الإنسان الذي لا يفقد روحه وسط تعقيدات الحياة الحديثة.

ومن مظاهر الأصالة والمثال في رسائل النور، سعيها إلى بناء الشخصية المسلمة المتزنة، إذ ناقشت قضايا الحرية الإيمانية، ووعت الإنسان بدوره كخليفة في الأرض ومسؤوليته في إعمارها بالأعمال الصالحة، مع التركيز على التطبيق العملي لهذه المبادئ في واقع الحياة، وليس الاكتفاء بالشعارات النظرية.

وأخيرًا، سعت رسائل النور إلى إحياء الروابط الاجتماعية الأصيلة عبر الدعوة إلى الأخوة، والتعاون، وتجاوز الخلافات الفكرية الضيقة، فجسدت بذلك نموذجًا حيًا للجماعة المؤمنة التي توحدها محبة العلم والعمل، وتجمعها الرؤية الوسطية المعتدلة للإسلام، ما أسهم في نشر الرسالة خارج الأطر الرسمية والمتشددة وأعطى المثال الواقعي للتعايش الدعوي البنّاء.

المبحث الثاني: الأساليب الفكرية في الدعوة

مخاطبة العقل

تميّزت رسائل النور باستخدام أسلوب يخاطب العقول ويناسب مقتضيات العصر الحديث، حيث ركّز سعيد النورسي (رحمه الله) على إعمال الفكر وإثبات العقائد من خلال التأمل العقلي والنظر الكوني. فقد خاطب القارئ بأسلوب استقرائي يجعل من آيات الكون وبديع الخلق أدلة عقلية على وجود الله تعالى. ففي "الكلمة العاشرة"، على سبيل المثال، يستعرض النورسي مشاهد من الطبيعة، كنباتات الربيع وولادة الكائنات، ليدل على وجود خالق حكيم، قائلاً:

"إن كل زهرة من زهور الربيع تبعث نداءً عقلياً: مَن الذي خلقني بهذه الحكمة؟"

وهذا تأصيل واضح لتفعيل التفكير العقلي في إدراك التوحيد.

كما اعتبر النورسي أن الإنسان إذا لم يُشغِل عقله في التفكر في آيات الله، وقع في الغفلة، وربما الإلحاد. ولذلك دعا إلى التفكير في النفس والكون والخلق، تطبيقًا لقوله تعالى:

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [1].

هذا التكامل بين العقل والنقل كان من أبرز ملامح خطاب رسائل النور، وهو ما جذب إليها أوساطًا متعلّمة متأثرة بالفكر الغربي.

ومن الأمور اللافتة أن سعيد النورسي (رحمه الله) وجّه كتاباته نحو المثقفين والطلبة وأهل المنطق، مدركًا أن خطابات الوعظ التقليدية لا تكفي لعصر طغت عليه الماديات. ولذا فقد كتب قائلاً:

"في هذا الزمان، لا يكون الإيمان إلاّ بالعلم والتحقيق، فالعقل هو البوابة الأولى." [2].

وهذا المبدأ جعله يستخدم تشبيهات فلسفية وعلمية تعزز الفهم العقلي للقارئ.

استخدام البراهين المنطقية

اعتمد النورسي في بناء حججه على البرهان العقلي والمنطقي، فكان كثيرًا ما يستخدم أسلوب القياس، والفرضيات، ثم الرد عليها، بأسلوب منطقي استنتاجي. ففي "الكلمة الثالثة والعشرون"، يناقش مسألة النبوة ويعرض اعتراضات الملاحدة، ثم يرد عليها بطريقة عقلية بحتة، مبيّنًا أن وجود نبي يحمل الرسالة ضرورة عقلية لإنقاذ البشرية من الحيرة.

كما أن النورسي استخدم ما يُعرف بـ"الدليل الإيجابي" و"الدليل السلبي"، أي إثبات الحقيقة تارة، ونقض البديل تارة أخرى. مثلًا، عندما يناقش وجود الخالق، لا يكتفي بإثبات وجوده من خلال النظام والغاية، بل يبيّن أيضًا سقوط بديل الصدفة والعبث واللاأدرية، وهي طريقة منطقية مزدوجة تؤكد المعنى من طرفين.

والملاحظ أن النورسي لا يستخدم المنطق كأداة فلسفية مجردة، بل يربطه دائمًا بالقرآن الكريم، فيجعل العقل خادمًا للوحي لا نِدًّا له. ومن أقواله:

"إن البراهين العقلية في القرآن هي أسطع من الشمس، لكن العصر يطلب أن نشرحها

---

1 الذاريات: 21

2 نورسي، المكتوبات، المكتوب السابع، ص32

بلغة العقل الحديث." [1].

فبهذا جمع بين الأصالة والمعاصرة في الاستدلال.

دفع الشبهات

من أبرز الجوانب في رسائل النور هو اهتمامها بدفع الشبهات العقائدية والفكرية التي انتشرت بفعل التغريب والعلمنة، خاصة في تركيا ما بعد سقوط الخلافة. فقد ناقش النورسي شبهات حول وجود الله، البعث، القضاء والقدر، الوحي، النبوة، وغيرها، بلغة منطقية وردود مفصّلة، مبينًا تهافتها. في "الكلمة الثانية والعشرون"، يرد النورسي على منكري البعث من خلال حجج عقلية وتصورات محسوسة تُقنع القارئ.

وكان أسلوبه في دفع الشبهات قائمًا على تفكيك الفكرة الخاطئة ثم إعادة بنائها على الأسس الصحيحة، وهو ما يُعرف اليوم بالأسلوب الجدلي البنّاء. وكان دائمًا يُحذّر من الشكوك التي قد تُلقى في النفوس بحجّة العلم الحديث، قائلًا:

"ليس كل ما يُقال علمًا هو علم، وليس كل ما يُسمّى تطورًا هو تقدم، فإن بعضه خداع شيطاني يُفقد الإيمان."

كما أن النورسي راعى الفروق بين الشبهة الصادرة عن الجهل، وتلك التي تصدر عن العناد أو الإلحاد، فكان في الأولى رحيمًا، وفي الثانية صارمًا. ويقول:

> "إن الشبهة التي تلقى على القلب كالدخان، لا تنقشع إلا بنور القرآن، لا بالعصا ولا بالعنف." [2].

المبحث الثالث: الأساليب التربوية في رسائل النور

تقوية الإيمان

من أهم الأساليب التربوية التي اعتنى بها سعيد النورسي (رحمه الله) في رسائل النور هو تقوية الإيمان وبناؤه على أسس عقلية وروحية راسخة، ذلك أن الإيمان هو قاعدة كل سلوك إسلامي وأساس الإصلاح الحقيقي. وقد بيّن النورسي أن ضعف الإيمان هو أصل الداء في المجتمعات المسلمة، فقال:

---

1 نورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص480

2 نورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص204

"إن أعظم خطر يهدد الإنسان اليوم ليس الجهل، بل ضعف الإيمان أو فقدانه"[1].

ولهذا كانت رسائل النور بمنزلة مدرسة إيمانية تعيد بناء العلاقة بين العبد وربه، من خلال تدبر أسماء الله الحسنى، وعظمة الخلق، وربط الكون بالإيمان الخالص.

اعتمد النورسي على أسلوب مؤثر في تقوية الإيمان، حيث خاطب القلوب والعقول معًا، مستخدمًا التأمل في الطبيعة كمدخل لترسيخ العقيدة. ففي "الكلمة العاشرة"، يوضح أن الكون بأسره كتاب إلهي مفتوح، ويدعو القارئ لتفحصه بعين الإيمان، قائلًا:

"انظر إلى هذا الوجود كأنه معرض منير لأسماء الله"[2].

وهذا الربط بين العالم المشهود والعقيدة الغيبية هو ما أعطى لرسائله تأثيرًا عميقًا في النفوس الباحثة عن اليقين.

وقد كانت تقوية الإيمان لدى النورسي ليست مجرد حفظ للعقائد، بل تذوقًا وجدانيًا وروحيًا، يظهر أثره في الخشوع والثقة بالله والتوكل عليه. فالتربية الإيمانية في رسائل النور تعني حضور الله في وجدان الإنسان وسلوكه، وهذا يتضح في قوله:

"كل شيء يذكّرك بالله، فاجعل قلبك مرآة لتجليات الربوبية"[3].

التربية الخلقية والاجتماعية

تُعد التربية الخلقية والاجتماعية من ركائز رسائل النور، إذ يرى النورسي أن انحراف المجتمعات المسلمة يرجع إلى فساد الأخلاق أكثر مما يرجع إلى الفقر أو الجهل. ولهذا دعا إلى تربية جيل جديد يحمل قيم الصدق، الأمانة، الإخلاص، والعدل، مستندًا في ذلك إلى التربية النبوية. يقول النورسي:

"إن الإصلاح الخلقي مقدَّم على إصلاح الظواهر، فالأخلاق أساس الحضارة الحقيقية"[4].

وهذا يشير إلى رؤيته العميقة بأن النهضة تبدأ من القلب والضمير.

كانت التربية الخلقية عند النورسي ليست مجرد وعظ، بل منهجًا تطبيقيًا داخل حلقات "طلبة النور"، حيث تعلّموا عمليًا كيف يكون المسلم صادقًا، نزيهًا، خادمًا لدينه ومجتمعه. وقد ركّز على خلق الإيثار، وضرب لذلك أمثلة مؤثرة من حياته، ومن حياة طلابه، الذين كانوا يتعاونون على الطاعة

---

1 نورسى، الشعاعات، الشعاع الثالث، ص92

2 النورسى، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص77

3 اللمعات، اللمعة الثانية، ص35

4 الشعاعات، الشعاع الثالث، ص211

وينفقون من مالهم ووقتهم لإيصال الرسائل.

أما على الصعيد الاجتماعي، فقد كان النورسي حريصًا على إصلاح العلاقات بين الناس، ونبذ العصبيات القومية، والدعوة إلى وحدة الصف. وفي رسالة "الخُطَب"، أشار إلى أهمية التكاتف قائلاً:

"لا نجاة للمسلمين إلا بالتعاون والتراحم والاجتماع على القيم"[1].

فهذه دعوة تربوية لتشكيل مجتمع متماسك أخلاقيًا ومترابط اجتماعيًا.

بناء الشخصية الإسلامية

اهتم النورسي ببناء الشخصية الإسلامية المتكاملة، التي تجمع بين الإيمان الراسخ، والعقل الواعي، والسلوك العملي. فقد كان يرى أن المسلم في العصر الحديث بحاجة إلى "تربية إيمانية فكرية"، توازن بين العقل والقلب، وبين المعرفة والعمل. ولذلك حرص في رسائل النور على تقديم نماذج من الشخصيات القرآنية ليقتدي بها القارئ، مثل إبراهيم وموسى ويوسف عليهم السلام.

بناء هذه الشخصية تم عبر مسارين: الأول هو تحرير المسلم من التبعية للغرب المادي، والثاني هو تأهيله للقيام بوظيفة الشهود الحضاري. وقد كتب النورسي في "الكلمة الثالثة والعشرون":

"كن عبدًا لله، تكن سيدًا على نفسك، ولا تكن عبدًا للهوى أو الثقافة الغربية"[2].

هذه المقولة تبرز هدفًا تربويًا عظيمًا، وهو تكوين شخصية مستقلة، معتزة بدينها، وواعية بهويتها.

كما أشار النورسي إلى أن الشخصية الإسلامية لا تكتمل إلا إذا تربّت على الصبر والجهاد في سبيل الإصلاح، لا بالسيف، ولكن بالكلمة والفكر. ومن كلماته الجامعة في هذا المعنى:

"الإيمان سلاح لا يُهزم، والتضحية في سبيله هي طريق الأنبياء"[3].

فالمسلم في تصور النورسي هو داعية، محبّ للخير، مستعد للبذل، عارف بمسؤوليته في إعمار الأرض على منهج الله.

---

1 نورسى، الخطب، ص23

2 نورسى، الكلمات، الكلمة 23، ص 147].

3 نورسى، الشعاعات، الشعاع الأول، ص38

المبحث الرابع: الأساليب العملية والسلوكية

الدعوة بالفعل والقدوة

من أبرز الأساليب التي اعتمدها سعيد النورسي (رحمه الله) في دعوته أسلوب الدعوة بالفعل والقدوة الحسنة، حيث أكد مرارًا أن السلوك العملي للداعية هو أعظم وسيلة في إيصال الرسالة، وأبلغ تأثيرًا من الكلام وحده. فكان يرى أن الداعية الذي لا يلتزم بما يدعو إليه، فإن دعوته تصبح جوفاء. وقد قال في هذا المعنى:

"إن أحوال الإنسان وأعماله هي لسان حال أقوى من لسان المقال"[1].

فالسلوك الصادق في نظره هو الحجة الكبرى في عالم مملوء بالادعاءات.

ولذلك، شكّل سعيد النورسي (رحمه الله) عبر شخصيته وزهده وصبره نموذجًا عمليًا لما يدعو إليه. وقد أُثر عنه في رسائل النور، أنه كان يقول:

"أنا لست أستاذكم بالكلام فقط، بل بسلوكي وسيرتي"[2]

وهذا تأكيد منه على مركزية القدوة الصالحة التي تعكس الإسلام سلوكًا حيًا، لا أفكارًا مجردة. وقد ظهر هذا المنهج جليًا في طريقة تعامله مع تلامذته، الذين لم يتأثروا بكلامه فحسب، بل بأخلاقه أيضًا.

كما بيّن النورسي أن هذه الدعوة بالفعل كانت سمة الأنبياء، وخاصة رسول الله ﷺ، فكتب في إحدى رسائله:

"لقد غيّر النبي ﷺ العالم بخلقه قبل خطبه، وبسيرته قبل كلماته"[3].

وبذلك، أسس لمدرسة دعوية تركز على الشهادة الفعلية للإسلام عبر حياة الداعية وسيرته اليومية.

الالتزام بالسلوك الإسلامي

يُعد الالتزام بالسلوك الإسلامي من أبرز عناصر التربية السلوكية في رسائل النور، حيث يربط النورسي بين التزكية الفردية وصلاح الأمة، مؤكدًا أن المسلم الحقيقي هو الذي تتحول عقيدته إلى سلوك

---

1 نورسي، الكلمات، الكلمةالحادى عشر، ص91

2 نورسي، اللمعات، اللمعة الثانية، ص41

3 نورسي، الشعاعات، الشعاع الثالث، ص215

ظاهر في معاملاته وأخلاقه. وقد كتب:

"الإسلام ليس طقوسًا فقط، بل هو سلوك يومي يعيشه الإنسان في كل حركة وسكنة"[1].

بهذا ربط بين الإيمان والعمل، وبين العقيدة والتصرف.

ويؤكد النورسي أن كل سلوك يقوم به الإنسان يعبر عن تصوراته العقدية، لذا شدد على أهمية الصدق، والأمانة، والعدل، والحياء، في سلوك المسلم. فكتب في "الكلمة الحادية والعشرون":

"الصدق عماد الإيمان، فإذا ضاع الصدق، انهار البناء كله"[2].

وقد جعل من هذه القيم مرتكزات للتربية الفردية والاجتماعية التي تبني الأمة من جديد.

وقد دعا النورسي إلى أن يُرى الإسلام في حياة المسلمين، لا فقط في كتبهم، فقال:

"ليكن المسلم قرآنًا يمشي على الأرض، حتى ينجذب الناس إلى الحق من خلاله"[3].

وهذه دعوة إلى تفعيل القيم الإسلامية في الواقع، لتكون مؤثرة وملموسة.

الثبات على المبدأ

من أخصّ سمات المنهج العملي عند النورسي: الثبات على المبدأ رغم الشدائد والمحن، وهو ما ينعكس بوضوح في سلوكه وجهاده السلمي طيلة حياته. فقد تعرض للنفي والسجن والمراقبة، ومع ذلك لم يتنازل عن دعوته أو يهادن في الحق، وكتب قائلًا:

"إن كنتُ وحدي في هذا الطريق، فلن أرجع عنه، ولو قطّعوني إربًا"[4].

هذا الإصرار نابع من يقين راسخ بعدالة قضيته وصدق منهجه.

واعتبر النورسي أن الدعوة تحتاج إلى الاستمرارية والصبر الطويل، وأن الثبات على المبادئ هو ما يعطي للدعوة مصداقيتها. ففي "الكلمة التاسعة عشرة"، كتب:

"لا يُثمر الغرس إلا بالصبر، ولا تقوم الدعوة إلا بالثبات"[5].

---

1 نورسي، الخُطب، ص33

2 نورسي، الكلمات، الكلمة 21، ص119

3 نورسي، اللمعات، اللمعة الخامسة، ص69

4 نورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني، ص48

5 نورسي، الكلمات، الكلمة 19، ص101

ولهذا كان مثالًا حيًا للمربي الثابت، الذي لا تغريه الدنيا ولا تهزمه الابتلاءات.

ويختم النورسي بعض رسائله بدعاء يوضح روحه الثابتة:

"اللهم اجعلنا من الثابتين على الحق، ولا تفتنا في ديننا، ولا تزوغ قلوبنا بعد إذ هديتنا"[1].

وهذا يؤكد أن الثبات ليس مجرد موقف، بل هو عبادة قلبية وشعورية يجب أن يتربى عليها الداعية.

المبحث الخامس: الوسائل الدعوية الحديثة في رسائل النور

الكتابة والتأليف

إنَّ من أبرز الوسائل التي اعتمدها سعيد النورسي (رحمه الله) في دعوته الإصلاحية هي وسيلة الكتابة والتأليف، حيث اختار القلم وسيلة لنشر دعوته في زمنٍ تعذّر فيه الخطاب العلني، وكان يرى أن "الكلمة المكتوبة" يمكن أن تبقى وتؤثر في القلوب والعقول عبر الزمان والمكان. وقد قال في مقدمة رسائله:

"لقد جعلت هذه الكلمات مرآةً للقرآن، لعلها تكون سبب هداية وشفاء للقلوب"[2].

فهو يرى أن الكتابة دعوة دائمة، ووسيلة قوية لتثبيت الحقائق الشرعية والعقائدية.

إن مشروع رسائل النور في ذاته يعتبر حركة تأليفية دعوية متكاملة، اعتمد فيها النورسي على لغة وجدانية عقلانية مقنعة، تناول فيها العقيدة، والسلوك، والمجتمع، بل والسياسة والثقافة، بشكل منهجي. وكان يعتبر الكتابة مسؤولية شرعية فقال:

"إنني لا أكتب هذه الرسائل لطلب الشُّهرة، بل أداءً للأمانة العلمية وتبليغًا للدين"[3].

فهذا يؤكد أن هدف التأليف عنده لم يكن علميًا بحتًا، بل دعويًا تغييريًا.

وقد كان أسلوب النورسي في التأليف ذاتيًا وتجريبيًا، إذ غالبًا ما يربط بين الواقع والحقائق القرآنية، ويعالج مشكلات الناس اليومية. وهذا ما جعل رسائله تلقى رواجًا وتأثيرًا حتى في أشد البيئات قمعًا، لأن الناس وجدوها تتكلم بلغة قلوبهم وعقولهم.

---

1 نورسي، اللمعات، اللمعة الأولى، ص18

2 نورسي، الكلمات، المقدمة، ص5

3 نورسي، اللمعات، اللمعة السابعة، ص80

المجالس التعليمية

لقد اعتمد سعيد النورسي (رحمه الله) على المجالس التعليمية كأساس في نشر أفكاره وتربية أتباعه، فأنشأ "حلقات إيمانية" غير رسمية في البيوت والمزارع والجبال، بعيدًا عن المراقبة الحكومية، وأسماها بـ"مدارس نور". وكانت هذه المجالس تعتمد أسلوب الحوار الجماعي والتفكر المشترك، لا التلقين. يقول:

"نحن لا نُعلِّم، بل نتدارس، والدارس قد يفيد المدرس"[1].

فهو بذلك كسر حاجز التسلط العلمي وفتح المجال للتعلم التفاعلي.

كما أكّد النورسي أن هذه المجالس ليست فقط لنقل المعلومات، بل لتربية النفس على الإيمان والعمل، حيث كتب في إحدى رسائله:

"ليست مدرستنا مدرسة كتب فقط، بل مدرسة إيمان وأدب وصدق"[2].

فهي مجالس لتزكية الروح قبل العقل، تجمع بين العلم والعمل، وبين الذكر والفكر.

وكانت هذه المجالس سرّ نجاح الدعوة النورية، فقد تمكنت من تربية جيل كامل من "تلامذة النور"، الذين حملوا الرسالة بعده، ونسخوا الرسائل بأيديهم، ووزعوها سرًا في كل الأناضول. فكانت المجالس التعليمية نواة لحركة دعوية جماهيرية.

النشر السلمي للأفكار

من الوسائل الدعوية المتميزة في مشروع رسائل النور: النشر السلمي للأفكار. فقد رفض النورسي العمل السياسي أو المواجهة المسلحة، واختار بديلًا دعويًا يتمثل في نشر الفكر الإسلامي عبر الوسائل السلمية والكتابة الهادئة. وقال:

"نحن نحمل سلاحًا واحدًا: هو الإيمان، ونقاتل عدوًا واحدًا: هو الجهل والضلال"[3].

بهذا جعل من الدعوة السلمية مبدأً ثابتًا في فكره وأسلوبه.

وقد بيّن أن الصدام مع السلطات أو المجتمع يُضعف الهدف الدعوي، ويشوّه صورة الإسلام، لذا قال:

"دعوتنا لا تقاتل أحدًا، بل تحيي القلوب وتنير العقول"[4].

---

1 نورسى، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص113

2 نورسى، اللمعات، اللمعة الخامسة عشرة/133

3 نورسى، الخُطب، ص19

وهذا ما جعله يتحمل السجن والنفي بصبر، دون أن يتخلى عن خطابه السلمي، فكان مثالًا في ضبط النفس والثبات.

وأسس تلامذته فيما بعد شبكة قوية من نشر هذه الرسائل، عن طريق النسخ اليدوي، ثم لاحقًا بالطباعة، وتوزيعها بهدوء داخل تركيا وخارجها. وكانت رسائل النور تُقرأ في حلقات صغيرة في البيوت، مما ساعد على استمرار الفكر رغم التضييق.

---

[4] نورسى، الكلمات، الكلمة 12، ص97

الفصل الثالث:منهج سعيد النورسي (رحمه الله) فى الدعوة

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: المرتكزات الأساسية في منهجه الدعوي

المبحث الثاني: سمات منهج سعيد النورسي

المبحث الثالث: التحديات التي واجهها في دعوته

المبحث الرابع: أثر منهجه في المجتمع التركي والعالم الإسلامي

المبحث الخامس: تقويم منهجه الدعوي وإمكانية الاستفادة منه

جاء مشروع سعيد النورسي (رحمه الله) الدعوي في سياق تاريخي صعب، تميز بهيمنة التيارات التغريبية وسعي الدولة إلى علمنة المجتمع التركي، مما أوجد تحديات ضخمة إمام أي خطاب إسلامي. وفي هذا السياق، بلور النورسي منهجًا دعويًا متفردًا في رؤيته وأسلوبه ووسائله، يركز على أولويات الإيمان، والإصلاح السلمي، وبناء الذات قبل مواجهة الخارج. ومن ثم، فإن دراسة منهجه تمثل محاولة لفهم كيف يمكن للدعوة أن تنجح في بيئات معادية، وأن تحقق أهدافها دون صدام مباشر، من خلال التدرج والحكمة والموازنة بين الثوابت والمتغيرات.

يعرض هذا الفصل مرتكزات منهج النورسي الأساسية، وسماته التي تميز بها، مثل نبذ الصدام مع السلطة، والعمل الجماعي، والتدرج في الطرح. كما يناقش التحديات التي واجهها، كالعلمانية، وقمع التعليم الديني، والملاحقة الأمنية، موضحًا كيف استطاع تجاوزها بأسلوبه السلمي المتزن. ويختم الفصل بتقويم شامل لمنهجه، مع بيان أثره في المجتمع التركي، وانتشاره في العالم الإسلامي، واستعراض إمكانات الاستفادة من تجربته في واقع الدعوة المعاصرة، مما يجعل هذا المنهج مصدر إلهام للدعاة والمصلحين في مواجهة التحديات المتجددة.

المبحث الأول: المرتكزات الأساسية في منهجه الدعوي

أولوية الإيمان

شكّل الإيمان المرتكز الأول والمركزي في المنهج الدعوي لسعيد النورسي، فقد كان يرى أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من إصلاح العقيدة وترسيخ التوحيد في القلوب، معتبرًا أن ضياع الإيمان هو أصل كل فساد فردي أو اجتماعي. يقول في مقدمة رسائله:

> "أثبتُ بهذه الرسائل أن الإيمان هو الحياة الحقيقية للإنسان، وأنه بدون الإيمان يكون الإنسان ميتًا وإن كان يمشي"[1].

فقد جعل الإيمان محور دعوته لأنه أساس التغيير.

وقد أولى النورسي عناية كبيرة بشرح أصول الإيمان الستة بأسلوب يقنع العقل ويطمئن القلب، مستخدمًا الأمثلة الكونية والمنطق العقلي، بهدف الوصول إلى يقين داخلي. كتب في هذا السياق:

"القرآن يُعلّمنا أن الإيمان بالله واليوم الآخر هو أصل النجاة، ولهذا يجب تقديمه في كل دعوة"[2].

---

1 نورسى، الكلمات، الكلمة الثانية، ص12

2 نورسى، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص43

ومن هنا نلحظ أن النورسي تبنّى خطابًا يُركّز على البناء العقدي قبل السياسي أو الفقهي.

وتميّز مشروعه الإيماني بأنه لم يكن مجرد تنظير فكري، بل سعى إلى إحياء الإيمان في نفوس المسلمين في ظل أجواء مادية معادية للدين، حيث واجه تحديات العلمنة والنفي والسجن، لكنه ظل يقول:

"سلاحي الوحيد هو الإيمان، وحصني هو القرآن"[1].

فأولوية الإيمان في دعوته لم تكن شعارًا، بل ممارسة يومية وثباتًا في الشدة.

الإصلاح السلمي

من أبرز معالم منهج النورسي في الدعوة أنه اختار الإصلاح السلمي بديلاً عن الصدام والعنف، وكان يُصرّ على أن النهج السلمي هو السبيل الحقيقي للتغيير والبناء في المجتمعات الإسلامية. يقول:

"نحن لسنا حزبًا سياسيًا، ولا نحمل عداءً لأحد، نحن نريد أن نوقظ الإيمان في القلوب"[2].

فهو يُبعد دعوته عن أي طابع حزبي أو ثوري.

وقد عبّر مرارًا عن رفضه لاستخدام القوة أو العنف في مواجهة الظلم أو الكفر، وقال في أحد رسائله:

"نحن لا نقاتل بالسلاح، بل بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن القرآن لا يُفرض بالإكراه بل يُعرض بالبيان"[3].

فهو بذلك يلتزم بنهج القرآن في الدعوة، بعيدًا عن أساليب العنف التي قد تُشوّه رسالة الإسلام.

وهذا الموقف لم يكن سهلاً، خاصة في سياق سياسي مضطرب كما كانت عليه تركيا في بداية القرن العشرين، لكنه ظل ثابتًا على مبدأ السلم والإصلاح الداخلي، بل ورفض الانخراط في الحركات السياسية رغم قدرته على التأثير. وكان يقول:

"لا تضيّعوا وقتكم في الشكوى، بل انشغلوا ببناء النفوس بالإيمان"[4].

وهذا يؤكد أن مشروعه الإصلاحي كان هادئًا وعميقًا وغير صدامي.

---

1 نورسى، اللمعات، اللمعة الحادية عشرة، ص109

2 نورسى، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص114

3 نورسى، الخُطب، ص22

4 نورسى، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص133

البناء الداخلي للأمة

يرى النورسي أن السبيل الأنجع لنهضة الأمة هو البناء الداخلي لها، لا الاستيراد من الخارج، ولا الاتكال على الأنظمة السياسية وحدها. وقد ركّز في دعوته على إصلاح الفرد والمجتمع من الداخل، فقال:

"ابدأ بنفسك، ثم بأخيك، ثم بأسرتك، ثم بأمتك"[1].

فالدعوة في نظره تبدأ من القلب وتنتهي إلى المجتمع، وليس العكس.

وقد دعا إلى ما أسماه بـ"جهاد النفس"، وبيّن أن العدو الأكبر للأمة هو الجهل، والفرقة، واليأس، ولذلك يجب مواجهتها عبر بناء العقل المسلم، وترسيخ معاني الإيمان، واليقين، والتوكل، والتكافل. يقول:

"لا نُصلح الأمة بالثورات، بل بإصلاح الأخلاق والعقيدة"[2].

فهو يربط بين الدعوة وبين التربية الروحية.

وهذا المفهوم في دعوته جعلها دعوة تربوية إصلاحية شاملة، تهدف إلى بناء جيل مؤمن واعٍ، لا مجرد أتباع. وقد أثمرت هذه الرؤية عن نشوء "جماعة النور" التي حملت رسائل الإحياء والتجديد في الأوساط الشعبية والعلمية، رغم التضييق الشديد.

المبحث الثاني: سمات منهج سعيد النورسي

اللاتصادم مع السلطة

تميّز منهج سعيد النورسي (رحمه الله) بطابع لا تصادمي مع السلطة الحاكمة، حتى في أشد مراحل الاضطهاد والسجن والنفي. فقد كان يدرك أن الدخول في مواجهة سياسية مع الدولة يضر بالدعوة ويشوش على رسالتها الإيمانية. وصرّح بذلك بوضوح:

"نحن لا نعادي أحدًا، ولسنا في صراع مع الدولة، بل نحمل نور الإيمان وننشره"[3].

فمنهجه تجنب الاصطدام حفاظًا على استقلالية الرسالة.

---

1 نورسي، اللمعات، اللمعة الخامسة عشرة، ص140

2 نورسي، الكلمات، الكلمة الثامنة والعشرون، ص160

3 نورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص108

وهذا التوجّه يتماشى مع رؤيته للدعوة كـ"جهاد معنوي" لا يحتاج إلى الصراع المسلح، بل إلى الثبات العقائدي والموعظة الحسنة. وكان يقول:

"إن كان لا بد من جهاد، فليكن جهادًا ضد الجهل والضلال، لا ضد الحكومات"[1].

ومن هنا يظهر أن رفض التصادم لم يكن نابعًا من الضعف، بل من رؤية دعوية واعية.

حتى في المحاكم التي حوكم فيها بتهم واهية، كان يخاطب القضاة بكلمات هادئة لا تنطوي على عداء، كما في قوله في محكمة دنيزلي:

"إني لم أحمل سلاحًا، ولم أُحرّض أحدًا، بل أكتفي بالدعاء والهداية"[2].

وهذا يدل على أخلاقية دعوته واتزانها في مواجهة الظلم دون خلق فتنة سياسية.

العمل الجماعي

من السمات البارزة في منهج النورسي أنه اعتمد على العمل الجماعي المنظم في الدعوة، وابتعد عن الفردية والانعزال، فأسس ما عرف لاحقًا بـ"جماعة النور"، وهي مجموعة من طلابه ومريديه الذين نشروا رسائل النور في كل أنحاء تركيا رغم القمع. يقول:

"قوة الجماعة في الإخلاص والاتحاد، لا في العدد والعدة"[3].

فهو يرى أن روح الجماعة هي السبيل لبقاء الدعوة ونموها.

وقد بنى هذه الجماعة على أسس ربانية لا حزبية، حيث حذّر مرارًا من الحزبية والتحزب، قائلاً:

"كل ما يفرّق بين المؤمنين مرفوض، أما ما يجمعهم على الإيمان والحق فهو من روح القرآن"[4].

وبذلك رسخ ثقافة التعاون والتكافل بين طلابه.

وأعطى طلابه الحرية في الأداء ضمن إطار رسالة النور، مما أكسبهم مرونة في الانتشار والكتابة والنشر، حتى في السرّ، دون اعتماد على الزعامة أو المركزية، بل على العمل التشاركي التربوي، وهو ما شكّل لبنات حركة فكرية دعوية واسعة.

---

1 نورسي، الخُطب، ص17

2 نورسي، المدافع، ص92

3 نورسي، اللمعات، اللمعة العشرون، ص189

4 نورسي، الكلمات، الكلمة السادسة عشرة، ص90

التدرج الدعوي

من سمات النورسي المنهجية التدرج في الدعوة والتعليم، فلم يكن يُلقي على الناس كل المعارف دفعة واحدة، بل كان يُراعي حال المخاطب وظروفه، ويُقدّم له ما يناسبه في المرحلة التي يعيشها. يقول في إحدى رسائله:

"لابد من التدرج في إيقاظ الإيمان، كمن يُنير شمعة في الظلام ثم يزيد نورها شيئًا فشيئًا"[1].

وهو بهذا يُجسّد سنة التدرج النبوية.

وقد طبّق هذا التدرج في كتاباته، فبدأ بالكلمات التي تعالج الأسس الإيمانية، ثم انتقل إلى اللمعات والشعاعات التي تتناول قضايا أكثر عمقًا، معززة بالأدلة العقلية والنقلية، مراعيًا أن النضج العقدي لا يأتي دفعة واحدة، بل يتطلب مراحل تربوية وفكرية.

كما ركّز على التدرج في مواجهة الشبهات، فكان يبدأ بترسيخ المسلمات، ثم يزيل الشبهات، ثم يثبت العقيدة بأسلوب منطقي. قال في ذلك:

"لا يمكن بناء الحقيقة الإيمانية على قلب مشوش، لذا نبدأ بتصفية القلب ثم زرع الحقائق"[2].

وهذا المنهج أكسب دعوته قبولًا واسعًا واستمرارية فكرية.

المبحث الثالث: التحديات التي واجهها في دعوته

العلمانية والقمع الديني في تجربة سعيد النورسي

من أكبر التحديات التي واجهت سعيد النورسي (رحمه الله) كانت سياسات العلمنة الشاملة التي فرضتها الدولة التركية بعد سقوط الخلافة العثمانية، خاصة خلال حكم مصطفى كمال أتاتورك، حيث تم إقصاء الدين عن الحياة العامة، وأُغلقت المدارس الدينية، وتحوّلت الدولة إلى نموذج صارم للعلمانية الغربية. يقول النورسي واصفًا ذلك:

"رأيت في تلك المرحلة هدمًا منهجيًا لبناء الإيمان في قلوب الناس، فكان لزامًا علي أن أبدأ من الأساس"[3].

لم تكن العلمنة مجرد فصل للدين عن الدولة، بل كانت حربًا فكرية ضد الرموز الإسلامية،

---

1 نورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة، ص18

2 نورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص123

3 نورسي، الكلمات، المقدمة، ص5

شملت تبديل الحروف العربية بالحروف اللاتينية، ومنع الأذان باللغة العربية، واستبدال الزي الإسلامي باللباس الغربي. وقد واجه النورسي هذا التحدي لا بالصدام، بل بتكثيف جهوده الدعوية لترسيخ العقيدة في النفوس بوسائل غير مباشرة. وكتب يقول:

"كُتب علينا أن نقاوم بقلوبنا وأقلامنا لا بسيوفنا"[1].

وقد دفع ثمن هذا الثبات من حريته وراحته، فقد تعرّض لملاحقة دائمة، وسجن أكثر من مرة، وتم نفيه من مدينة إلى أخرى، لكنه كان يقول:

"إنني لا أحزن على النفي والسجن، بل أحزن على ضياع الإيمان من القلوب"[2].

وهذا يظهر مدى صدقه في مواجهة علمنة الدولة التي أرادت طمس الدين من المجتمع التركي.

الرقابة والمطاردة

شكّلت الرقابة الأمنية والمطاردة المستمرة أحد أعقد التحديات التي واجهها سعيد النورسي (رحمه الله) وطلابه، فقد كانت الحكومة تراقب كل تحركاته، وتصادر نسخ رسائل النور، وتغلق أماكن اللقاءات، وتمنع أي نشاط دعوي منظم. وقد وصف ذلك بقوله:

"ما أن نكتب رسالة حتى تصادر، وما أن نقرأ آية حتى يُحاصر المكان"[3].

وقد استُدعي إلى المحاكم مرارًا بتهم ‘‘تقويض النظام العلماني’’ أو ‘‘نشر أفكار دينية ممنوعة’’، ومرّ بتجارب قاسية في السجون والمنافي، لكنه أصرّ على المضيّ في دعوته، بل كتب معظم رسائله وهو في السجن. وصرّح بذلك بقوله:

"أكتب تحت رقابة العسكر، ولكن الحبر لا يخون، والحق لا يُسجن"[4].

وكانت الرقابة تشمل حتى طلابه، حيث تم اعتقال كثير منهم بتهمة ‘‘الانتماء لجماعة دينية غير مرخصة’’. ومع ذلك، فإن تصميم النورسي على الاستمرار أدى إلى انتشار الرسائل نسخًا بخط اليد في كل الأنحاء، فيما يشبه العمل السري المقاوم. وهكذا تحوّل القمع إلى حافز داخلي لمزيد من التوسع الدعوي.

---

1 نورسى، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص110

2 نورسى، المدافع، ص98

3 نورسى، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص121

4 نورسى، المدافع، ص117

المبحث الرابع: أثر منهجه في المجتمع التركي والعالم الإسلامي

انتشار جماعة النور

من أبرز الآثار الملموسة لمنهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الدعوة هو تكوين وتوسّع "جماعة النور"، وهي مجموعة من الطلاب والمحبين الذين التزموا بفكر النورسي وساهموا في نشر رسائل النور في أنحاء تركيا وخارجها. بدأ هذا التيار بمجموعة صغيرة من الطلبة في المناطق النائية، ثم ما لبث أن تحوّل إلى حركة جماهيرية منتظمة، رغم الاضطهاد الشديد والمراقبة الأمنية. كتب النورسي في إحدى رسائله:

"لقد وجدتُ طلابًا لا يخافون السجن ولا النفي، بل يرونه طريقًا لنشر الإيمان"[1].

اعتمدت جماعة النور في تنظيمها على نموذج لا مركزي، حيث لم تكن حركة سياسية تقليدية، بل كانت حركة علمية دعوية روحية تنتشر من خلال حلقات قراءة رسائل النور، ومجالس الذكر، والتعليم الفردي. وبفضل هذا النمط، استطاعت أن تنفذ إلى مختلف الطبقات الاجتماعية، من الفلاحين إلى الأكاديميين. وقد أثبتت الدراسات أن هذه الجماعة لعبت دورًا في نشر الإسلام المدني والتصدي للعلمنة المفرطة دون عنف [2].

ومع مرور الزمن، امتدت هذه الجماعة إلى العالم الإسلامي، خاصة في العالم العربي، وآسيا الوسطى، والبلقان، حيث تُرجمت الرسائل إلى عشرات اللغات، مما يدل على عمق الأثر ونجاح المدرسة النورية في تشكيل تيار إيماني عالمي.

إحياء الإيمان

لقد كان الهدف الجوهري في دعوة سعيد النورسي (رحمه الله) هو إحياء الإيمان في النفوس التي أصابها الفتور أو الضياع نتيجة التغريب والعلمنة. وقد ركّز على معالجة الشكوك العقدية، وأسئلة العصر، وتحديات الإلحاد، بلغة عقلية وروحية عميقة. كتب يقول:

"إن رسائل النور لا تُعلّم فقط، بل توقظ القلب وتبعث فيه النور"[3].

أثمر هذا المنهج عن عودة الشباب إلى الدين في بيئة كانت ترفض كل مظهر ديني، ووجدت شريحة واسعة من المثقفين والأكاديميين ضالتهم في رسائل النور التي جمعت بين العمق العقلي والصفاء الروحي. وقد أثبتت البحوث الميدانية أن النورسي نجح في تجديد الإيمان بأسلوب سلمي لا يتصادم مع

---

1 نورسى، المدافع، ص93

2 Yavuz, Islamic Political Identity in Turkey, pp. 144–150

3 نورسى، الكلمات، الكلمة الثانية، ص18

الواقع، بل يعالجه من الداخل. كما أن رسائل النور لم تقتصر على الجانب الإيماني الفردي، بل أحيت مفهوم المسؤولية الاجتماعية والخلقية لدى المسلمين، مما ساهم في بروز جيل جديد من المؤمنين الصادقين، الذين شاركوا في بناء مجتمع أكثر ارتباطًا بالقيم الإسلامية.

نجاح التجربة الدعوية

رغم البيئة المعادية التي نشأ فيها النورسي، فإن تجربته الدعوية تُعد واحدة من أنجح التجارب الإسلامية في العصر الحديث. لقد أثبت أنه من الممكن بناء حركة إيمانية عميقة دون الحاجة إلى مؤسسات رسمية أو دعم حكومي، بل عبر الصبر، والعلم، والارتباط الحقيقي بالناس. قال في هذا الصدد:

"لسنا أصحاب سلطة، لكننا أصحاب حق، والحق أقوى من القوة"[1].

تميزت دعوته بالبعد عن الصراع السياسي المباشر، والتركيز على بناء الإنسان من الداخل، ولهذا لاقت قبولًا كبيرًا في داخل تركيا وخارجها، وأثّرت لاحقًا في حركات إسلامية كثيرة، مثل حركة فتح الله كولن التي تأثرت تنظيميًا وأدبيًا بالمدرسة النورية، رغم اختلاف المسارات السياسية.

وقد اعتُبرت هذه التجربة نموذجًا للدعوة التي تتكيّف مع ظروف الحداثة دون أن تتنازل عن ثوابتها، مما يبرر استمرار تأثيرها حتى اليوم، وظهور مراكز تعليمية وجامعات مستلهمة من فكر النورسي في عدة بلدان إسلامية.

المبحث الخامس: تقويم منهجه الدعوي وإمكانية الاستفادة منه

التوازن بين العقل والنقل

امتاز منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الدعوة بتحقيق توازن دقيق بين العقل والنقل، فقد خاطب العقول بالحجج العقلية الرصينة، دون أن يفصلها عن النصوص الشرعية من القرآن والسنة. فهو يرى أن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح، بل يكمّله ويهديه. قال في "الكلمات":

"إن الإيمان لا يُبنى على التقليد وحده، بل يحتاج إلى نور العقل وهداية الوحي"[2].

وقد اعتمد النورسي على المنطق والكلام الحديث في تفسير العقيدة الإسلامية والرد على شبهات الماديين والدهريين، وبيّن أن كل دليل نقلي يجب أن يُعرض بأسلوب يفهمه العقل المعاصر. وهنا

---

1 الشعاعات، الشعاع الثالث، ص67

2 الكلمات، الكلمة العشرون، ص155

تظهر عبقريته في دمج البرهان العقلي بالذوق الروحي والنص الديني في قالب متماسك ومقبول لدى الجمهور.

وتتضح قيمة هذا التوازن في نجاحه في مخاطبة الطبقات المثقفة التي كانت تشكك في الدين بسبب النزعة العلمانية، كما نجح أيضًا في تقريب النصوص الشرعية للفئة غير المتدينة بأسلوب برهاني وعاطفي في آنٍ واحد. وهذا يدل على قابلية منهجه للتطبيق في البيئات المختلفة، خاصة تلك المتأثرة بالغزو الفكري أو الإلحاد.

دروس للدعاة المعاصرين

يُعد منهج النورسي نموذجًا غنيًا للدعاة المعاصرين، لما فيه من سعة أفق، وواقعية، وتركيز على جوهر الدين دون الانشغال بالقشور. فكان يرى أن الدعوة يجب أن تبدأ من القلب وتصل إلى العقل، وأن الإصلاح لا يكون بالصدام، بل بالحكمة والموعظة. كتب يقول:

"ما دُمتَ تُخاطب قلبًا مريضًا، فابدأ بتقديم الدواء لا بإدانته"[1].

أهم ما يمكن أن يتعلمه الدعاة من تجربته هو الارتكاز على التربية الإيمانية لا على الشعارات، والبدء بإصلاح النفس قبل إصلاح المجتمع، واستخدام اللغة التي يفهمها العصر دون تحريف للمضمون. كما تُظهر سيرته أن الثبات على المبادئ، والصبر على الأذى، والبعد عن السياسة الصدامية، هي مفاتيح نجاح الدعوة طويلة الأمد.

بالإضافة إلى ذلك، يدعو منهجه إلى فهم الواقع الاجتماعي والثقافي قبل مخاطبة الناس، مع اعتماد أسلوب التعليم الجماعي غير الرسمي من خلال "الحلقات النورية"، مما يُبرز أهمية الاستفادة من الأساليب الجديدة في التعليم والدعوة، ومنها الإعلام، والمنصات الرقمية، والترجمة الهادفة.

آفاق التطبيق في العالم الإسلامي

إن المتغيرات التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم — من اضطرابات فكرية، وتحديات حضارية، وتغريب قيمي — تجعل منهج النورسي أكثر حاجةً من أي وقت مضى. فرسالته تؤسس لـ دعوة عقلانية روحية متوازنة، تنسجم مع الواقع دون أن تذوب فيه. ولذلك يمكن القول إن تطبيق منهجه يتطلب إعداد كوادر دعوية تُتقن رسائل النور وتُترجمها إلى واقع الناس.

تتمثل آفاق التطبيق في عدة مجالات: التعليم الإسلامي، الإعلام الدعوي، مؤسسات الإصلاح الاجتماعي، مراكز محو الأمية الإيمانية، وتكوين جماعات فكرية تُعيد إنتاج رسائل النور بأساليب العصر.

---

1 نورسى، المكتوبات، المكتوب العاشر، ص77

كما أن نجاح المدرسة النورية في تركيا يبرهن على إمكانية تطبيقها في البيئات المتعددة، بشرط توفر الحكمة والصبر والارتباط بالقرآن.

وقد بدأت بالفعل مراكز رسائل النور تنتشر في باكستان، ماليزيا، مصر، وأندونيسيا، ويتم تدريسها في بعض الجامعات، كما تُستخدم في برامج محو الأمية الدينية. ولذا فإن دعوة النورسي تمثل إرثًا إصلاحيًا عالميًا لا يخص تركيا وحدها، بل هو مشروع إسلامي نهضوي شامل.

الباب الثالث:القضايا الدعوية في باكستان

الفصل الأول: الانقسامات الفكرية والصراعات الدينية والاجتماعية

الفصل الثاني: الأخطاء المنهجية في أسلوب الخطاب الدعوي

الفصل الثالث: الانغماس في التصوف الابتداعي

الفصل الرابع: أثر التغريب على الجيل الجديد (الشباب والمرأة)

الفصل الاول:الطائفية الدينية والصراعات السياسية

و فيه تسعة مباحث

المبحث الأول: جذور الطائفية الدينية في باكستان

المبحث الثاني: أثر الطائفية على وحدة الصف الدعوي

المبحث الثالث: العلاقة بين الصراع السياسي والانقسام المذهبي

المبحث الرابع: الغزو الفكري ومظاهره في باكستان

المبحث الخامس: أثر الفكر الغربي على الوعي الديني

المبحث السادس: مفهوم العنف الديني وجذوره في باكستان

المبحث السابع: آثار العنف الديني على الدعوة

المبحث الثامن: البدائل الدعوية السلمية في مواجهة العنف

تُعدُّ الطائفية الدينية والصراعات السياسية من أبرز الإشكالات المعاصرة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، وبالأخص المجتمع الباكستاني. فمنذ تأسيس باكستان على أساس الهوية الإسلامية، ظلّت الانقسامات المذهبية والصراعات السياسية تطفو على السطح، وتتفاقم مع مرور الزمن، حتى أضحت تمثل تهديدًا حقيقيًا لوحدة الصف الإسلامي والهوية الدينية. وقد أدت هذه الظواهر إلى تفشي مشاعر الكراهية، وانتشار العنف الطائفي، وإضعاف فعالية الخطاب الدعوي والتربوي. كما ساهم تسييس الدين وتوظيفه لخدمة المصالح الحزبية والطائفية في تشويه صورة الإسلام وتقويض الثقة في المرجعيات الدينية. ومن هنا، فإن دراسة هذه القضية من منظور دعوي تمثل خطوة أساسية نحو تشخيص العلة، ووضع أسسٍ للإصلاح، واستجلاء ملامح منهجٍ وسطي يعيد للدعوة الإسلامية فاعليتها ووحدتها.

المبحث الأول: جذور الطائفية الدينية في باكستان

النشأة التاريخية للطائفية بعد التقسيم

بعد تقسيم الهند عام 1947م، تأسست دولة باكستان على أساس ديني، وارتبطت هويتها الإسلامية برؤية جامعة تهدف إلى حماية حقوق المسلمين في شبه القارة الهندية. إلا أن هذه الوحدة الدينية سرعان ما بدأت تتشقق بسبب اختلافات مذهبية قديمة تعود جذورها إلى ما قبل التقسيم. فتحت ضغط الهجرة الجماعية، والصراعات الإقليمية، ظهرت الفوارق بين الجماعات السنية المختلفة (كالديوبندية والبريلوية) وكذلك بين السنة والشيعة بصورة واضحة. وقد شهدت مدينة لاهور وكراتشي في خمسينيات القرن الماضي أولى موجات العنف الطائفي، حيث وقعت صدامات بين هذه الفصائل، مما ألقى بظلاله الثقيلة على البناء السياسي والاجتماعي للدولة الفتية. ويؤكد الباحث طارق رحمان أن الهوية الدينية في باكستان بدأت تتشكّل على أسس طائفية منذ عقود باكرة من تأسيس الدولة، مما مهد لبيئة خصبة للانقسام والعداء المذهبي. [1].

في العقود التالية، ازدادت حدة الطائفية مع تصاعد التسييس للمذهب، لا سيما بعد إسلام آباد الرسمي للفقه الحنفي السني كمرجعية قانونية عامة في بعض المجالات، مما أشعر بعض الطوائف الأخرى بالتهميش. كما أن قوانين معينة مثل "قانون إهانة المقدسات" و"قانون ختم النبوة" رغم أهدافها الإسلامية، وُظّفت أحيانًا في النزاعات المذهبية، ما أدى إلى اتساع الهوة بين الطوائف. وقد وثق المؤرخ خالد أحمد أن معظم الصراعات الطائفية في السبعينات والثمانينات لم تكن دينية محضة، بل نتاج تقاطع

1 Tariq Rahman, Denizens of Alien Worlds: A Study of Education, Inequality and Polarization in Pakistan (Karachi: Oxford University Press, 2004), 44.

الدين بالسياسة في مرحلة مبكرة من الدولة الباكستانية. [1].

تأثير الاستعمار البريطاني على تشظي الجماعات

يُعتبر الاستعمار البريطاني عاملاً رئيساً في تفكيك البنية الوحدوية للمسلمين في شبه القارة الهندية، إذ تبنّى سياسة "فرّق تسد" التي عملت على تعميق الخلافات بين الطوائف الإسلامية، ليس فقط بين السنة والشيعة، بل حتى داخل الطوائف السنية ذاتها. عمد البريطانيون إلى دعم بعض الجماعات على حساب أخرى لتحقيق مكاسب إدارية وسياسية، وشجعوا على بروز الزعامات المحلية المذهبية من خلال نظام "النواب" والمخصصات الدينية، مما أدّى إلى بروز جماعات دينية متمايزة ومتنافسة[3]. ووفقًا لدراسة أياز أحمد، فإن الكثير من المناظرات الحادة والفتاوى المتبادلة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كانت مدفوعة بالسياق الاستعماري الذي غذى هذه الاختلافات لإضعاف الكيان الإسلامي الجامع [2].

كما أن النظام التعليمي الاستعماري أحدث فرزًا طبقيًا وثقافيًا بين المدارس الدينية والمدارس النظامية الإنجليزية، مما أنتج عزلة فكرية وتغذية الشك المتبادل بين العلماء والمتعلمين، وبالتالي انتقلت هذه الانقسامات إلى داخل المساجد والمدارس والمنتديات العلمية. واستمر هذا الأثر حتى ما بعد الاستقلال، حيث ورثت الدولة الباكستانية البنية الطائفية التي زرعها الاستعمار، وأخفقت في تأسيس منهج ديني جامع ومعتدل.

موقف العلماء والحركات الدينية من الاختلافات المذهبية

لقد اختلفت مواقف العلماء والحركات الدينية من الاختلافات المذهبية في باكستان بين من تبنّى نهج الوحدة الإسلامية والدعوة إلى الحوار والتسامح، وبين من انخرط في تأجيج الخلافات والصدامات المذهبية. [3].

في المقابل، لم تكن جميع الحركات على هذا المستوى من الانفتاح؛ فقد ساهمت بعض الحركات –عن قصد أو غير قصد– في تكريس الانقسامات من خلال إصدار فتاوى بالتكفير، أو مهاجمة المخالفين في الخطب والرسائل، مما أدى إلى تعميق الجراح الطائفية. وقد أشار الدكتور ضياء الحسن إلى أن بعض المدارس الدينية في باكستان أصبحت مراكز لزرع الكراهية المذهبية نتيجة تأثير التمويل الخارجي

---

1 Khalid Ahmad, Sectarian War: Pakistan's Sunni-Shia Violence and its Links to the Middle East (Karachi: Oxford University Press, 2011), 27.

2 محمد أكرم، الاستعمار البريطاني في الهند وآثاره الفكرية والدينية (الرياض: دار المسلم، 2001) ص149

3 أبوالأعلى المودودي، مسئلہ قومیت (لاهور: ترجمان القرآن، 1965) ص53.

والانحراف في مقاصد التعليم الديني. [1].

المبحث الثاني: أثر الطائفية على وحدة الصف الدعوي

تأثير الخلافات العقدية على الدعوة العامة

الخلافات العقدية بين الجماعات الإسلامية في باكستان تُمثّل أحدَ العوائق الرئيسة إمام تحقيق وحدة الصف الدعوي. فكل جماعةٍ تركز على إثبات صحة معتقداتها وتفنيد آراء غيرها، مما يؤدي إلى تحويل الخطاب الدعوي من التوجيه والإصلاح إلى الجدل والانقسام. وقد أشار الشيخ أبو الأعلى المودودي إلى هذه الظاهرة بقوله: "عندما يتحول الخلاف من اختلاف تنوع إلى خلاف تضاد، يفقد العمل الإسلامي اتجاهه الجماعي"[2]. هذا التناحر العقدي يُضعف الثقة بين العاملين في حقل الدعوة، ويُسهم في تفتيت الجهود بدلًا من توحيدها.

علاوة على ذلك، فإن الجدل العقدي يؤدي إلى نفور العوام والمثقفين من الخطاب الديني، إذ يرونه مليئًا بالتكفير والتبديع المتبادل. وقد نبّه الدكتور فضل الرحمن إلى هذه الظاهرة في تحليله لمجتمع ما بعد التقسيم قائلاً:

> " Theological polemics between sects have weakened the moral impact of religion on the public, leading to alienation from organized religion"[3]
>
> "إن الجدل العقدي بين الفرق والمذاهب قد أضعف الأثر الأخلاقي للدين على عامة الناس، مما أدى إلى نفورهم من التدين المنظم."

فبدلًا من أن تكون الدعوة وسيلة لجذب الناس إلى الدين، أصبحت أداةً لإثارة الريبة في أذهان الناس حول الدين نفسه.

عجز الجماعات عن تأسيس خطاب إسلامي موحد

تتمثل إحدى آثار الطائفية البارزة في فشل الجماعات الإسلامية في صياغة خطاب إسلامي موحد يخاطب كافة شرائح المجتمع الباكستاني. إذ إن كل جماعة تنطلق من مفاهيمها ومصطلحاتها العقدية والفقهية الخاصة، مما يصعّب على الجماهير البسيطة استيعاب الرسالة الإسلامية الجامعة. هذا

---

1 ضياء الحسن، التعليم الديني والطائفية في باكستان، ضمن: المجلة الباكستانية للدراسات الإسلامية، العدد 12، 242/2019.

2 مودودي، ابوالاعلى، مبادی اسلام (لاهور: ترجمان القرآن، 1997) ص:56

3 Rahman, Fazlur. Islam and Modernity. Chicago: University of Chicago Press, 1982, p: 144

الانقسام في الخطاب يُسهم في تكريس الهوية الفِرَقية بدلاً من الهوية الإسلامية الجامعة.

ومن الجانب الميداني، نجد أن هذا الانقسام في الخطاب يعوق التعاون العملي بين الجماعات الإسلامية في مواجهة التحديات المشتركة كالعلمانية والتغريب. وقد لاحظت الباحثة Christine Fair هذه الإشكالية في دراستها عن الإسلام السياسي في باكستان بقولها:

> " There is little evidence of cohesive religious mobilization due to deep intra-Islamic sectarian schisms".(1)

وهذا التباعد يحرم الدعوة الإسلامية من قوتها التكاملية ويجعلها عُرضة للاستغلال السياسي.

أمثلة من الواقع الباكستاني في الجامعات والمدارس الدينية

يُلاحظ الباحثون والمهتمون بالتعليم الإسلامي في باكستان أن الطائفية تترك أثرًا كبيرًا على تكوين المناهج وأساليب التدريس داخل الجامعات والمدارس الدينية. فغالبًا ما يرتبط كل معهد ديني أو جامعة إسلامية بأحد المذاهب الأربعة أو الفِرَق العقائدية الكبرى كالسلفية، الديوبندية، البريلوية أو الشيعة. وهذا الانتماء المذهبي ينعكس بوضوح في المضامين التعليمية وفي طريقة إعداد الطلاب، مما يُنتج خطابًا دعويًا مغلقًا يفتقر في كثير من الأحيان إلى الانفتاح على الآخرين من أبناء الأمة. وقد أشار الباحث سعد محمود حسين في دراسته:

> "The curriculum of Pakistan's major madrassahs is heavily influenced by sectarian identity. Each sect promotes its own theological narrative, with little emphasis on pluralism or cross-sectarian understanding (2) ".
>
> "إن مناهج المدارس الدينية الكبرى في باكستان تتأثر تأثرًا شديدًا بالهوية الطائفية، إذ يعمل كل مذهب على ترويج خطابه العقدي الخاص، مع إغفالٍ شبه تام لمفهوم التعددية والتفاهم بين المذاهب المختلفة."

وفي مثال واقعي، نلاحظ أن بعض الجامعات الكبرى مثل الجامعة الإسلامية في بهاولپور أو جامعه بنورى تاؤن في كراتشي، ورغم مكانتها، لا تزال تعاني من محدودية الانفتاح على بقية المذاهب، بل أحياناً تُدرَّس فيها مناهج تنتقد صراحة الفرق الأخرى. وقد أورد الباحث الأمريكي Vali Nasr في دراسته حول الطائفية الشيعية–السنية:

---

1 Fair, C. Christine. Fighting to the End: The Pakistan Army's Way of War. Oxford: Oxford University Press, 2014, p: 89

2 Hussain, Saad Mehmood. Madaris and Sectarian Integration in Pakistan. Islamabad: Center for Social Research, 2018, p. 54

"Sectarian-based institutions are increasingly becoming the main producers of preachers, limiting opportunities for cross-sectarian collaboration".[1]

"أصبحت المؤسسات القائمة على الطائفية منتجًا رئيسيًا للدعاة بشكل متزايد، مما يحد من فرص التعاون بين المذاهب".

وهذا الواقع يشكّل عائقًا حقيقيًا إمام وحدة الصف الدعوي في باكستان.

المبحث الثالث: العلاقة بين الصراع السياسي والانقسام المذهبي

توظيف الطائفية في اللعبة السياسية

في باكستان، أصبحت الطائفية وسيلة يستخدمها العديد من السياسيين لتعزيز مكاسبهم الانتخابية وضمان ولاء شرائح معينة من الناخبين. تُوظَّف الانتماءات المذهبية في الحملات السياسية لكسب الدعم الشعبي، خاصة في المناطق التي يطغى فيها مذهب معين. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك استخدام بعض الأحزاب السياسية، للرموز والشعارات الديوبندية لتعزيز نفوذها في المناطق البشتونية.

هذا التوظيف السياسي للطائفية يُعمّق الانقسام بين أفراد الأمة، ويحوّل المذاهب من مدارس فكرية إلى جبهات صراع سياسي، الأمر الذي يُهدد السلم الاجتماعي. بل إن بعض الأحزاب لا تتردد في إقامة تحالفات على أساس مذهبي بحت، متجاهلة القيم الإسلامية الجامعة.

كما أن بعض السياسيين لا يترددون في استغلال مشاعر العداء الطائفي، خاصة في أوقات الانتخابات أو الاضطرابات، لتأليب الناس ضد التيارات الأخرى. هذه السياسة تؤدي إلى موجات من العنف الطائفي، كما حدث في كراتشي وپنجاب في التسعينات.

"ارتبطت عدة حوادث عنف طائفي ارتباطًا مباشرًا باستفزازات سياسية قائمة على الهوية الدينية".

الأحزاب الدينية والولاءات المذهبية

الأحزاب الدينية في باكستان تمثل الفاعل الأكثر تأثيرًا في تعميق الانقسام المذهبي، إذ إن معظمها ينبثق من مدارس فكرية معينة، وتحمل في خطابها رؤى عقدية خاصة لا تحتمل غالبًا التيارات الأخرى.

---

1 Nasr, Vali. The Shia Revival: How Conflicts within Islam Will Shape the Future. New York: Norton, 2006, p: 111

إضافة إلى ذلك، فإن ولاءات الأحزاب لا تتوقف عند الداخل الباكستاني فقط، بل تمتد إلى مراكز دعم إقليمية ودولية. فبعض الجماعات الشيعية ترتبط بإيران، في حين أن بعض الجماعات السنية تتلقى دعمًا من دول الخليج. وقد أشار الباحث الأمريكي Stephen Cohen إلى هذه الظاهرة قائلاً:

> " Religious parties in Pakistan often act as proxies for regional sectarian powers, thus importing foreign conflicts into domestic politics" [1].

> "كثيرًا ما تعمل الأحزاب الدينية في باكستان كوكلاء للقوى الطائفية الإقليمية، مما يؤدي إلى استيراد الصراعات الخارجية إلى السياسة الداخلية."

هذه الولاءات العابرة للحدود تُضاعف التوترات الطائفية وتجعل الدعوة الإسلامية مرهونة بصراعات لا علاقة لها بأولويات الإصلاح الاجتماعي المحلي.

نتائج هذا التداخل على العمل الدعوي في باكستان

إن تداخل الصراع السياسي والانقسام المذهبي في باكستان ألحق ضررًا بالغًا بالعمل الدعوي، حيث أدّى إلى فقدان الثقة بين الجماعات الإسلامية المختلفة، وجعل التنسيق بينها شبه مستحيل. فالخطاب الدعوي أصبح ملوّثًا بالتحزبات، ولم يعد يحمل الصبغة الربانية الجامعة. كما أن العوام باتوا ينظرون إلى الدعاة كناطقين باسم أحزابهم لا كحملة رسالة إسلامية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا التداخل يعوق تنفيذ المشاريع الدعوية المشتركة، كمناهج التعليم الموحد أو المبادرات الإعلامية الجامعة. فكل جماعة تسعى إلى نشر خطابها الخاص، مما يؤدي إلى ازدواجية في الطرح وضعف في التأثير.

وأخيرًا، فإن الشباب المتدين الذي يتطلع إلى العمل الدعوي يجد نفسه حائرًا بين الولاءات المتضاربة، مما يضعف انخراطه في النشاط الإسلامي. فتعدد المرجعيات الطائفية يُربك التكوين الفكري للداعية، ويحول دون بناء جيل من الدعاة ذوي الرؤية الشاملة.

---

1 Cohen, Stephen P. The Idea of Pakistan. Washington, D.C.: Brookings Institution Press, 2004, p: 112

المبحث الرابع: الغزو الفكري ومظاهره في باكستان

التعليم الغربي وسيطرته على النخبة

لقد كان نظام التعليم الغربي في باكستان أحد أبرز مظاهر الغزو الفكري، خاصة في أوساط النخب السياسية والثقافية. منذ تأسيس الكليات التي ورثتها باكستان من الحقبة البريطانية، كان المحتوى التعليمي يعتمد على اللغة الإنجليزية والمنهج العلماني، مما ساهم في تكوين طبقة مثقفة تفكر بمنظور غربي. وقد أشار الدكتور فضل الرحمن إلى هذه الظاهرة بقوله: "النظام التعليمي المستورد من الغرب لا يهدف إلى بناء العقل المسلم، بل إلى تشكيل فكر علماني يفصل الدين عن الحياة العامة"[1].

إضافة إلى ذلك، فإن المدارس والكليات الخاصة التي تتبع النموذج الغربي، أصبحت رموزًا للوجاهة والامتياز الاجتماعي، مما دفع الطبقة المتوسطة والعليا إلى تفضيلها على المدارس الدينية أو النظام التعليمي الحكومي. هذا التوجه أدى إلى انقسام معرفي وثقافي داخل المجتمع، حيث أصبحت النخب منقطعة الصلة عن تراثها الإسلامي.

بل إن كثيرًا من خريجي هذه المؤسسات باتوا ينظرون إلى المفاهيم الإسلامية كعقبات إمام التقدم، وتبنت هذه النخبة خطابًا متحررًا من الضوابط الدينية، لا سيما في مجالات الاقتصاد، السياسة، وحقوق المرأة. وقد كتب ادوارد سعيد: "من خلال التعليم الغربي، يتم إدخال منظومات فكرية كاملة تخالف المرجعية الإسلامية دون أي تمحيص نقدي أو مقاومة ثقافية"[2].

الإعلام وترويج النموذج العلماني

الإعلام في باكستان يلعب دورًا محوريًا في نشر الفكر العلماني وتقديمه كنموذج للتقدم والتطور. فقد شهدت العقود الأخيرة ازديادًا ملحوظًا في البرامج التلفزيونية والصحفية التي تمجد القيم الغربية وتهاجم التصورات الإسلامية باعتبارها "رجعية". الإعلام الباكستاني الخاص، خاصة القنوات الفضائية التي تأسست بعد عام 2000، أصبح منبرًا لتطبيع النموذج الليبرالي.

العديد من البرامج الحوارية والصحف اليومية تروج لفصل الدين عن الدولة، وتصور التدين كعقبة إمام حرية المرأة وحقوق الإنسان. في الوقت ذاته، يتم تهميش العلماء والدعاة من التغطيات الإعلامية، أو تقديمهم في صورة نمطية متخلفة. وقد أوردت منظمة PEMRA في تقريرها السنوي

---

[1] Fazlur Rahman. Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition (Chicago: University of Chicago Press, 1982), p. 112.

[2] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص: 111

لعام 2018 أن أكثر من 60% من البرامج الترفيهية تُنتج وفق نماذج مستوردة، غالبًا من الهند أو الغرب، مما يعزز القيم غير الإسلامية [1].

كما أن شبكات التواصل الاجتماعي قد زادت من تعميق هذا التأثير، حيث تتيح منصات مثل فيسبوك، تويتر، ويوتيوب فرصًا واسعة لنشر الأفكار الليبرالية، غالبًا تحت شعار "حرية التعبير".

الاستعمار الثقافي ونتائجه الاجتماعية

إن الاستعمار الثقافي هو الوجه الخفي للهيمنة الغربية على المجتمعات الإسلامية، حيث لا يُمارس بالقوة العسكرية، بل من خلال التأثير في الذوق، والسلوك، واللغة، وطريقة التفكير. في باكستان، تجلى هذا الاستعمار في انتشار اللغة الإنجليزية بوصفها لغة النخبة والتعليم والإدارة، ما أدى إلى تهميش اللغة الأوردية، ناهيك عن اللغات المحلية، وزرع إحساس بالنقص تجاه الثقافة المحلية.

ومن نتائج هذا الاستعمار كذلك أن سلوك الأفراد في المجتمع الباكستاني بدأ يتغير ليواكب "النموذج الغربي"، حيث أصبحت العادات الغربية في اللباس، الاحتفال، وأنماط الاستهلاك معيارًا للتحضر. فالشباب باتوا يقلدون الغرب في سلوكياتهم، بينما يُنظر إلى المظاهر الإسلامية – مثل الحجاب أو اللحية – بشيء من الريبة أو التخلف.).

كما أثّر هذا الاستعمار في مفهوم الأسرة والعلاقات الاجتماعية، حيث بدأت تنتشر أفكار فردانية تقوّض التماسك الأسري، وبرزت دعوات "تحرير المرأة" في إطار علماني محض. [2].

المبحث الخامس: أثر الفكر الغربي على الوعي الديني

الشك في مصادر الإسلام: القرآن والسنة

من أبرز آثار الفكر الغربي على الوعي الديني في باكستان بروز نزعة الشك في مصادر الإسلام الأساسية، لا سيما القرآن والسنة. لقد تأثر بعض المثقفين الباكستانيين، خصوصًا ممن تلقوا تعليمهم في الغرب، بنظرية الشك التاريخي (Historical Skepticism) التي تُشكك في مصادر النصوص الدينية، مما أدى إلى بروز قراءات "تاريخانية" للقرآن الكريم تنزع عنه طابعه التشريعي. من الأمثلة البارزة على هذا التوجه الدكتور فضل الرحمن، الذي رغم محاولته التوفيق بين الإسلام والحداثة، تبنى تأويلاً للسنة

---

1 PEMRA, Annual Report, Islamabad: 2018, p: 44

2 مہدی حسن، پاکستان میں نئی نسل کا مذہبی اور ثقافتی بحران (لاہور: کتاب پبلیکیشنز، 2018)، ص56

النبوية قائمًا على المقاصد دون التزام بالمتن الحرفي، ما أثار جدلاً واسعًا بين العلماء [1].

وقد أدى هذا التأثير أيضًا إلى تشكيك بعض شرائح المجتمع، خاصة فئة المتعلمين باللغة الإنجليزية، في صحة السنة النبوية ومصداقية رواة الحديث، حيث تم التعامل مع السنة بمعايير النقد الغربي للنصوص التاريخية، وليس بمنهج علماء الحديث المسلمين. وقد أشار المستشرق جوزيف شاخت (Joseph Schacht) إلى ذلك بقوله: "إن معظم السنة النبوية اختلقت لاحقًا لتحقيق أغراض فقهية وسياسية"[2]. وهو قول اعتمد عليه بعض الكتاب الباكستانيين من ذوي النزعة العقلانية، كوحيد الدين خان في بعض مقالاته.

هذه النزعة أدت إلى تشويش في فهم عامة المسلمين الباكستانيين، وقلق في قبول النصوص الشرعية، مما انعكس في المناهج التعليمية والبرامج الحوارية التي تُقدم الدين على أنه اجتهاد بشري قابل للنقد والرفض. وقد نبّه الدكتور محمود أحمد غازى إلى هذه المشكلة قائلاً: "إن الشك في حجية السنة أصبح ظاهرة أكاديمية تتسرب إلى التعليم الديني الرسمي، مما يتطلب مواجهته علميًا ومنهجيًا"[3].

ترويج الحداثة الغربية مقابل الأصالة الإسلامية

الفكر الغربي الحداثي يعمل على تقديم نفسه كنموذج حضاري بديل عن المرجعية الإسلامية، وقد وجد هذا الفكر بيئة خصبة في أوساط الجامعات والإعلام في باكستان. حيث يتم تصوير الحداثة الغربية، القائمة على الفردانية والعقلانية المطلقة، على أنها الخيار الوحيد للخروج من التخلف. ويلاحظ في النقاشات الفكرية في باكستان، خصوصًا في المنتديات الليبرالية، نزوع إلى التقليل من شأن القيم الإسلامية بدعوى أنها "ماضوية" وغير قادرة على مواكبة التطور.

هذا الترويج لمفهوم الحداثة أوجد تناقضًا بين الجيل الجديد وتعاليم الإسلام، لا سيما في مجالات السياسة والمرأة والفن. فقد أصبح الكثيرون يتحدثون عن ضرورة "إعادة تفسير الإسلام" بما يتوافق مع مبادئ حقوق الإنسان الغربية. وقد كتب محمد أركون في هذا السياق أن: "التجديد الإسلامي الحقيقي لا يمكن أن يتم دون القطيعة مع التصورات التقليدية التي تقيد حرية الإنسان"، وهي أطروحات تسربت عبر ترجمات كتبه وبعض المدارس الفكرية الحديثة في باكستان [4].

---

1 Rahman, Fazlur. Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition (Chicago: University of Chicago Press, 1982), p. 112.

2 Schacht, Joseph. The Origins of Muhammadan Jurisprudence. Oxford: Clarendon Press, 1967, p: 52

3 غازی، محمود احمد، محاضرات حدیث (لاہور: الفیصل ناشران وتاجران، 2015) ص:202

4 أركون، محمد. نقد العقل الإسلامي (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1998) ص: 89

إلا أن هذا الخطاب غالبًا ما يتجاهل أن الحداثة الغربية نشأت في سياق علماني معادٍ للدين، ولا يمكن استنساخها بالكامل في بيئة إسلامية دون أن يؤدي ذلك إلى تفكك الهوية الدينية. كما أشار مالك بن نبي إلى أن: "الحداثة المستوردة دون فلترة تؤدي إلى فقدان الشخصية الحضارية للمسلمين، وتجعلهم مقلدين لا مبدعين"[1].

الميول إلى الإلحاد أو اللادينية في صفوف الشباب

تُعد الميول المتزايدة نحو الإلحاد أو اللادينية (Agnosticism) من أخطر نتائج تأثير الفكر الغربي على وعي الشباب في باكستان. تشير الدراسات إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات الإلكترونية باتت تُشكك في وجود الله ورسالة النبي ﷺ تحت ستار "حرية التفكير". كثير من الشباب الذين تلقوا تعليمًا علمانيًا أو انجذبوا إلى العلوم التجريبية بدأوا يشكون في ثوابت العقيدة، بسبب غياب التربية الدينية العميقة، وبفعل الحملات الإلحادية التي تتخفى أحيانًا تحت أسماء "الفكر الحر" أو "المنطق العلمي".

ويُذكر أن صفحات الإلحاد على الإنترنت مثل "Ex-Muslims of Pakistan" وغيرها من المجموعات المغلقة باتت تجذب آلاف المتابعين، مستغلة ضعف الثقافة الإسلامية، والأزمات الاقتصادية والسياسية، لتعزيز خطاب نفي الدين. وقد بيّن الباحث الأمريكي Charles Kurzman أن: "اللادينية في المجتمعات الإسلامية الحديثة لا تنبع من قراءة نقدية للنصوص، بل من تصدع ثقة الشباب في المؤسسات الدينية والسياسية معًا"[2].

من المقلق أيضًا أن هذه النزعات بدأت تجد صدى في بعض الأوساط الجامعية، حيث يتم تناول قضايا الإيمان بأسلوب "نسبي"، ويُصور الدين على أنه "خيار ثقافي" لا أكثر.

المبحث السادس: مفهوم العنف الديني وجذوره في باكستان

الفرق بين الجهاد المشروع والعنف الفوضوي

إن التمييز بين الجهاد المشروع والعنف الفوضوي يعد من الضرورات العلمية والدعوية، لا سيما في سياق باكستان المعاصر الذي شهد موجات متعاقبة من التداخل بين المفهومين. فالجهاد في الإسلام هو عبادة ذات ضوابط شرعية، وشروط دقيقة، منها: إذن ولي الأمر، ورفع الظلم، والدفاع عن الحرمات،

---

1 مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص: 67

2 Rana, Amir. Extremism Watch: Mapping Radicalization Trends in Pakistan. Islamabad: PIPS, 2017, p: 76

ولا يكون وسيلة للتمرد أو نشر الفوضى. يقول ابن تيمية: "والجهاد الشرعي هو ما كان تحت راية شرعية، لا جهاد الفتن والخروج الذي يفسد أكثر مما يصلح"[1].

في المقابل، فإن العنف الفوضوي هو استخدام القوة من قِبَل جماعات أو أفراد دون شرعية دينية أو قانونية، في غير محله، وغالبًا ما يُبرر بغطاء ديني زائف. وقد ساهم في انتشار هذا النمط في باكستان غياب الوعي الديني الرشيد، وسوء استخدام النصوص، كما ظهر في بعض الجماعات المسلحة التي تُكفّر الدولة والمجتمع وتُنفّذ هجمات على الأبرياء.

ومن المهم أن نُشير إلى أن هذه الظاهرة لا تُسيء فقط إلى صورة الإسلام عالميًا، بل تعطل أيضًا المشروع الدعوي الإصلاحي، إذ يرتبط في أذهان الناس بين الدعوة والتطرف. ولهذا أكد الشيخ أبو الحسن الندوي: "إن أعظم ما يضر بالدعوة هو أن تُربط بالعنف، وأن يتحول أصحابها إلى أدوات صراع وقتال، في حين أن وظيفتهم الأساسية هي البيان والإصلاح"[2].

السياق السياسي والاجتماعي لنشأة الجماعات المسلحة

ترجع جذور ظهور الجماعات المسلحة في باكستان إلى سياقات سياسية واجتماعية معقدة بدأت منذ الحرب الباردة، خاصة مع الدعم الأمريكي الباكستاني للمجاهدين ضد الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، مما أدى إلى عسكرة الفكر الديني وتحويل "الجهاد" من واجب دفاعي إلى مشروع سياسي.

وعلى المستوى الاجتماعي، فقد لعبت الطائفية المذهبية دورًا كبيرًا في تغذية العنف المسلح، خاصة بعد الثورة الإيرانية عام 1979، حيث شهدت باكستان تصاعدًا في التوترات بين الشيعة والسنة، تزامنًا مع تأسيس جماعات مسلحة مدعومة من أطراف إقليمية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن ضعف مؤسسات الدولة وغياب العدالة الاجتماعية ساهم بشكل مباشر في توفير بيئة خصبة لنشوء هذه الجماعات، حيث شعر بعض الشباب بالظلم والتهميش فلجؤوا إلى جماعات تُقدم لهم هوية دينية، ومكانة اجتماعية، ومبررات للعنف. ويؤكد ذلك د. طارق رمضان: "حين تفشل الدولة في ضمان حقوق المواطنين، ينشأ بديل متمرد يقدم الدين بديلاً عن القانون، وهو ما حدث في مناطق عديدة من باكستان"[3].

استغلال الدين لأغراض سياسية ومذهبية

لقد أصبح استغلال الدين في الصراع السياسي والمذهبي أحد أبرز أدوات التأثير والتعبئة في

---

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 510/28

2 الندوي، الدعوة الإسلامية ومراحلها، ص: 71

3 رمضان، طارق، الإصلاح الجذري (بيروت: الشبكة العربية، 2010) ص: 203

باكستان، حيث يتم استخدام الخطاب الديني من قبل جماعات وأحزاب لتحقيق مصالح دنيوية أو لتصفية حسابات طائفية. وقد ذكر د. خرم مراد: "ليس كل من رفع شعار الدين يقوده بإخلاص، فكثير من التنظيمات المسلحة وظّفت الإسلام لأغراض سلطوية ومذهبية، مما شوّه صورة الإسلام وأضعف الوحدة الوطنية"[1].

وقد استُخدم الدين أداة للشرعنة السياسية، من خلال إصدار فتاوى تكفيرية ضد المخالفين، أو استخدام مصطلحات الجهاد والشهادة لخدمة أهداف حزبية أو انتقامية، مما أدى إلى تبرير التفجيرات في المساجد، والمدارس، والأسواق، وهو ما لا يمت للجهاد الشرعي بصلة.

وقد أدى هذا الاستغلال إلى إضعاف الخطاب الدعوي الوسطي، حيث تراجعت مكانة العلماء الربانيين، وتم تهميش أصوات الاعتدال، لصالح دعاة العنف أو المتحمسين غير المؤهلين، الذين يُحسنون الإثارة ولا يُجيدون التربية. ويؤكد د. راشد شاذ أن: "حين يُختطف الدين من قبل جماعات مسلحة، يتلاشى الخطاب المتزن، وتضيع الدعوة بين دويّ الرصاص وخطابات التكفير"[2].

المبحث السابع: آثار العنف الديني على الدعوة

فقدان المصداقية والثقة في الدعاة

إن من أخطر آثار العنف الديني في باكستان فقدان الثقة في الدعاة والعلماء، لا سيما حين يُنظر إلى بعضهم كجزء من الخطاب التحريضي أو المؤيد ضمنًا لأعمال العنف. لقد أدّى خلط الدين بالسياسة، وانخراط بعض المنابر الدعوية في خطابات الكراهية، إلى تشكيك الناس في نوايا الدعاة، وانخفاض التأثير الاجتماعي للدعوة الإسلامية.

كما ساهم تعميم صورة العنف على كل من يحمل الخطاب الإسلامي في نظر الجماهير، خاصة الطبقات المتعلمة، إلى الدعاة بعين الريبة. فالناس باتوا يخلطون بين الداعية المصلح الذي يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وبين المتشدد الذي يدعو إلى العنف وسفك الدماء. يعلّق الشيخ أبو الحسن الندوي: "حين تُربط الدعوة بالعنف، يسقط الداعية من أعين الناس، ويضيع منهج الإصلاح الهادئ في ضجيج الصراعات المسلحة"[3].

ومن جهة أخرى، فإن الجهات الإعلامية المعادية للإسلام استغلت ممارسات العنف لتشويه

---

1 مراد، خرم، تحریم اسلامی (دہلی: مرکزی مکتبہ جماعت اسلامی، 2008) ص:132

2 شاذ، نقد الخطاب الإسلامي المسلح، ص: 176

3 الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: 229

صورة العلماء والدعاة، وإلصاق تهم "التحريض" بهم، حتى لو كانوا أبرياء منها، مما جعل بعضهم هدفًا للملاحقة أو التشكيك العام. يقول خرم مراد: "في مناخ العنف المسلح، حتى العلماء المعتدلون صاروا موضع شبهة، وأُسكتت أصوات كثيرة كانت تحمل الهدى والنور"[1].

تشويه صورة الإسلام داخل وخارج باكستان

من أبرز آثار العنف الديني في باكستان تشويه صورة الإسلام في الداخل والخارج، حيث باتت وسائل الإعلام العالمية والمحلية تربط الإسلام بالإرهاب والتطرف، مع تجاهل الجانب الحضاري والرحموي فيه. وقد أدى ذلك إلى عزوف قطاعات كبيرة عن التدين، خاصة في أوساط الشباب، خشية الارتباط بالصور العنيفة. يذكر د. طارق رمضان: "إن الصورة السائدة في الإعلام الغربي عن الإسلام الباكستاني باتت مرتبطة بالتفجير والتكفير، لا بالعلم والعدالة والرحمة"[2].

وفي السياق الباكستاني المحلي، أدت هذه الظاهرة إلى ازدياد العداء الشعبي للدين المنظّم، وتحوّل بعض المثقفين إلى الطعن في التراث، أو دعم النزعات العلمانية، بزعم أن التدين يجرّ إلى التشدد.

ومن جهة أخرى، فإن تشويه الإسلام دوليًا بسبب العنف الديني الباكستاني أدى إلى تضييق على الأقليات المسلمة في الغرب، وربط الجاليات الباكستانية بالخطر الأمني. وقد شكا كثير من الباكستانيين في أوروبا وأمريكا من وصمة "الإرهاب" التي تلاحقهم بسبب ممارسات داخلية لا ذنب لهم فيها.

تفتيت وحدة الأمة الإسلامية وتعطيل الإصلاح

أدى العنف الديني في باكستان إلى تمزيق النسيج الاجتماعي للأمة الإسلامية، وتغذية الصراعات الطائفية والعرقية، ما جعل المسلمين في باكستان في حالة تناحر دائم بدلًا من التعاون على البر والتقوى. لقد كانت الوحدة الإسلامية من مقاصد الشريعة العليا، لكن العنف المسلح أجهض هذه المقاصد، وحوّل الدين إلى أداة تفريق بدل أن يكون عامل توحيد. يقول محمد الغزالي: "أخطر ما يهدد الأمة اليوم هو العنف الداخلي الذي يمزقها من داخلها ويمنع عنها فاعلية الإصلاح والتقدم"[3].

وعلى الصعيد الدعوي، فقد أدى هذا الانقسام إلى تعطيل الجهود الإصلاحية الجماعية، إذ أصبح كل تيار يشتبه في الآخر، ويتهمه بالعمالة أو الانحراف، مما أدى إلى تحييد الأصوات الوسطية وتهميش مشاريع الوحدة الدعوية. يشير الشيخ يوسف القرضاوي إلى ذلك بقوله: "حين ينشغل الدعاة

---

1 مراد، تحریک اسلامی، ص:178

2 رمضان، الإسلام والإصلاح، ص: 199

3 الغزالي، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام (بيروت: دار الشروق، 1998) ص: 113

بالصراعات الداخلية، تضيع منهم فرص التغيير الحقيقي، ويتحول العمل الدعوي إلى ميدان صراع لا ميدان بناء"[1].

كما أن المشروع الإسلامي في باكستان ككل تعطّل بسبب هذه التمزقات، إذ لم يعد بإمكان الجماعات الإسلامية أن تتحد على أهداف كبرى، كالعدالة الاجتماعية أو التعليم أو الإصلاح السياسي، بسبب انعدام الثقة وسوء الظن المتبادل.

المبحث الثامن: البدائل الدعوية السلمية في مواجهة العنف

تجارب إصلاحية ناجحة في مقاومة العنف فكرياً

شهدت باكستان عدة تجارب دعوية وفكرية ناجحة في مقاومة العنف الديني، من خلال خطاب متزن يرتكز على العقل والحجة لا على التحريض والتكفير. من أبرز هذه التجارب ما قدمته جماعة الدعوة والتبليغ، والتي اختارت منذ تأسيسها الابتعاد عن السياسة والعنف، مركزةً على إصلاح الفرد والمجتمع عبر الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة. ويشير الدكتور خرم مراد إلى أن: "أسلوب التبليغ القائم على الصمت والدعوة الهادئة كان أنجح التجارب في الحد من تأثير الخطابات المتشددة، خاصة في المناطق الريفية"[2].

كذلك تبرز تجربة جماعة منهج الوسطية الفكرية، التي يقودها مفكرون معاصرون مثل جاويد غامدى، حيث قدمت خطابًا عقليًا غير تقليدي يستهدف النخب ويعمل على تفكيك جذور العنف فكريًا، مع إعادة بناء المفاهيم الإسلامية وفق مقاصد الشريعة.

ومن النماذج البارزة أيضًا مؤسسة الشيخ عارف علوى في كراتشي، والتي ركزت على مكافحة التطرف من خلال الإعلام والتدريب المدني، وقد أطلقت حملات توعية للشباب الجامعي حول خطر الفكر العنيف، وضرورة الرجوع إلى المصادر الإسلامية الوسطية.

دور العلماء والمصلحين في نشر الاعتدال

لعب العلماء والمصلحون في باكستان دورًا محوريًا في نشر الاعتدال ومقاومة مظاهر العنف الديني، خصوصًا أولئك الذين رفضوا التكفير والعنف ودعوا إلى وحدة الصف الإسلامي. من أبرز هؤلاء الشيخ مفتى محمد تقى عثماني، الذي لطالما حذر من خطر التكفير والانزلاق نحو العنف باسم الدين، وكتب بوضوح: "من لا يملك فقه المقاصد والأولويات، لا يجوز له تصدر منابر الدعوة، لأن خطأه يُزهق

---

1 القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص: 157

2 مراد، تحریک اسلامی، ص:95

أرواحًا"[1].

كذلك ساهم الدكتور طاهر القادري من خلال مشروعه الفكري الضخم في تقديم خطاب علمي موثق ضد الإرهاب، خصوصًا بكتابه الشهير "فتوى ضد الإرهاب"، الذي أرسى مبدأ أن الإرهاب لا يتفق مع مقاصد الشريعة ولا مع روح الإسلام. وقد حظي هذا العمل بترحيب عالمي وترجم إلى عدة لغات. كتب القادري: "الإسلام دين الأمن لا الخوف، ودين الحياة لا الموت، وكل من يقتل باسم الدين فهو في الحقيقة يقتل الدين ذاته"[2].

ومن الأمثلة الأخرى الشيخ منظور نعماني الذي دعا طوال حياته إلى الاعتدال والبعد عن الصراعات الطائفية، وكانت كتبه مليئة بالتحذير من الإفراط في استخدام الشعارات الدينية لأغراض سياسية. ويكتب: "العالم إذا لم يكن مصلحًا فقد يتحول إلى خصم للإسلام، لأن الجهل المقنّع بالعلم أخطر من الجهل الصريح"[3].

الاستفادة من منهج النورسي في الدعوة السلمية

إن المنهج الدعوي لسعيد النورسي (رحمه الله) يمثل نموذجًا متكاملًا في مواجهة العنف بالعلم والروحانية والسلام، وقد شكّل مصدر إلهام عميق للحركات الإسلامية في العالم، بما فيها باكستان. يتميز منهج النورسي برفضه الصريح للعنف والصدام السياسي، واعتماده على إصلاح القلوب والعقول من خلال تربية الإيمان واليقين. يقول النورسي في الكلمات: "نحن نحمل سلاح النور لا سلاح النار، فعدونا هو الجهل لا البشر"[4].

وفي السياق الباكستاني، بدأ الاهتمام برسائل النور يظهر منذ الثمانينات، حين قامت عدة مؤسسات مثل رابطة النور في كراتشي ولاهور بترجمة رسائل النور إلى الأردية، وتدريسها في الحلقات الشبابية.

ومن ميزات دعوة النورسي أيضًا ربطها بين الإيمان والعلم، والتجديد الدعوي من داخل المفاهيم الأصيلة للإسلام، مما يجعلها مناسبة للغاية لمواجهة التحديات الفكرية الحديثة في باكستان. ويكتب الأستاذ فتح الله كولن –المتأثر بالنورسي–: "حين لا يكون الخطاب متجذرًا في الروح والقرآن، فإنه

---

1 عثماني، محمد تقى، فقه الجهاد (كراتشي: دار المعارف، 2011) ص: 88

2 القادري، محمد طاهر، الفتوى الكبرى ضد الإرهاب (لاهور: منهاج القرآن، 2010) ص: 49

3 نعماني، دين وشريعت (لاهور: مكتبہ دار البيان، 1998) ص: 134

4 النورسي، سعيد. الكلمات، ص: 34

يتحول إلى شعارات جافة لا تترك أثرًا"[1].

[1] كولن، التجديد الإسلامي في فكر النورسي، ص: 67

الفصل الثانى: الأخطاء المنهجية في أسلوب الخطاب

و فيه مبحثان

المبحث الأول: التركيز على الشكل دون المضمون

المبحث الثاني: الخطاب الإقصائي والعدائي

يُعدّ الخطاب الدعوي أداة محورية في إيصال رسالة الإسلام إلى الناس، غير أن فاعليته مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بصحة المنهج والأسلوب المستخدم. وقد شهدت الساحة الدعوية في باكستان عددًا من الانحرافات المنهجية في الخطاب، سواء في محتواه أو أسلوب عرضه، حيث طغت أحيانًا لغة التشدد أو العاطفة المفرطة، أو تم توظيف الخطاب لخدمة أجندات سياسية أو مذهبية ضيقة. ومثل هذه الأخطاء تؤدي إلى نتائج عكسية، كتغذية العنف، أو إثارة الانقسامات، أو عزوف الناس عن الدين ذاته. ويتناول هذا الفصل دراسة تحليلية لأهم الأخطاء المنهجية المنتشرة في الخطاب الدعوي الباكستاني، مع مقارنة بأسلوب سعيد النورسي (رحمه الله) الذي جمع بين العقلانية والروحانية، وبين التوازن والرحمة، في خطابه الإصلاحي والدعوي، مما يجعله نموذجًا جديرًا بالاحتذاء في تجاوز هذه الاختلالات المنهجية.

المبحث الأول: التركيز على الشكل دون المضمون

من أبرز الأخطاء المنهجية في الخطاب الدعوي في باكستان تركيز بعض الدعاة على الشكل الخارجي للمسلم، كالهندام، اللحية، اللباس، أو المظاهر العامة، دون العناية بتكوين البنية المعرفية والإيمانية المتماسكة. وقد أشار الشيخ محمد الغزالي إلى خطورة هذه الظاهرة بقوله: "إن الانشغال بالمظهر دون الجوهر قد يؤدي إلى مجتمع تهيمن عليه صورة التدين لا حقيقة الدين"[1].

ويتجلى هذا الخطأ في بعض خطب الجمعة والمحاضرات التي تُعطي الأولوية لمظاهر مثل رفع الثوب أو كيفية الجلوس في الصلاة، بينما تُهمل المبادئ الكبرى كالإيمان بالله والرسالة واليوم الآخر، مما يُفقد الخطاب روحه ويُحوّله إلى طقوس شكلية. وقد حذّر الإمام ابن تيمية من ذلك بقوله: "من الناس من يشتغل بتفصيل الأعمال الظاهرة، ويغفل عن حقيقة الإيمان الباطن، وهذا من أعظم الخلل"[2].

وقد لاحظ المفكر الباكستاني أبو الأعلى المودودي هذه الظاهرة مبكرًا، فأكد أن الدين ليس مجرد طقوس، بل نظام حياة متكامل، حيث قال: "ليست العبادة في الإسلام محصورة في الشعائر، بل هي خضوع شامل لله في جميع شؤون الحياة"[3]. هذا الفهم الشمولي غاب عن كثير من خطابات الدعوة، مما أدى إلى تركيز على القشور دون اللب.

المبالغة في الجزئيات والفرعيات

الخطاب الدعوي في باكستان يُعاني أحيانًا من الإفراط في الخوض في الجزئيات الفقهية والفرعية، على حساب الكليات والمقاصد، مما يشتت الجمهور ويُفقدهم البوصلة الدعوية. فعلى سبيل المثال،

---

1 الغزالي، محمد، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (القاهرة: دار الشروق، 1990) ص: 109

2 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (القاهرة: دار الكتب العلمية، 2001) 154/1

3 أبو الأعلى المودودي، نظام الحياة في الإسلام (لاهور: ترجمان القرآن، 1956) ص: 7–10

هناك تركيز زائد على مسائل الطهارة التفصيلية، أو أنواع النجاسات، أو كيفية أداء بعض السنن، بينما تغيب قضايا التوحيد، العدالة، والكرامة الإنسانية. وقد نبه الإمام الشاطبي إلى هذا الخلل بقوله: "الانشغال بالجزئيات على حساب الكليات يُعطّل مقاصد الشريعة"[1].

كما أن هذا التركيز يُسهم في الانقسامات المذهبية، حيث يُغالي كل فريق في تبيان فرعه وتفصيله على أنه الأصل، مما يُسبب فوضى فقهية ويُحول الخطاب الدعوي إلى جدل مذهبي عقيم. وقد أشار الشيخ يوسف القرضاوي إلى ذلك في قوله: "علينا أن نرتفع فوق الخلافات الجزئية، ونقدم الأصول الكبرى التي توحّد الأمة"[2].

وفي السياق الباكستاني، فإن بعض الدعاة قد يجعلون من مسائل مثل جواز كشف الوجه، أو كيفية المسح على الجوارب، موضوعًا دائمًا للخطاب، مما يُسبب مللًا عند الناس ويصرفهم عن القضايا المصيرية كالتعليم، الاقتصاد، والانحراف العقدي. وهذا ما عبّر عنه الشيخ أبو الحسن الندوي حين قال: "من المؤسف أن تُستنزف طاقات الدعاة في جزئيات لا تُسمن ولا تُغني من جوع، بينما العدو يهاجم الثوابت والأصول"[3].

تكرار الخطاب الأخلاقي دون بناء معرفي

يلاحظ في الخطاب الدعوي الباكستاني كثرة تكرار الموضوعات الأخلاقية كبرّ الوالدين، الصدق، الأمانة، مع غياب واضح للبعد المعرفي والتأصيلي لهذه القيم، مما يحوّل الخطاب إلى وعظٍ خالٍ من البناء العقلي العميق. الدكتور طه عبد الرحمن يُعلق على هذا قائلًا: "من الخطأ الجسيم اختزال الأخلاق في نصائح متكررة دون دمجها في بنية معرفية تستند إلى العقيدة والعبادة والعمل"[4].

الخطاب الأخلاقي عندما ينفصل عن التفسير العقلي والنقلي يصبح أقرب إلى خطب تطوير الذات منه إلى خطاب شرعي رسالي

في الواقع الباكستاني، لا يكاد يخلو خطيب من الحديث عن الأخلاق، لكن ذلك لا يُترجم في الشارع أو المؤسسات، لأن الخطاب لم يُبنَ على أسس تربوية ومعرفية متكاملة، بل على مجرد التكرار.

غياب المقاصد الكبرى في الخطاب الديني

من أهم الأخطاء المنهجية غياب المفهوم المقاصدي عن الخطاب الدعوي، حيث يتم التركيز

---

1 الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة (بيروت: دار المعرفة، 1997) 2، ص: 268

2 يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (القاهرة: مكتبة وهبة، 1982) ص: 41

3 أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (دمشق: دار القلم، 1983) ص: 234

4 طه عبد الرحمن، روح الدين (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2012) ص: 89

على الفروع دون فهم شامل للمقاصد الكبرى للشريعة مثل حفظ الدين، النفس، العقل، المال، والنسل. وقد أكد الإمام الجويني على ضرورة مراعاة المقاصد في كل اجتهاد دعوي بقوله: "المجتهد لا يكون مجتهدًا حتى ينظر في مقاصد الشريعة ويجعلها مناط نظره في كل فتوى وخطاب"[1].

غياب المقاصد أدى إلى أن الدعوة لم تُحدث تغيّرًا مجتمعيًا مؤثرًا، بل ظلت تدور في دائرة ضيقة من الطقوس والعادات، وقد أشار محمد الطاهر بن عاشور إلى ذلك بقوله: "الشريعة قائمة على المقاصد، ومن أهملها فقد عطّل جوهرها"[2].

المبحث الثاني: الخطاب الإقصائي والعدائي

لغة التكفير والتضليل داخل المجتمع الدعوي

إنّ استخدام لغة التكفير والتضليل في الخطاب الدعوي يُعدّ من أخطر المظاهر المنهجية السلبية التي ساهمت في تمزيق الصف الدعوي في باكستان. حيث أصبح من المعتاد أن تتبادل الجماعات الدينية اتهامات بالكفر والبدعة والضلال، مما أدّى إلى بثّ روح العداوة والبغضاء بين المنتسبين للعمل الإسلامي. وقد حذّر الإمام ابن تيمية من هذا التسرّع في التكفير فقال: "وأما تكفير المعين فالصواب: أنه لا يُكفّر كلّ من قال ذلك من أهل الأهواء، لأنّ تكفير الشخص بعينه يحتاج إلى توفر الشروط وانتفاء الموانع"[3].

في السياق الباكستاني، تعمّقت هذه الظاهرة منذ مطلع القرن العشرين، حيث دخلت الجماعات الإسلامية في صراعات حادة على خلفيات عقدية ومذهبية، مثل النزاع بين المدارس الديوبندية والبريلوية، ما أدى إلى نزيف دعوي وإضعاف للثقة الجماهيرية بالدعاة. وقد ذكر الدكتور محمود أحمد غازي أن "الأدبيات العقدية في كثير من المدارس الدينية في باكستان تعجّ بلغة التضليل والطعن في الآخر المخالف، مما يخلق جيلاً مشبعًا بالكراهية لا بالعلم"[4].

فالخطاب الديني المنفصل عن الحكمة والرحمة يؤدي إلى عنف فكري واجتماعي.

ضعف ثقافة الحوار والاختلاف

من الإشكاليات الجوهرية التي تعاني منها الدعوة الإسلامية في باكستان هي غياب ثقافة الحوار

---

1 الجويني، امام الحرمين عبد الله بن يوسف، البرهان في أصول الفقه (بيروت: دار الفكر، 1996، 2) ص: 1041

2 ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (تونس: الدار التونسية، 1978) ص: 76

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى (الرياض: دار عالم الكتب، 2005) 12/ 487

4 غازی، محاضرات حدیث، ص:145

والاعتراف بالاختلاف المشروع. فالكثير من الخطباء والعلماء يتبنون خطابًا أحاديًا يرفض الرأي الآخر ويُشيطنه، مما يغلق أبواب الاجتهاد ويُعيق التعايش بين الفرق والمذاهب. وقد قال الإمام الشافعي: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب" [1].

لقد ساهم هذا الجمود الفكري في تراجع قابلية طلبة العلم والدعاة لسماع الآخر والتحاور معه، فغلبت السجالات العقيمة والمناظرات الحادة على الخطاب الإسلامي. وقد لاحظ المفكر الباكستاني أبو الأعلى المودودي هذا الخلل بقوله: "الخطاب الإسلامي يجب أن يتسع لكل اجتهاد مخلص، لا أن يُقصي من خالفنا في الوسائل أو فروع الاعتقاد"[2].

وقد أكّد الدكتور يوسف القرضاوي على هذا المبدأ بقوله: "الخلاف في الفروع لا يوجب فرقة القلوب، بل يجب أن يُدار بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن"[3]. ومن دون نشر ثقافة الاختلاف، سيبقى الخطاب الدعوي عاجزًا عن التأثير الحضاري.

التأثير السلبي على عامة الناس وانحراف الشباب

إنّ الخطاب العدائي والإقصائي لا يبقى confined في نطاق النخبة الدينية فقط، بل يمتد أثره إلى عامة الناس، فيُنتج صورة مشوشة عن الدين، ويُعمّق الانقسامات الاجتماعية. العامة بطبعهم يتأثرون بمنابر الخطباء، فإذا امتلأت هذه المنابر بلغة الكراهية والتحريض، انعكس ذلك على الشارع. وقد حذر النبي ﷺ من فتن القول فقال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» [4].

في باكستان، أثبتت الدراسات أن نسبة كبيرة من الشباب الذين انضموا إلى الجماعات المتطرفة، قد تأثروا بخطب تحريضية تتسم بالإقصاء والتكفير. ووفقًا لتقرير مركز البحوث الأمنية في لاهور:

" The rise of sectarian violence in Punjab correlates directly with inflammatory sermons from certain religious groups" [5]

الخطاب العدائي كان له دور مباشر في إشعال النزاعات الطائفية في المدن الكبرى.

وقد كتب الأستاذ خورشيد نديم: "الشباب في الجامعات يشعرون بالضياع بين خطابين: أحدهما تقليدي معادٍ لكل جديد، والآخر علماني منفصل عن الدين، والسبب هو فشل الخطاب

---

1 النووي، المجموع شرح المهذب، بيروت: دار الفكر، 1997، 1، ص: 54

2 المودودي، تجديد واحياءِ دين (لاهور: ترجمان القرآن، 1966) ص:114

3 القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (القاهرة: مكتبة وهبة، 1982) ص: 98

4 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث: 6477

5 Punjab Counter Terrorism Department Report, 2017, p: 34

الدعوي في التوازن والتجديد"[1]. فالنتيجة أن كثيرًا من الشباب إما تطرف دينيًا أو انسلخ عن الدين بالكلية، بسبب الغلو أو الجفاء في الخطاب الدعوي.

[1] ندیم،اسلام اور ریاست:ایک نئے بیانیے کی تلاش(اسلام آباد:ادارہ علم وامن،2016)ص:88

الفصل الثالث: الانغماس في التصوف الابتداعي

و فيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم التصوف الحقيقي والتصوف المنحرف

المبحث الثاني: انتشار التصوف المبتدع في باكستان

المبحث الثالث: أثر التصوف المنحرف على الدعوة الإسلامية

يُعدّ التصوف أحد المكونات التاريخية العميقة في البنية الدينية للمجتمع الباكستاني، حيث لعب دورًا بارزًا في نشر الإسلام وتشكيل الوعي الروحي عبر العصور. غير أنّ التصوف، كما هو الحال في كثير من البلدان الإسلامية، قد مرّ بتحوّلات كبيرة، وتعرض لتشويهات خطيرة، لاسيما في باكستان، حيث اختلطت المفاهيم الصوفية الحقيقية بممارسات بدعية لا تمت بصلة إلى جوهر التصوف السني الأصيل. وقد أدى هذا الانغماس في التصوف الابتداعي إلى انتشار الخرافات، والاعتماد على الشعائر الشكلية، والبعد عن مقاصد الشريعة، مما أثر سلبًا على مسار الدعوة الإسلامية. كما ساهم في تحييد الطاقات الدعوية، وانشغال الناس بالمظاهر دون الجوهر. ويهدف هذا الفصل إلى تحليل ظاهرة التصوف البدعي في المجتمع الباكستاني، وبيان مخاطرها الدعوية، وضرورة تصحيح المسار الصوفي بالعودة إلى المنهج النبوي الرباني كما بينه العلماء الربانيون أمثال الإمام الغزالي وابن تيمية، ومقارنتها بمنهج سعيد النورسي (رحمه الله) الذي ركّز على تصوف علمي إصلاحي يقوم على التزكية الحقيقية ونقاء التوحيد.

المبحث الأول: مفهوم التصوف الحقيقي والتصوف المنحرف

التصوف كمدرسة روحية في الإسلام: الجذور والمقاصد

لقد نشأ التصوف في الإسلام بوصفه استجابة روحانية لحالة الفتور التي أصابت القلوب نتيجة التوسع الحضاري والانشغال بالمظاهر الدنيوية. فكان في بداياته تعبيرًا عن الزهد والورع والتقرب إلى الله بالعبادة والخلوة والمجاهدة. ويُعد الحسن البصري (ت: 110هـ) من أوائل من مثّل هذا التيار الروحي في الإسلام. يقول الذهبي: "وكان الحسن كثير البكاء، طويل السُهد، عميق الإخلاص، يتكلم عن الله وكأنما يرى الغيب رأي العين"[1].

من الناحية الفكرية، يقوم التصوف الصحيح على مقاصد شرعية واضحة، مثل إصلاح النفس، تحقيق الإخلاص، تزكية القلب، ومجاهدة الهوى. وقد لخّص الإمام أبو حامد الغزالي هذه المقاصد بقوله: "غاية التصوف هي سلوك طريق الآخرة والانفكاك عن علائق الدنيا، والفوز برضوان الله" [2]. فالتصوف لم يكن بدعة دخيلة، بل تيارًا روحيًا أصيلاً ضمن سياق التدين الإسلامي.

كما أن جذور التصوف تمتد إلى القرآن والسنة، حيث الدعوة إلى الإخلاص والزهد والتقوى، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [3]. وقال النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح

---

1 الذهبي، محمد بن احمد، سير أعلام النبلاء (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998) 567/4

2 الغزالي، إحياء علوم الدين، 3/ 18

3 الشمس: 9

الجسد كله..." [1]. فالتصوف الأصيل مدرسة شرعية تهدف إلى تهذيب النفس وربط القلب بالله، دون الانفكاك عن الشريعة أو تحريف معالمها.

الانحرافات الفكرية والسلوكية في التصوف الشعبي

رغم أصالة التصوف كمدرسة روحية، إلا أنّ القرون المتأخرة شهدت انحرافات خطيرة في التصوف الشعبي، لا سيما في المجتمعات شبه القارة الهندية، ومنها باكستان. وقد تحوّل التصوف عند كثير من الطوائف إلى منظومة خرافية تُمجّد الأشخاص، وتعتمد على الأساطير والكرامات المزعومة، وتُقصي العقل والعلم الشرعي. يقول الدكتور أبو الأعلى المودودي: "صار كثير من المتصوفة يطلبون الجنة من قبور الأولياء لا من الله، ويقضون الحاجات بالدرويش لا بالعبادة، فصارت الخرافة دينًا والدين عتيقًا"[2].

ومن مظاهر هذا الانحراف تقديس الشيخ أو "البير" بدرجة تصل إلى تأليه شخصيته، واعتقاد أنه يملك كشف الغيب أو التصرف في الكون، وهو ما يخالف العقيدة الإسلامية.

وعلى مستوى السلوك، فقد تحوّلت بعض الزوايا إلى مراكز للرقص الصوفي والممارسات الغريبة التي لا علاقة لها بالزهد أو العبادة، مثل ضرب الطبول والدوران المفرط والنشوة النفسية. وعلّق الدكتور يوسف القرضاوي على ذلك بقوله: "إن كثيرًا مما يجري في بعض الزوايا لا يمت إلى الإسلام بصلة، بل يعبّر عن انحرافات نفسية واجتماعية تحت غطاء التصوف"[3].

تمييز التصوف السنّي عن التصوف البدعي

من الضروري منهجيًا وعلميًا التمييز بين التصوف السنّي القائم على الكتاب والسنة، وبين التصوف البدعي القائم على الخرافة والانحراف العقائدي. فالتصوف السنّي هو الذي مثّله أمثال الجنيد البغدادي والشيخ عبد القادر الجيلاني، وهو ملتزم بالضوابط الشرعية ومقاصد الشريعة، بعكس التصوف البدعي الذي يتغافل عن الحدود العقدية ويتبنى أفكارًا باطنية. وقد أورد الإمام ابن تيمية هذا التمييز بقوله: "الصوفية ثلاث طبقات: أهل الحق، وأهل الباطل، وأهل الضلال، فالأولون متبعون للشرع، والآخرون مبتدعون"[4].

وقد أكد الإمام الجيلاني في كتبه على ضرورة التزام الصوفي بالعلم والعمل والاتباع، فقال في

---

1 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الايمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح: 52

2 مودودي، تجديد واحياء دين، ص:64

3 القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص: 187

4 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، 12/11

كتابه: "من ادّعى التصوف بلا شريعة فهو زنديق، ومن ادّعى الشريعة بلا تصوف فهو منافق، والتصوف بلا علم شرك، والعلم بلا تصوف جفاف"[1].

وفي السياق الباكستاني، فإنّ كثيرًا من المدارس الديوبندية ومؤسسات أهل الحديث تسعى للتأكيد على التصوف السنّي كجزء من التراث الإسلامي السليم، مع رفض الممارسات الغالية. وقد بيّن الدكتور إسحاق الحسيني في دراسته أن بعض الجماعات تحاول المزج بين روح التصوف وصرامة التوحيد، وهذا ما فعله الإمام أشرف علي التهانوي في كتبه [2].

المبحث الثاني: انتشار التصوف المبتدع في باكستان

عوامل رواج التصوف الموروث والشركيات

لقد ساهمت عوامل تاريخية واجتماعية وثقافية متعددة في رواج التصوف الموروث القائم على الشركيات في باكستان، أبرزها التداخل بين العقيدة الإسلامية والموروث الثقافي الهندي. فقد ورثت المجتمعات المحلية أنماطًا من التدين الشعبي تأثرت بتقاليد ما قبل الإسلام، مثل التعظيم الغالي للأولياء، والتبرك بالأشياء، والاعتقاد بقوة خارقة للأموات.

كما ساعد على انتشار هذا النمط من التصوف الوراثة الدينية داخل الأسر الصوفية، حيث تنتقل مشيخة الزاوية وحقوق الزيارة والكرامات من الأب إلى الابن، مما أضفى قدسية مصطنعة على بعض الشخصيات، دون اعتبار للعلم أو التقوى. وقد وصف الدكتور أبو الأعلى المودودي هذه الظاهرة بأنها "إقطاع روحي متوارث، يجعل من الدين وسيلة للسلطة والنفوذ، لا سبيلًا للهداية والعبادة"[3].

ومن العوامل الجوهرية أيضًا الجهل العام وضعف التعليم الديني، خاصة في المناطق الريفية، مما يجعل العامة عرضة لتأثير الخرافات والروايات غير المسندة. وقد لاحظ الشيخ إحسان إلهي ظهير أن كثيرًا من عوام المسلمين "يجهلون التوحيد والعقيدة الصحيحة، ويأخذون دينهم من مشايخ الطرق، الذين يتداولون القصص المنسوجة والأساطير الملفقة دون علم أو دليل" [4].

مظاهر البدع والخرافات في الأضرحة والاحتفالات

تُعدّ الأضرحة الصوفية في باكستان من أبرز مظاهر التصوف المبتدع والخرافي، حيث تُمارس فيها

---

1 الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني (القاهرة: دار الكتاب العربي، 2000) ص: 55

2 الحسيني، الجماعات الدينية في باكستان (كراتشي: جامعة كراتشي، 1998) ص: 143

3 *المودودي، تجديد واحياء دين*، ص:64

4 ظهير، إحسان إلهي، التصوف: المنشأ والمصادر (لاهور: مكتبة دار السلام، 1986) ص: 92

طقوس تتنافى مع أصول التوحيد، كالتوسل بالأموات، والنذر لهم، والطواف حول القبور، وطلب الشفاء والذرية منهم.

ومن مظاهر هذه البدع أيضًا الاحتفالات السنوية المعروفة بـ"عرس" الأولياء، حيث تُقام فيها الحفلات الموسيقية، والرقص الصوفي، و"الدهمال"، وتُوزّع الأطعمة "للفقراء" تقربًا لصاحب القبر. وقد بيّن الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) في كتاباته أن "المبالغة في تعظيم الأولياء واعتبارهم وسائط في العبادة يُفضي إلى الشرك، وإن حَسُن القصد"[1].

بل وتُمارس في بعض الأضرحة طقوس غريبة كالزحف على الركبتين للدخول إلى المقام، أو تقييد الأطفال بالنذور، أو الإيمان بأن بعض الأضرحة تملك بركة تتفوق على المسجد. وقد أورد الدكتور محمد منظور نعماني أن "هذه الممارسات لا صلة لها بالإسلام، بل هي مزيج من الجهل والصوفية المنحرفة، ويجب مواجهتها بالدعوة والتعليم الصحيح"[2].

دور الإعلام والتعليم الشعبي في ترسيخ هذه المفاهيم

لعب الإعلام الباكستاني، خاصة البرامج الدينية والدرامية الشعبية، دورًا كبيرًا في ترسيخ مفاهيم التصوف البدعي والتقديس الغالي للأولياء، حيث تُعرض مشاهد تُظهر "البير" كشخص خارق له سلطة على مصير الناس. وتنتشر في هذه البرامج صور للكرامات والشفاء والمعجزات دون ربطها بعقيدة التوحيد.

أما التعليم الشعبي، وبالذات في الكتاتيب والمراكز التقليدية، فإنه يُقدّم أحيانًا صورة ممجدة للتصوف، دون نقد علمي أو تمييز بين المشروع والمرفوض. وبعض المناهج الدراسية في المدارس الحكومية والخاصة تتناول حياة الأولياء دون تنبيه إلى خطورة الغلو فيهم.

كذلك تكرّس برامج التوعية الشعبية والمهرجانات الرسمية دور التصوف كمكوّن للهوية الوطنية، لا كقيمة روحية منضبطة بالشرع. فترى الدولة أحيانًا أن نشر التصوف "المرن" وسيلة لمحاربة "التطرف"، مما يُفسح المجال للتصوف البدعي دون حرج. وعلّق المفكر جبريل ريجرد على ذلك قائلًا: " "عندما تُستخدم الشعائر الروحية أو التصوف كأداة سياسية أو أسلوب للتهدئة، فإن جوهرها الروحي يتآكل، وتحولت إلى طقس خارجي فارغ يلبي رغبات الناس لكنه لا يعبر عن يد الله.""[3].

---

1 النورسي، المكتوبات، رسالة 23، ص: 178

2 نعماني، منظور احمد، الإسلام والبدع (دهلي: مكتبة الفرقان، 1988) ص: 75

3 Gabriel, Richard. Sufi Politics in Pakistan: From Bhutto to Benazir. London: Oxford University Press, 1993.

المبحث الثالث: أثر التصوف المنحرف على الدعوة الإسلامية

تعطيل مقاصد الشريعة والدعوة الحقيقية

لقد أدى التصوف المنحرف في باكستان إلى تعطيل واضح لمقاصد الشريعة الإسلامية الكبرى، التي تتمثل في حفظ الدين والنفس، والعقل، والمال، والنسل. فبدلًا من تعزيز التوحيد والتزكية ومناهضة الفساد، انشغل أتباع الطرق الصوفية بطقوس شكلية وممارسات مبتدعة، مما أفرغ الدين من مضامينه الرسالية. ويشير الشيخ إحسان إلهي ظهير إلى هذه الظاهرة بقوله: "التصوف البدعي حوَّل الدين من قوة دافعة للإصلاح إلى طقوس لا روح فيها، مما عطّل مقاصد الشريعة وحيّد الدعوة عن أهدافها"[1].

وقد نتج عن ذلك تغليب الباطن والخيال على العمل والاجتهاد والإصلاح المجتمعي، بحيث بات كثير من الأتباع يظنون أن الوصول إلى الله يتم عبر "الذِّكر الخاص" أو "الخلوة" أو "مبايعة الشيخ"، دون الحاجة إلى العلم الشرعي أو الالتزام بالشريعة. وهذا انحراف بيّن عن المقاصد العليا، كما يوضح د. يوسف القرضاوي: "التصوف الذي ينفصل عن الشريعة، ويغرق في الرمزية والباطنية، يضلّ الناس ويصرفهم عن روح الإسلام ومقاصده"[2].

كما تسبّب هذا النهج في تشويه مفهوم الدعوة الإسلامية، بحيث أصبحت بعض الزوايا الصوفية تُقدّم صورة للدعوة لا تتجاوز حلقات الذكر وزيارات القبور. فلم تعد الدعوة تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الجهاد بالكلمة أو إقامة العدل، بل تحوّلت إلى شعارات لا تُغيّر الواقع. وهذا ما أشار إليه د. فتحي يكن: "التصوف الذي ينعزل عن المجتمع، ويستبدل الجهاد بالإيحاء، والدعوة بالتبرك، يُعطّل حركة الأمة ويُبعدها عن مسار التغيير"[3].

إشاعة التواكل والانفصال عن قضايا الأمة

من أبرز آثار التصوف المنحرف في باكستان ترسيخ ثقافة التواكل والاستسلام للواقع تحت دعاوى "الرضا بالقضاء" أو "ترك الأسباب"، مما انعكس سلبًا على الفاعلية الدعوية والحيوية المجتمعية. فكثير من أتباع الطرق الصوفية لا يرون في النهوض بالأمة أو المشاركة السياسية أو الإصلاح الاقتصادي شيئًا من الدين، بل يُشجَّعون على الانعزال والخضوع للواقع باعتباره "قضاءً مقدرًا". وقد ذكر د. عبد الكريم زيدان: "التصوف السلبي يُشوّه مفاهيم القدر، ويُربي أتباعه على الانسحاب من الواقع، ويمنعهم

---

1 إحسان إلهي ظهير، التصوف: المنشأ والمصادر، ص: 93

2 القرضاوي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، ص: 211

3 فتحي يكن، كيف ندعو إلى الإسلام؟، ص: 85

من القيام بواجب الإصلاح والتغيير"[1].

وقد ظهر ذلك جليًا في مواقف الزوايا الصوفية تجاه قضايا الأمة الإسلامية الكبرى، مثل فلسطين وكشمير، حيث لم تبرز منها مواقف دعوية جماهيرية ذات أثر، بل ظلت في الغالب غارقة في الوجد الروحي والرقص الصوفي، بعيدة عن هموم الأمة السياسية والاقتصادية.

كما أفضى هذا الانفصال إلى عدم إنتاج خطاب دعوي معاصر يُواكب التحديات الفكرية والروحية التي تواجه الشباب، إذ اكتفى كثير من المتصوفة ببرامج "البيعة"، و"العلاج بالروح"، و"الذكر بالأسماء"، دون مخاطبة العقل، أو معالجة مشكلات الهوية، أو التغريب، أو العولمة. ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "حين يغيب الوعي بالقضايا الكبرى، تتحوّل الزوايا إلى قواقع معزولة، ويغدو التصوف ملجأ للهرب لا منارة للإصلاح"[2].

ضعف الحس الرسالي والعملي في المجتمع المسلم

من النتائج الخطيرة للتصوف المنحرف في باكستان ضعف الحس الرسالي لدى المسلم العادي، إذ تراجعت قيمة العمل للدين، والقيام بالواجبات الاجتماعية والدعوية، لصالح النزعة الفردية والاهتمام بالنجاة الذاتية. فغدا كثير من الناس يكتفون بـ"النية الصالحة" أو "الورد اليومي" دون أن يُترجم ذلك إلى خدمة للناس أو دعوة للحق. وقد حذّر الشيخ محمد الغزالي من هذا الاتجاه بقوله: "التصوف السلبي يُضعف منسوب الجهاد في النفس، ويُعزّز الكسل الديني، حتى يُصبح الدين مشاعر لا سلوك"[3].

كما أدى هذا المنهج إلى تراجع دور الأمة في الشهادة على الناس، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن الخطاب الصوفي البدعي قائم في مجمله على "الخواص" و"الأحوال"، لا على البلاغ العام والمخاطبة الجماهيرية، وهو ما يتناقض مع طبيعة الرسالة المحمدية. وقد ذكر د. سعيد حوى: "التصوف الذي يَعتبر النخبة هم وحدهم أهل الله، ويقصي العامة عن التزكية والعمل، يُخالف منهج الأنبياء، الذين بُعثوا للناس كافة"[4].

وأدى ذلك إلى إضعاف ثقافة المبادرة والمسؤولية الفردية والجماعية، فأصبح من الشائع في كثير من المجتمعات الإسلامية أن ينتظر الناس "بركة الشيخ" أو "إذن الروحاني" قبل أي عمل دعوي أو إصلاحي، مما عطّل حركة الدعوة المؤسسية. وقد أشار د. عماد الدين خليل إلى أن: "التصوف الذي

---

1 زيدان، عبد الكريم، المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000) ص: 101

2 الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: 215

3 الغزالي، دد حياتك (القاهرة: دار نهضة مصر، 2001) ص: 119

4 حوى، سعيد، الأساس في التفسير (بيروت: دار السلام، 1997) 38/1

يُحوّل الدين إلى حالة وجدانية دون مشروع حضاري، يقتل روح المبادرة، ويُحول الأمة إلى متلقٍّ لا مُنتج"[1].

[1] خليل، عماد الدين، منهج الحضارة الإسلامية (بيروت: دار ابن كثير، 2004) ص: 171

الفصل الرابع: أثر التغريب على الجيل الجديد (الشباب والمرأة)

و فيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مظاهر التغريب الثقافي والفكري في الجيل الجديد

المبحث الثاني: المرأة الباكستانية بين الحداثة والهوية الإسلامية

المبحث الثالث: التحديات الدعوية مع الجيل المعاصر

يمثل الجيل الجديد من الشباب والنساء القلب النابض لمستقبل الأمة الإسلامية، ولكنّه في الوقت ذاته أكثر الفئات عرضة للتأثر بالموجات التغريبية الفكرية والسلوكية، خصوصًا في ظل العولمة الإعلامية والتقنية، وضعف المناعة الإيمانية والمعرفية. وفي المجتمع الباكستاني، حيث يختلط الإرث الإسلامي الأصيل بثقافات متعددة، أصبح الجيل الجديد يواجه تحديات التغريب في الفكر، واللباس، والسلوك، والرؤية للحياة، مما أحدث قطيعة بينه وبين هويته الإسلامية. وتزداد هذه الظاهرة خطورة عندما تُغيّب البرامج التربوية الدعوية المتوازنة، ويُترك الشباب والنساء بلا تأطير فكري إسلامي واعٍ. من هنا، تتأكد الحاجة إلى خطاب دعوي موجه يراعي الواقع، ويخاطب العقول والقلوب، ويستفيد من الوسائل الحديثة لإعادة الجيل إلى جذوره الإسلامية. وقد قدم سعيد النورسي (رحمه الله) نموذجًا فريدًا في مخاطبة الجيل الجديد من خلال رسائل النور، التي مزجت بين العلم والإيمان، العقل والقلب، لتشكل مشروعًا متكاملاً في التربية الدعوية في مواجهة موجات التغريب.

المبحث الأول: مظاهر التغريب الثقافي والفكري في الجيل الجديد

هيمنة اللغة والثقافة الغربية في التعليم والإعلام

تشهد باكستان منذ عقود تزايدًا ملحوظًا في تأثير اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية على منظومة التعليم والإعلام، وهو ما يعد مظهرًا بارزًا من مظاهر التغريب. فقد أصبحت اللغة الإنجليزية لغة التدريس في معظم المدارس الخاصة والجامعات، وأصبح يُنظر إليها بوصفها رمزًا للرقي الاجتماعي، بينما تُهمّش اللغة الأوردية واللغات المحلية.

وفي الإعلام، تظهر هيمنة الثقافة الغربية من خلال البرامج الترفيهية والمسلسلات والأفلام الأجنبية التي تُبث في الفضائيات الباكستانية دون رقابة تُذكر. هذه المواد تُروّج لمفاهيم الحياة الغربية وتُعيد تشكيل وعي الشباب الباكستاني في اتجاهات غير منسجمة مع قيمه الدينية والاجتماعية.

ومن الجوانب الأخرى لهذا التأثير، اختلال النماذج القدوة، حيث أصبح الشباب يتخذون من نجوم هوليود ونجوم الرياضة الغربية قدوة لهم، على حساب الرموز الإسلامية والعلماء والدعاة. هذا التحول في المرجعيات القيمية يؤدي إلى تفكك الشخصية الثقافية الإسلامية للأجيال الجديدة. وقد وصف العلامة أبو الأعلى المودودي هذا التحول بأنه "غزو خفي يسلب المسلم وعيه بذاته قبل أن يسلبه أرضه"[1].

---

[1] مودودي، ابوالاعلی. اسلامی تہذیب اور اس کے اصول ومبادی (لاهور: ترجمان القرآن، 1987) ص:56

المظاهر السلوكية الدخيلة على الهوية الإسلامية

أدى تغلغل التغريب إلى ظهور سلوكيات دخيلة على الهوية الإسلامية بين أوساط الشباب والنساء في المجتمع الباكستاني، بدءًا من أساليب اللباس والتواصل، وانتهاءً بالاحتفالات والممارسات اليومية. لقد أصبحت المظاهر السلوكية المقتبسة من الثقافة الغربية، مثل تقليد الموضة الغربية والمبالغة في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بأساليب غير منضبطة، سمةً عامة في حياة الشباب.

ومن مظاهر هذا الانحراف السلوكي كذلك ضعف الحياء العام وظهور أنماط من العلاقات الاجتماعية الغريبة عن الأعراف الإسلامية، كالعلاقات المفتوحة بين الجنسين، والحفلات المختلطة، وانتشار ظاهرة "عيد الحب" وغيرها من المناسبات الغربية. هذه الظواهر تُعد انعكاسًا مباشرًا لتأثير الثقافة الاستهلاكية التي تفصل الدين عن الحياة.

ويبرز كذلك ضعف الارتباط بالشعائر الإسلامية، مثل الصلاة، والحجاب، واحترام الوالدين، وهي مظاهر كانت مركزية في تكوين الفرد المسلم. أما الآن فقد أصبحت بعض هذه الشعائر تُعد "رجعية" في نظر الشباب المتأثرين بالإعلام الغربي. يقول الشيخ منظور نعماني: "حين تنفصل السلوكيات عن جذورها العقدية تتحول المجتمعات إلى كائنات ممسوخة لا تعرف من هي ولا إلى أين تتجه"[1].

تغيّر معايير النجاح والحياة في فكر الشباب

من أخطر نتائج التغريب في باكستان تغير معايير النجاح عند الشباب، حيث أصبح النجاح يُقاس بالمظاهر المادية والوظائف الدولية والرفاه الاستهلاكي، بدلًا من العلم، والتقوى، وخدمة الأمة. إنّ التحول من معيار "النجاح الأخلاقي والروحي" إلى "النجاح المادي" هو أحد مؤشرات الهيمنة الثقافية الغربية.

كما أن النموذج الاقتصادي الرأسمالي الذي يُروّج له الإعلام والتعليم دفع الشباب إلى تبني ثقافة "الربح السريع" بدلاً من "العمل القيمي" أو "المهنة ذات الرسالة". لقد تبدلت الأولويات بين طلبة الجامعات، وأصبح التركيز على الوظائف ذات الدخل المرتفع فقط، دون النظر إلى انسجامها مع الأخلاق الإسلامية.

ومن أبرز المظاهر كذلك ضعف الطموح الديني والروحي، وضعف الارتباط بالقضايا الكبرى للأمة، مثل القضية الفلسطينية، أو النهضة الإسلامية، وهي قضايا كانت من أولويات الأجيال السابقة. أما الجيل الجديد، فقد بات منهمكًا في المسابقات الإلكترونية، وأحلام الهجرة، ومتابعة المشاهير.

---

1 نعماني، دين وشريعت، ص:142

المبحث الثاني: المرأة الباكستانية بين الحداثة والهوية الإسلامية

الخطاب النسوي الغربي وتحدياته

لقد تسلل الخطاب النسوي الغربي إلى الأوساط الفكرية في باكستان من خلال بوابة العولمة والتدخلات الدولية في قضايا المرأة، وهو خطاب يستند إلى مفاهيم فردانية ومادية تقطع المرأة عن دورها الفطري والأسري. يروّج هذا الخطاب لفكرة تحرير المرأة من "القيود الدينية والتقليدية" ويُعيد تعريف أدوارها خارج السياق الإسلامي. وقد نبهت المفكرة الباكستانية "فرحت هاشمي" إلى هذا التحدي بقولها: "الخطاب النسوي المستورد لا يعترف بدين ولا بثقافة، بل يستهدف زعزعة بنية الأسرة المسلمة من خلال استهداف المرأة تحديدًا"[1].

ومن التحديات الكبرى التي فرضها هذا الخطاب، فكرة المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في كل الأدوار والوظائف، دون مراعاة للفروق الفطرية والوظيفية التي جاء بها الإسلام. فالحركات النسوية الغربية لا تعترف بالتمييز المشروع في المهام، وتعتبره نوعًا من "التمييز الجندري"، بينما يرى الإسلام أن التكامل بين الجنسين لا يعني التطابق. وقد تناول ذلك الشيخ "سيد أبو الأعلى المودودي" حين قال: "الدعوة إلى المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة تؤدي إلى خلل في التوازن الاجتماعي وتشوه الوظيفة الطبيعية لكل منهما"[2].

كما أن هذا الخطاب يستغل مصطلحات حقوق الإنسان لترويج أجندات تتناقض صراحة مع الشريعة الإسلامية، مثل حرية العلاقات خارج الزواج، وحرية اختيار الهوية الجنسية، ومناهج تعليمية تُعيد تعريف الأسرة. ومن الأمثلة على ذلك، التقارير الصادرة عن منظمات مثل "هيومن رايتس ووتش" التي تنتقد القوانين المستمدة من الشريعة في باكستان بشأن الإرث أو تعدد الزوجات، وتعتبرها انتهاكًا لـ "كرامة المرأة".

صورة المرأة في الإعلام والسياسات العامة

يلعب الإعلام الباكستاني، لا سيما القنوات الفضائية ومنصات التواصل الاجتماعي، دورًا محوريًا في إعادة تشكيل صورة المرأة بما يتماشى مع القيم الليبرالية. فقد أصبحت المرأة تُقدَّم في كثير من الإعلانات والدراما كمصدر للجمال والإغراء، لا كعنصر فاعل أخلاقي في المجتمع. يقول الباحث "محمد عاصم" في دراسة تحليلية له: "الدراما الباكستانية تعزز نماذج المرأة المتمردة على القيم، وتُظهر المحجبة على

---

1 هاشمي، فرحت، المرأة بين الإسلام والحداثة (لاهور: مركز الحكمة، 2015) ص: 67

2 مودودی، ابوالأعلی، الحجاب (لاهور: ترجمان القرآن، 1972) ص: 21

أنها متخلفة أو مضطهدة، في حين تُروّج لغير الملتزمة بوصفها ناجحة ومتحررة"[1].

وفي السياسات العامة، لا تزال المنظمات الممولة دوليًا تضغط على الحكومة لتبني قوانين تمكّن المرأة وفق المنظور الغربي، مثل قانون "حماية المرأة من العنف الأسري" لعام 2016، الذي تم انتقاده من قبل العديد من العلماء بوصفه أداة لتقويض سلطة الأسرة. وقد حذر مجلس علماء باكستان من أن هذه القوانين تُفسد التوازن في العلاقات الأسرية، وتُعطي صلاحيات مفرطة للمرأة دون ضوابط شرعية. وقد صرح الشيخ محمد تقي عثماني قائلاً: "يجب التفرقة بين حماية المرأة وفق الشريعة، وتفكيك الأسرة باسم الحقوق الفردية" (عثماني، محمد تقي. المرأة ومكانتها في الإسلام. كراتشي: مكتبة معارف القرآن، 2014، ص: 88).

أما البرامج الحوارية والإعلامية، فإنها تقدم المرأة كعنصر صراع اجتماعي وسياسي، وليس كشريك في بناء الأمة. كما أن الإعلام يغفل تمامًا النماذج النسائية الإسلامية القدوة مثل خديجة بنت خويلد، وفاطمة الزهراء، ويستبدلها بنماذج غربية أو محلية مشوهة.

أثر التغريب على دور المرأة في الدعوة والأسرة

لقد أدى تغلغل الثقافة الغربية إلى ضعف دور المرأة الباكستانية في مجالات الدعوة والتعليم الإسلامي، بعد أن كانت المرأة المسلمة شريكة في نشر العلم والدعوة منذ عصور الصحابة والتابعين. أما اليوم، فقد تراجعت مشاركتها الدعوية في كثير من المناطق، بسبب انشغالها بأدوار استهلاكية وتجميلية يُروج لها الإعلام الغربي. وقد بينت الأستاذة "سعدية بشير" في أطروحتها أن "الكثير من الفتيات يعتبرن الدعوة نشاطًا تقليديًا لا يتماشى مع العصر، بسبب تأثرهن بالنموذج الغربي للمرأة العاملة والمتبرجة" [2].

كما أدى التغريب إلى إضعاف دور المرأة داخل الأسرة كمربية وموجهة للأبناء، حيث أصبحت بعض النساء ينظرن إلى التربية كعمل ثانوي أو مرهق، مقارنة بالوظيفة أو الحياة الاجتماعية. هذا الفهم ناتج عن خطاب حداثي يُقلل من أهمية الدور التربوي للأم ويصوره على أنه نوع من "الاستغلال الذكوري". بينما يوضح الشيخ "مفتي رشيد أحمد" أن: "وظيفة الأم ليست أقل شرفًا من وظيفة الرجل، بل هي أساس بناء الأجيال، وإذا ضاعت الأم، ضاعت الأمة"[3].

وقد تسبب ذلك كذلك في تراجع مستوى القيم الإسلامية داخل الأسرة، حيث لم تعد المرأة تنقل القيم والأحكام الشرعية لأبنائها كما كان في السابق، بل باتت مصادر التربية تأتي من الإنترنت

---

1 عاصم، محمد. تحليل صورة المرأة في الدراما الباكستانية. مجلة جامعة البنجاب، العدد 22، 2018، ص: 45

2 بشير، سعدية. دور المرأة في الدعوة الإسلامية في باكستان. أطروحة ماجستير، جامعة كراتشي، 2017، ص: 59

3 رشید، مفتی أحمد، شرعی پردہ (کراچی: کتاب گھر، 2013) ص: 42

والإعلام. هذا الانفصال التربوي أحدث فجوة كبيرة بين الأجيال، وأدى إلى تقليد سلوكي غربي في اللباس واللغة والعلاقات.

المبحث الثالث: التحديات الدعوية مع الجيل المعاصر

انقطاع الشباب عن مصادر المعرفة الدينية التقليدية

يعاني الجيل الجديد في باكستان من انفصال واضح عن مصادر المعرفة الدينية التقليدية، كالكتب التراثية، وحلقات العلم، وفتاوى العلماء الراسخين، وذلك نتيجة لتأثير الثقافة الرقمية الغربية والابتعاد عن اللغة العربية والأردية الفصحى.

وقد ساهمت المؤسسات التعليمية العامة في هذا الانقطاع، حيث تغيب المقررات الدينية الأصيلة عن المدارس والجامعات، أو تُقدَّم بأسلوب نظري بعيد عن الواقع والتحديات. وفي دراسة ميدانية أجراها "سيد منير قريشي" على طلبة جامعة كراتشي، تبين أن "أكثر من 63٪ من الطلاب لا يمتلكون أدنى معرفة بمصطلحات دينية مركزية مثل العقيدة أو مقاصد الشريعة"[1].

كما أن صعود منصات الفتوى الرقمية غير المراقبة خلق بديلًا سريعًا وغير موثوق للشباب، فأصبحوا يلجأون إلى "غوغل" و"يوتيوب" بدلًا من الرجوع إلى العلماء والمشايخ، مما فتح المجال للانحرافات الفكرية والتفسيرات المنحرفة. وقد بيّن الشيخ "محمد شفيع العثماني" أن هذا الانفصال "أدى إلى تشكل جيل يجهل حتى أبسط المسائل العقدية، رغم كثافة المعلومات التي يستهلكها يوميًا"[2]. ()

ضعف التفاعل مع المساجد والمدارس الدينية

تعد المساجد والمدارس الدينية من أعمدة البنية الدعوية في باكستان، إلا أن جيل الشباب بات يعزف عنها بشكل ملحوظ، إما بسبب فقدان الارتباط الشعوري أو بسبب نظرة نمطية سلبية ترسخت في الإعلام. وقد أشار الشيخ "طارق جميل" في محاضرة له أن "جيل اليوم يرى المسجد مكانًا لكبار السن فقط، ولا يجد فيه روحًا شبابية أو خطابًا يلامس همومه اليومية"[3].

ومن الأسباب الرئيسة لهذا الضعف في التفاعل، غياب البرامج النوعية المخصصة للشباب داخل المساجد، إذ تركز معظم الخُطب والدروس على مواضيع تقليدية، وتفتقر إلى روح التجديد والحوار المفتوح.

---

1 قريشي، سيد منير. تأثير المناهج الدراسية على الوعي الديني (كراتشي: مركز التعليم الإسلامي، 2021) ص: 87

2 العثماني، محمد شفيع. واقع الشباب والدين في باكستان (كراتشي: مكتبة معارف القرآن، 2018) ص: 45

3 جميل، طارق. محاضرة في ملتقى الشباب الإسلامي، لاهور، 2020

كما أن ضعف تكامل العمل بين المدارس الدينية والجامعات العصرية جعل الشباب يعيشون انفصامًا فكريًا؛ فطلبة المدارس الشرعية لا يتواصلون مع إخوانهم في الجامعات، والعكس صحيح، مما عمق الفجوة المجتمعية.

أهمية تطوير أساليب الخطاب الدعوي الرقمي والتربوي

مع ازدياد اعتماد الشباب على الإنترنت ومواقع التواصل، أصبح من الضروري تطوير الخطاب الدعوي ليتلاءم مع الوسائط الرقمية الجديدة، دون الإخلال بجوهر الرسالة. فالدعوة اليوم لم تعد تقتصر على المنابر أو الدروس التقليدية، بل تشمل مقاطع الفيديو القصيرة، والإنفوغراف، والبودكاست، وغيرها من الوسائل التي تشد انتباه الجيل الجديد. وقد أشار الدكتور "ذوالفقار علي قريشي" إلى أن "أكثر من 70٪ من الشباب الباكستاني يتلقون مفاهيمهم الدينية من المنصات الرقمية، وليس من الكتب أو الخطب المباشرة"

كما أن الخطاب التربوي داخل البيوت والمدارس بحاجة إلى إعادة هيكلة، بحيث يُقدم الدين للشباب في قالب واقعي تربوي، لا وعظي فقط، يربط بين العقيدة والعمل، ويجيب عن الأسئلة الفكرية التي يواجهها الجيل.

إضافة إلى ذلك، فإن إعداد دعاة متخصصين في الإعلام الرقمي أصبح ضرورة دعوية قصوى، بحيث يجمع الداعية بين التأصيل الشرعي والمهارة التقنية. ويُعد نموذج "فرحت هاشمي" من أبرز النماذج الناجحة في هذا المجال، إذ استخدمت الإنترنت واليوتيوب والبودكاست لنشر الدروس القرآنية بأسلوب عصري مؤثر. وقد جاء في تقويم دعوي صادر عن "رابطة الدعوة الرقمية" أن "منصات هداية، والقرآن فور آل، وبيان القرآن، جذبت مئات الآلاف من الشباب بسبب لغة الخطاب والتفاعل المباشر"[1].

[1] تقرير رابطة الدعوة الرقمية، العدد السنوي، 2023، ص: 22

الباب الرابع: تحليل القضايا الدعوية في باكستان من منظور فكر سعيد النورسي

الفصل الاول: تجديد صلة المسلمين بالقرآن الكريم

الفصل الثاني: التوجيه والارشاد بالمنهج السليم

الفصل الثالث: تحليل ضعف الأسلوب الخطابي وتجديده

الفصل الرابع: تحليل الانقسامات والعنف والتصوف البدعي والتغريب وتقديم الحلول الدعوية

الفصل الاول: تجديد صلة المسلمين بالقرآن الكريم

و فيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أهمية القرآن في فكر سعيد النورسي

المبحث الثاني: القطيعة المعرفية مع القرآن في السياق الباكستاني

المبحث الثالث: إعادة ربط المجتمع الباكستاني بالقرآن على ضوء منهج النورسي

إنّ أزمة المسلمين في العصر الحديث ليست فقط أزمة سياسية أو اقتصادية، بل هي في جوهرها أزمة صلة وانتماء، تتمثل في الانفصال الوجداني والعملي عن كتاب الله تعالى. وقد كان لهذا الانفصال آثار كارثية على المنظومة القيمية والسلوكية للأفراد والمجتمعات الإسلامية. وفي السياق الباكستاني، يتجلّى هذا الانفصال في تحوّل القرآن من كتاب هداية إلى كتاب شعائر وتبرّك، مما أضعف الدور الدعوي والنهضوي له. وهنا تبرز أهمية فكر سعيد النورسي (رحمه الله) الذي جعل من "العودة إلى القرآن" محور مشروعه الإصلاحي في رسائل النور، مؤكّدًا أن القرآن الكريم هو مصدر النهضة الشاملة ومنبع التصحيح العقدي والاجتماعي. إنّ هذا الفصل يسلّط الضوء على كيفية إحياء الصلة القرآنية في واقع الدعوة الباكستانية، من خلال عرض رؤى النورسي وتطبيقاتها الممكنة في السياق المحلي.

المبحث الأول: أهمية القرآن في فكر سعيد النورسي

القرآن كمصدر شامل للهداية الفردية والاجتماعية

يتبوّأ القرآن الكريم في فكر سعيد النورسي (رحمه الله) مكانةً مركزيةً بوصفه المصدر الأول للهداية في حياة الإنسان فردًا ومجتمعًا. فهو ليس كتاب تلاوة فحسب، بل هو كتاب هداية وتنظيم للحياة البشرية بكل أبعادها. يرى النورسي أن القرآن يخاطب فطرة الإنسان وعقله ووجدانه، ويقدّم حلولًا شاملة لجميع مشكلاته الروحية والمادية، قائلًا: "القرآن الحكيم، في كل وقت، هو الكفيل الوحيد لإسعاد العالم الإنساني في الدنيا والآخرة، لأنه يحتوي على نظام رباني يتناسب مع الفطرة والعقل والوجدان"[1].

ويعتقد النورسي أن التدهور الحضاري في العالم الإسلامي يرجع في جوهره إلى الانفصال العملي عن القرآن الكريم، لا مجرد البعد عن تلاوته أو دراسته. لذا يؤكّد على ضرورة الرجوع إلى القرآن بفهمٍ تطبيقي وعملي يعيد للأمة الإسلامية مجدها. يقول: "القرآن الكريم دستور خالد، يُهمل في الظاهر، ولكن لا يُمحى من القلب، وما على الأمة إلا أن تعود إلى تطبيقه لتستعيد مجدها"[2].

فمن هذا المنظور، لا يمكن فصل الدعوة الإسلامية المعاصرة عن القرآن الكريم، بل يجب أن تكون منبثقة منه ومسترشدة بنوره في جميع مراحلها، لأن القرآن – في فكر النورسي – ليس فقط مرجعًا دينيًا، بل مشروع حياةٍ متكاملٍ يستوعب الفرد والمجتمع على حد سواء. يقول: "إن الرجوع إلى القرآن بإخلاص يجعلنا نرى كل المشاكل في ضوء النور الإلهي، فنفهم ما يجب فعله"[3].

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 112

2 النورسي، الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون، ص: 221

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية، ص: 38

خصائص الأسلوب الدعوى في رسائل النور

تميّز خطاب سعيد النورسي (رحمه الله) القرآني في رسائل النور بكونه شاملًا، متوازنًا، يخاطب العقل والوجدان معًا، ويُظهر أن القرآن كتاب خطاب عالمي، يتوجّه إلى كافة فئات المجتمع. فقد قال: "القرآن له وجوه متعددة من البيان، يخاطب بها العالم والجاهل، الأمير والفلاح، الفيلسوف والعامي، ويمنح كلٍّ نصيبه"[1].

ولا يقتصر خطاب النورسي على إثارة العواطف الدينية، بل يتميّز بالعمق الفكري والروحي. فقد سعى إلى تقديم معاني القرآن بطريقة تحيي القلوب وتوقظ العقول، قائلًا: "القرآن لا يخاطب العقول فقط، بل يخاطب الأرواح والقلوب، وبهذا يعيد الإنسان إلى فطرته السليمة"[2].

لقد طوّع النورسي الخطاب القرآني ليخاطب تحديات العصر، خصوصًا إمام موجات الإلحاد والمادية. ولهذا استخدم أسلوبًا قرآنيًا يمزج بين البلاغة والإقناع، ويستند إلى نصوص القرآن في كل دعوى، إذ يقول: "لقد استخدمتُ الآيات القرآنية في رسائلي كمنارات تهدي العقول التائهة في ظلمات الركاكة والإلحاد"[3].

مفاهيم التفسير الموضوعي في منهج النورسي

رغم أن سعيد النورسي (رحمه الله) لم يكتب تفسيرًا ترتيبيًا تقليديًا للقرآن الكريم، إلا أن رسائل النور تمثل شكلًا متقدّمًا من أشكال التفسير الموضوعي، حيث تناول فيها موضوعات مركزية من القرآن، مثل الإيمان، التوحيد، النبوة، المعاد، ومقاصد الشريعة، بأسلوب يعالج إشكالات العصر. يقول: "كتبتُ رسائل النور لتكون تفسيرًا موضوعيًا يرد على شبهات العصر لا شرحًا لفظيًا للآيات"[4].

وهذا الأسلوب التفسيري عند النورسي ليس أكاديميًا بحتًا، بل تربويٌّ إصلاحيٌّ بامتياز، يهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع عن طريق إعادة ربطهم بمعاني القرآن الجوهرية، ويؤكّد أن الغرض من التفسير هو ترسيخ الإيمان والعمل لا مجرد سرد المعاني، حيث يقول: "المقصود من التفسير الحقيقي هو الإيمان العميق والعمل الصالح، وليس مجرد شرح الألفاظ"[5].

وقد استند النورسي في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، ومن أبرزها قوله تعالى:

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة السادسة، ص: 112

2 النورسي، اللمعات، اللمعة السابعة، ص: 125

3 النورسي، اللمعات، اللمعة الثانية عشرة، ص: 212

4 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة، ص: 73

5 النورسي، اللمعات، اللمعة التاسعة، ص: 147

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة تبيّن أن الغاية من إنزال القرآن هي التدبر والعمل والاتعاظ، وهو ما أكّد عليه النورسي في منهجه التفسيري الموضوعي، إذ يرى أن المقصد الأسمى للتفسير هو تحصيل الإيمان الراسخ وإصلاح الحياة العملية.

كما عمل النورسي على إزالة التناقض المزعوم بين العقل والإيمان، من خلال تفسير قرآني يبيّن أن العلم الحديث لا يتعارض مع العقيدة، بل يعزّزها. ويصرّح بذلك قائلًا: "في هذا العصر، لا بد من تفسير يبيّن للناس كيف يتناغم العلم الصحيح مع القرآن، ويثبت أن الإيمان لا يتعارض مع العقل"[2].

المبحث الثاني: ضعف الارتباط مع القرآن في الباكستان

ضعف تدبر القرآن في المدارس والجامعات

تعاني المؤسّسات التعليمية في باكستان، سواء المدارس الدينية أو الجامعات الرسمية، من ضعف ملحوظ في تدبر القرآن الكريم وفهمه المنهجي. فغالبًا ما يُدرّس القرآن في هذه المؤسسات من زاوية حفظ النصوص أو التفسير التقليدي السطحي، دون تدريب الطلاب على استنطاق المعاني القرآنية وتطبيقها على الواقع. وقد نبّه سعيد النورسي (رحمه الله) إلى مثل هذا النوع من التعامل الشكلي مع القرآن، قائلًا: "إن الاقتصار على الحفظ دون التدبر يُميت الروح، وإن ظاهره قرآن ولكن باطنه هجرٌ له"[3].

كما أن المقررات الدراسية غالبًا ما تفصل بين المعرفة القرآنية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مما يؤدي إلى قطيعة معرفية تمنع تكوين رؤية قرآنية للعالم. يقول النورسي في هذا الصدد: "من الضروري أن تصبح معارف القرآن هي الأصل الذي تُبنى عليه سائر العلوم، لا أن تبقى على هامش المناهج كما هو حال أكثر المدارس"[4]. وهذا الخلل في المنهج التعليمي ينتج أجيالًا تحفظ ولا تفهم، وتقرأ ولا تتدبر.

ويؤكد واقع التعليم الباكستاني ذلك، إذ تشير تقارير تربوية إلى أن مادة القرآن الكريم تُدرّس بوصفها مادة ثقافية أو شعائرية، لا كبوصلة فكرية للحياة. فلا يوجّه الطلاب إلى استخراج المفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من النص القرآني، ولا يُربط التعليم القرآني بالتحولات المجتمعية، مما يجعل القرآن منفصلًا عن تحديات الحياة. وهذا ما يتعارض مع رؤية سعيد النورسي (رحمه الله) الذي يرى

---

1 ص29:38

2 النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص: 234

3 النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة، ص: 66

4 النورسي، اللمعات، اللمعة الثالثة، ص: 102

القرآن كتاب "الهداية الشاملة لكل زمان ومكان"[1].

جمود التفسير وغياب التجديد فى فهم القرآن

أحد أبرز أسباب ضعف الارتباط في السياق الباكستاني هو جمود التفسير من قِبل طبقة معينة من العلماء، دون فسح المجال لتجديد الخطاب القرآني أو ربطه بأسئلة العصر. فالتفاسير المعتمدة في المدارس والجامعات غالبًا ما تعود إلى القرون الوسطى، وتُدرّس بطريقة تقليدية جامدة لا تتيح المجال لتفسير سياقي معاصر. وقد انتقد النورسي هذا الأسلوب بقوله: "إنّ تجميد معاني القرآن في تفاسير ماضية دون تجديدها يجعل القرآن بعيدًا عن الإنسان المعاصر"[2].

يرى النورسي أن القرآن كتابٌ "يتجدّد مع الزمان، ويتفاعل مع الحوادث، ولا ينتهي عطاؤه"، لذا لا يجوز حصر معانيه في أقوال المفسرين السابقين دون النظر في حاجات العصر ومشكلاته. يقول: "القرآن لا يُستنفد معناه، بل هو بحر لا ساحل له، وكل زمان يأخذ منه بقدر حاجته"[3]. أما في باكستان، فإن هذا الفهم لا يزال غائبًا عن قطاع واسع من الحركات الدينية والعلمية.

كما أن عدم تمكين المفكرين المجدّدين من الدخول إلى مجال التفسير والاجتهاد أدى إلى جمود فكري وتكرار للمضامين دون ربطها بالسياقات الحديثة. وقد دعا النورسي إلى نوع جديد من التفسير لا يعتمد فقط على النقل، بل على العقل والتجربة، ويجمع بين علوم الشرع وعلوم العصر، حيث قال: "لا بد من تفسير يجمع نور العقل مع نور النقل، ليستضيء القلب بنورين، فينجو من ظلمات العصر"[4]. وغياب هذا النموذج عن السياق الباكستاني يعمق القطيعة بين الأجيال والقرآن.

أثر الحركات السياسية والدينية على الخطاب القرآني

تُعدّ الحركات السياسية والدينية في باكستان من أبرز العوامل التي أثّرت سلبًا على الخطاب القرآني، حيث تم تسييس القرآن واستخدامه أداةً للصراع ، بدل أن يكون مرجعًا لبناء الأمة. وقد انتقد سعيد النورسي (رحمه الله) هذا الاستخدام النفعي للقرآن بقوله: "من الخطأ الفادح استخدام القرآن في المعارك السياسية، لأنه كتاب دعوة وهداية لا وسيلة صراع"[5].

كثير من الحركات الإسلامية الباكستانية، سواء ذات الطابع الجهادي أو الحركي، استندت إلى

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الأول، ص: 51

2 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة، ص: 73

3 النورسي، اللمعات، اللمعة السابعة، ص: 119

4 النورسي، الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 117

5 النورسي، اللمعات، اللمعة التاسعة، ص: 141

آيات معينة مجتزأة من سياقها، وركّزت على جوانب السلطة والجهاد، مغفلة القيم التربوية والأخلاقية والاجتماعية في القرآن. هذا المنهج الانتقائي عمّق الفهم الجزئي للنص القرآني لدى الأتباع، وأدى إلى خطاب انفعالي لا يقوم على تدبر شامل. ويشير النورسي إلى خطورة هذا النمط بقوله: "القرآن لا يُجزّأ، بل يُفهم في كليته، ومن يأخذ منه ما يؤيد هواه فقط فهو يخون الرسالة"[1].

ومن جهة أخرى، أدى الصراع بين الحركات الدينية والسياسية إلى تحزّب في تفسير النص القرآني، إذ أصبح كل تيار يفسر الآيات بحسب رؤيته، مما أفقد الخطاب القرآني حياده وشموليته. وقد تنبّه النورسي لهذا الإشكال مبكرًا، مؤكدًا أن: "القرآن فوق الانتماءات، ويجب أن يبقى نقيًّا من النزاعات الحزبية؛ لأنه كلام الله لا يُختزل في فكر حزب أو طائفة"[2].

المبحث الثالث: ربط المجتمع الباكستاني بالقرآن على ضوء منهج النورسي

التفسير الروحي والعقلي في رسائل النور كوسيلة تربوية

امتاز تفسير سعيد النورسي (رحمه الله) للقرآن الكريم في رسائل النور بمنهج فريد يجمع بين الروحانية الإيمانية والعمق العقلي الفلسفي، فجعل من تفسيره وسيلة تربوية لإعادة تشكيل الفرد والمجتمع على أساس قرآني. فهو لا يقدّم القرآن كمجرد نص ديني للتلاوة، بل يعرضه باعتباره منهجًا لبناء النفس والعقل والوجدان. وقد قال في ذلك: "القرآن الكريم كتاب تربية، يعلّم الإنسان كيف يكون عبدًا لله، حرًا من عبودية الهوى والنفس والشيطان"[3]. ويؤكد هذا المنهج التربوي أن فهم القرآن يجب أن يخاطب العقل ويغذّي الروح في آنٍ واحد.

لقد قدّم النورسي نمطًا من التفسير الإيماني العقلي، الذي يخاطب القلوب والعقول معًا دون الوقوع في التجريد الصوفي أو الجمود الظاهري، فكان يربط بين الآيات الكونية والقرآنية في بناء الإدراك الإيماني. يقول: "القرآن يخاطب كل إنسان بلغته، فمنه آيات تبعث على التفكير، وآيات تهزّ القلب، وآيات تهدي العقل إلى توحيد الله"[4]. فهذه الرؤية تُعدّ حلاً للمجتمع الباكستاني الذي يعاني من خطاب ديني يغلب عليه الطابع الطقوسي أو التلقيني، ويحتاج إلى خطاب جامع بين الإيمان والفكر.

وقد أثّرت هذه الرؤية النورسية على كثير من الحركات التربوية، حتى خارج تركيا، حيث تبنّى

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني، ص: 67

2 النورسي، الكلمات، الكلمة الثامنة والعشرون، ص: 256

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الأولى، ص: 5

4 النورسي، اللمعات، اللمعة السابعة، ص: 110

بعض المفكرين الباكستانيين مثل فضل الرحمن وخورشيد أحمد منهج التفسير المقاصدي الذي يُعيد القرآن إلى ساحة الفعل التربوي. وهذه الروحانية الفكرية التي أرسى النورسي أسسها، يمكن أن تشكّل قاعدة لخطاب دعوي باكستاني يُخرج القرآن من دائرة العزلة المعرفية إلى مركز الحركة الاجتماعية والفكرية. يقول النورسي في ذلك: "القرآن هو مركز دوران فكر الإنسان، ومن ابتعد عنه، اختلت بوصلته وأضاع سبيله"[1].

نماذج من تجديد العلاقة بالقرآن في مشاريع دعوية باكستانية

شهدت الساحة الدعوية في باكستان بعض الجهود الملحوظة في تجديد العلاقة بالقرآن الكريم، تتوافق مع منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في بعض ملامحها، رغم تفاوت السياقات والمناهج. من أبرز هذه المشاريع، "دعوة القرآن" للدكتور اسرار أحمد، الذي سعى إلى عرض القرآن كمنهج شامل للحياة، وأسس دروسه القرآنية على فهم تحليلي روحي يخاطب الإنسان الحديث. وقد كان يؤكّد دائمًا أن القرآن ليس فقط كتاب شعائر، بل كتاب قيادة وفكر. وفي إحدى محاضراته قال: "إذا لم يكن للقرآن دور في سياسة الأمة واقتصادها وتربيتها، فإن قراءتنا له ناقصة"[2].

من المشاريع الأخرى، "مجلس تدبر القرآن" بقيادة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، حيث تبنّى منهج التدبر العقلي العميق، الذي يركز على بنية السورة الكاملة والربط بين المقاصد الجزئية والكليّة للآيات، وهو منهج يشبه إلى حد كبير ما ذهب إليه النورسي في تأكيده على وحدة السورة ودلالاتها التربوية. يقول النورسي: "كل سورة كأنها خطاب إلهي مستقل يخاطب الإنسان في زمنه، وفي واقعه، وفي امتحانه"[3].

كذلك تُعدّ الحلقات النسائية لحفظ وتفسير القرآن في مناطق متفرقة من باكستان، مثل مبادرة "دعوة النساء إلى القرآن" في كراتشي ولاهور، محاولات لإعادة القرآن إلى الحياة اليومية عبر الفهم والممارسة، وهي قريبة من دعوة النورسي إلى "جعل القرآن رفيقًا دائمًا للإنسان، لا كتابًا يُقرأ في المناسبات فقط"[4]. هذه المشاريع وإن كانت جزئية، إلا أنها تمثل نماذج عملية يُمكن البناء عليها لصياغة حركة قرآنية شاملة مستوحاة من فكر النورسي.

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثالث، ص: 58

2 محاضرة: مهمة الأمة في ضوء القرآن، مؤسسة تنوير القرآن، لاهور

3 النورسي، الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 124

4 النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص: 176

مقترحات عملية مستلهمة من فكر النورسي لتنشيط الصلة بالقرآن

يمكن استخلاص مجموعة من المقترحات العملية لإعادة ربط المجتمع الباكستاني بالقرآن الكريم، مستلهمة من منهج النورسي الإصلاحي، الذي جمع بين الروحانية والتفكير العلمي. أول هذه المقترحات هو إدخال منهج تفسير إيماني عقلي في المؤسسات التعليمية، بحيث يتم تدريس نماذج من رسائل النور كجزء من مناهج التفسير المعاصر، مع ربطها بقضايا الواقع. يقول النورسي: "لا يكفي أن يحفظ الطالب القرآن، بل لا بد أن يربط بين معانيه وبين مشكلات عصره، ليكون القرآن مرآةً له في الطريق"[1].

ثانيًا، ضرورة بناء حلقات تدبر مجتمعية تشاركية، تعتمد على أسلوب السؤال والحوار لا التلقين، ويشارك فيها جميع الفئات (شباب، نساء، مثقفون)، مع استخدام الوسائط الحديثة (التطبيقات، مقاطع الفيديو، المنصات الرقمية)، كما كان النورسي يؤكد على استخدام الوسائل المعاصرة في الدعوة، بقوله: "كل وسيلة نافعة لا تتعارض مع المقاصد، يمكن توظيفها في سبيل نشر النور القرآني"[2].

ثالثًا، من المهم بناء خطاب إعلامي قرآني يعالج القضايا الراهنة من منطلق قرآني: الفساد، الفقر، البيئة، الأسرة، العدالة، بأسلوب حيّ ولغة مفهومة، وهو ما أكّد عليه النورسي حين دعا إلى "إحياء القرآن في الواقع لا في الكتب فقط"، وقال: "حين يتحول القرآن إلى حياة، تنطفئ ظلمات الجهل، وتُولد أمة جديدة"[3]. فبهذه المقترحات يمكن أن تتحول الصلة بالقرآن من حالة شعائرية إلى مشروع نهضوي شامل.

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 211

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع الأول، ص: 77

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية، ص: 18

الفصل الثاني: التوجيه والارشاد بالمنهج السليم

و فيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: المنهج الدعوي عند النورسي: السِّلم، اللين، والبعد عن الجدل

المبحث الثاني: واقع الخطاب الدعوي في باكستان

المبحث الثالث: تفعيل منهج النورسي في الإرشاد في البيئة الباكستانية

لا شك أن الخطاب الدعوي هو الوعاء الحامل لمضمون الرسالة الإسلامية، وبقدر ما يكون هذا الخطاب سليمًا من حيث الوسائل والمنهج، بقدر ما يحقق أهدافه في الإصلاح والتغيير. وقد عانت الساحة الدعوية الباكستانية من مظاهر متعددة لاختلال في هذا الجانب؛ فالتوجيه والإرشاد كثيرًا ما تمارسا بأساليب تقليدية، تخاطب القشور لا الأعماق، وتنفّر بدل أن تقرّب. في هذا الإطار، يقدّم سعيد النورسي (رحمه الله) في مشروعه الإصلاحي تصورًا عميقًا حول "المنهج السليم في التبليغ"، قائمًا على الحوار، والحكمة، والتدرّج، والشفافية الأخلاقية، مما يجعل دعوته نموذجًا صالحًا للتأمل والاستلهام. ويسعى هذا الفصل إلى تحليل مقومات هذا المنهج في فكر النورسي، وعرض كيفية الاستفادة منه لتجاوز المأزق التبليغي الذي تمر به الدعوة الإسلامية في باكستان.

المبحث الأول: المنهج الدعوي عند النورسي: السِّلم، اللين، والبعد عن الجدل

الحكمة في الإبلاغ وترك العنف في الرد

تميّز منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الدعوة إلى الله بالحكمة والتعقّل، ورفض أساليب العنف في الرد والإقناع، سواء العنف اللفظي أو المادي، واعتبر الجدال العقيم والصدام أسلوبًا بعيدًا عن روح الإسلام القرآني. وقد صرّح بذلك بوضوح في قوله: "إياك أن تدخل في جدال عقيم لا ينتج إلا الخصومة، فإن الهدى لا يُنال بالعنف، وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة"[1]. يظهر من هذا أن النورسي كان يؤمن أن الوسيلة تؤثر على مضمون الدعوة، وأن عنف الأسلوب يطمس نور الحق.

لقد اختار النورسي أسلوب اللين والرفق حتى في أحلك ظروف القهر والاضطهاد الذي مارسته الدولة الكمالية في تركيا، وأصر على مواجهة القمع بالصبر والتبليغ السلمي، معتبرًا أن استخدام العنف أو التحريض هو انحراف عن جوهر الدعوة. ففي أحد خطاباته الشهيرة قال: "لسنا محتاجين إلى السلاح، بل إلى سلاح العلم والرحمة، فإن القرآن لا يُنصر بالسيف، بل يُنصر بالنور الذي يهدي العقول والقلوب"[2].

ويُعدّ هذا النهج من أنسب المناهج لمعالجة التحديات الدعوية في باكستان، حيث تتكاثر التيارات العنيفة والجدلية، سواء في الإعلام أو الجماعات المتطرفة. فإن إدخال منطق الحكمة واللين يعيد الاعتبار إلى الخطاب القرآني الذي يأمر بالدعوة "بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"[3]. وقد قال النورسي:

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة الثامنة، ص: 55

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص: 119

3 النحل: 125

"اللين في الدعوة لا يعني ضعفًا، بل هو قوّة الحقّ حين يُعرض في لباس الرفق والرحمة"[1].

التبليغ الفردي والموعظة المؤثرة

من أبرز ركائز دعوة النورسي تركيزه على التبليغ الفردي بدلًا من الخطابة الجماعية الفارغة، وإيمانه بأن القلوب تُفتح بالموعظة المؤثرة لا بكثرة الشعارات. وقد كتب يقول: "إن رجلاً واحدًا يُخاطَب بقلب صادق ولفظ حكيم خير من ألف يُخاطَبون بخطبة خالية من الشعور والإخلاص"[2]. كان يؤمن أن الفرد هو نواة التغيير، وكل إصلاح اجتماعي لا يبدأ بإصلاح الفرد يبقى هشًا.

وقد ظهرت هذه الفكرة بوضوح في منهجه العملي، حيث كان يركّز على تكوين "الطلاب النورانيين" الذين يفهمون الرسائل، ويعيشونها في حياتهم، ثم ينقلونها بصدق إلى غيرهم. هذا النموذج الفردي من التبليغ ينتج شخصيات ذات وعي إيماني وارتباط وجداني بالقرآن، وليس مجرد حفظ معلومات. قال النورسي: "الدعوة التي تبدأ من القلب وتُوجَّه إلى القلب تبقى وتؤثر، أما الدعوة التي تصدر عن الجدل فلا تولّد إلا صخبًا وانفعالًا"[3].

هذا المنهج يكتسب أهمية مضاعفة في المجتمع الباكستاني، حيث تُهيمن الخُطَب الجماعية عالية الصوت والمليئة بالمواجهة، والتي لا تترك أثرًا فعليًا في سلوك المتلقي. لذلك، فإن استلهام منهج النورسي في التبليغ الفردي، القائم على الحوار والموعظة المؤثرة، يمكن أن يكون حلاً جذريًا للتصحر الروحي والدعوي الذي تعانيه الساحة الباكستانية المعاصرة.

القدوة العملية بدلًا من الجدل الخطابي

من أهم خصائص منهج النورسي في الدعوة اعتماده القدوة العملية بدلًا من الجدل اللفظي، فكان يرى أن الحياة الصالحة والسلوك النبوي هما أبلغ في التأثير من أطنان الكلمات. وقد كتب يقول: "الناس يتأثرون بما يرونه أكثر مما يسمعونه، فكن قرآنًا يمشي على الأرض، فإن الفعل أبلغ من القول"[4]. ومن هنا ظهرت فكرة "التفسير العملي للقرآن" التي سعى إلى تجسيدها في حياته وسلوك طلابه.

كان النورسي يرفض الدخول في المناظرات الدينية مع الفرق الأخرى، وكان يقول: "لستُ في ميدان الجدل، بل في ميدان بناء النفوس، والقرآن لا يحتاج إلى من يحامي عنه بالسجال، بل إلى من

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة السادسة، ص: 78

2 النورسي، الكلمات، الكلمة السابعة، ص: 49

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني، ص: 65

4 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة، ص: 63

يجسّده بالسلوك"[1]. وهو بذلك يقدم نموذجًا للنهوض الدعوي عبر الإصلاح الأخلاقي والمعيشي، في وقت كثُر فيه المتحدثون وقلّت النماذج الواقعية.

ويؤكد هذا الاتجاه ما جاء في القرآن الكريم على لسان النبي شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [2]. فالقدوة كانت أساس كل دعوة قرآنية. وفي السياق الباكستاني، حيث تكثر الشعارات والخطابات الدينية المنفصلة عن السلوك، فإن اتباع نموذج النورسي في الدعوة عبر المثال العملي يمكن أن يُحدث ثورة في ثقة الناس بالدين والدعاة.

المبحث الثاني: واقع الخطاب الدعوي في باكستان

غلبة الخطاب الحزبي والسياسي على التبليغ

شهد الواقع الدعوي في باكستان منذ تأسيسها تُرجح الخطاب السياسي والحزبي على المجال الدعوي، مما أضعف أثر التبليغ الروحي والإيماني. فقد اختُزلت كثير من جهود العلماء والدعاة في تأييد توجهات حزبية، ما أدى إلى اختلاط الدعوة بالدعاية السياسية. وسعيد النورسي (رحمه الله) حذّر بشدة من هذه الظاهرة، وقال في هذا السياق: "إن تسييس الدين يُعرّضه للتوظيف المؤقت، ويفقده قدسيته التي تجذب الأرواح والقلوب"[3]. وفي الواقع الباكستاني، نجد أن الجماعات الإسلامية الكبرى انخرطت في السياسة، مما أدى إلى تجزئة الخطاب الديني.

وقد أدى هذا الانخراط السياسي إلى تسييس مفاهيم الدين، حيث صارت الآيات والأحاديث تُوظف في الصراعات الانتخابية بدلاً من أن تُستخدم في إصلاح النفوس والمجتمعات. هذه الظاهرة أشار إليها النورسي حين قال: "حين تُسخَّر كلمات الحق لخدمة المصالح الدنيوية، فإنها تفقد نورها وتتحول إلى أدوات للخصومة"[4]. ومن هنا فإن الهيمنة الحزبية شوهت وظيفة التبليغ القرآني، الذي أساسه الصفاء والنزاهة.

هذا الواقع الحزبي المسيّس ساهم في تشتيت الأمة بدل توحيدها، وأدى إلى تحويل الدين من عامل وحدة إلى عامل فرقة. وهذا خلاف تمامًا لمنهج النورسي الذي رفض تأسيس أي حركة حزبية أو سياسية، وكان يقول: "طريقنا ليس طريق السياسة، بل طريق الإيمان. لا ننتصر بالصندوق، بل بالقلوب

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع السادس، ص: 138

2 هود: 88

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع السادس، ص: 138

4 النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة والعشرون، ص: 210

المؤمنة التي تحمل نور القرآن"[1]. ولذلك، فإن علاج هذا الخلل في باكستان لا يتم إلا بإعادة النقاء إلى الخطاب الدعوي وفصله عن التوظيف السياسي.

آثار الجدل الطائفي على وحدة المجتمع

من أخطر المشكلات التي يعانيها الخطاب الدعوي في باكستان انتشار الجدل الطائفي والمذهبي الذي فرّق الأمة، وأضعف الثقة العامة في الدين والخطباء والعلماء. فقد أصبحت الخُطب والدروس منابر لتأكيد الهويات المذهبية بدلًا من ترسيخ القيم القرآنية الجامعة. وقد قال النورسي محذرًا من هذا المنزلق: "الجدال في الدين يطفئ نور الإيمان، ويفتح باب التعصب، ويغلق باب الرحمة"[2].

وقد نتج عن هذا الجدل الطائفي حالة التحزب داخل المجتمع الباكستاني، حتى داخل المسجد الواحد والجامعة الواحدة، مما جعل كثيرًا من الناس ينفرون من الدين ذاته، لظنهم أنه مصدر خصام. النورسي كان يصف الطائفية بأنها "داء العصر"، وقال: "التحزّب الطائفي أشبه بسكر فكري يجعل المرء لا يرى إلا فرقته، ويكفر الآخر، وهذا من عمل الشيطان"[3]. هذا التشخيص ينطبق بدقة على الواقع الباكستاني الذي غرق في هذا السكر الطائفي.

إن استحضار رؤية النورسي في هذا السياق يمثّل حلًا واقعيًا لترميم النسيج الاجتماعي، حيث كان يُقدّم الدعوة بأسلوب جامع يتجاوز الطوائف والمذاهب، ويركز على المشترك القرآني. وقد قال في ذلك: "اجعل القرآن ميزانك، لا اسم فرقتك، فإن القرآن لا يتحزب، بل يوحّد"[4]. وهذا ما تحتاجه باكستان اليوم، خطاب يوحّد لا يفرّق، ويُعلي القيم لا الشعارات.

التبليغ بدون تربية: الأزمة والمنهج

أحد أبرز أزمات الخطاب الدعوي الباكستاني المعاصر هو الاهتمام بالتبليغ الظاهري دون مصاحبة عملية تربوية مستمرة، مما أنتج جيلًا يسمع ولا يعمل، ويحفظ ولا يتخلق. وقد انتقد سعيد النورسي (رحمه الله) هذا النمط من التبليغ بقوله: "البلاغ بلا تربية كالسحاب بلا مطر، يُحدث ضجيجًا ولا يُنبت زرعًا"[5]. فالتربية هي الأصل، والتبليغ فرع عنها في منهج النورسي.

ويُرجع النورسي سبب ضعف أثر الدعوة إلى غياب الصحبة التربوية القرآنية التي تُحوّل الخطاب

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة الثالثة عشرة، ص: 301

2 النورسي، الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 132

3 النورسي، اللمعات، اللمعة الثامنة، ص: 99

4 النورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص: 121

5 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية عشرة، ص: 89

إلى سلوك. ولذلك أسّس "مدارس النور" كمجتمعات صغيرة لتربية الإيمان عمليًا، لا مجرد تلقين المعرفة. وقال في هذا السياق: "القرآن يُربّي قبل أن يُعلّم، وإنّ أعظم دعوة هي تربية النفوس بالقرآن حيّةً ملموسة"[1]. وقد اعتبر أن التربية هي المعبر الحقيقي للتأثير الاجتماعي والديني.

إن تجاوز الأزمة التربوية في باكستان لا يتم بإلقاء الخطب أو توزيع الكتيبات، بل بإنشاء مؤسسات دعوية تربوية تُعيد إنتاج الإنسان القرآني العملي. هذا ما فهمه النورسي حين قال: "من دون تربية قرآنية، يصبح الدين ثقافة، لا عقيدة حيّة، والقرآن لا يُقصد به الحفظ، بل التجسد"[2]. ولذلك فإن على باكستان أن تُعيد بناء الخطاب الدعوي على أساس التربية الإيمانية الطويلة النفس لا الخطابة السريعة الزائلة.

المبحث الثالث: تفعيل منهج النورسي في الإرشاد في البيئة الباكستانية

يُعَدُّ منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الإرشاد والتبليغ نموذجًا تربويًا فريدًا يجمع بين التدرج والحكمة، وبين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني. هذا المنهج يحمل إمكانات كبيرة لتفعيله في البيئة الباكستانية التي تعاني من هيمنة الخطاب التقليدي الوعظي أو الجاف، خاصة في ظل التحديات الفكرية والعقدية المعاصرة. من خلال توظيف أساليب النورسي، يمكن تجديد العمل الدعوي في باكستان وجعله أكثر تأثيرًا واتساقًا مع واقع المجتمع وتنوعه الثقافي والتعليمي.

اعتماد أسلوب التدرج التربوي والحكمة

من أبرز معالم منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الإرشاد والتبليغ اعتماد التدرج التربوي والحكمة، إذ كان يرى أن بناء الإيمان في النفس لا يتم دفعة واحدة، بل عبر مراحل متراكمة تبدأ من الإقناع وتنتقل إلى التزكية وتنتهي بالالتزام العملي. وقد عبّر عن هذا بقوله: "الإيمان لا يُصبّ صبًّا في القلوب، بل يُغرس غرسًا بالتدرج والتزكية، كما تنمو الأشجار في رحاب التربية القرآنية"[3]. وهذا التدرج التربوي غائب بدرجة كبيرة عن كثير من الخطابات الدعوية في باكستان، حيث يطغى الطابع الوعظي العاطفي أو الفقهي الجاف على منهج التربية.

وقد شدد النورسي على أن الحكمة شرط أساسي في إيصال الحقائق الإيمانية، خاصة في مجتمع متنوع فكريًا وثقافيًا مثل باكستان. فقد قال: "يجب أن يكون التبليغ متدرجًا بحسب استعداد السامعين،

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الأول، ص: 40

2 النورسي، اللمعات، اللمعة الخامسة، ص: 60

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 289

فالعقول تختلف، كما تختلف قلوبهم، والحكمة تقتضي مراعاة هذا التنوع"[1]. في السياق الباكستاني، حيث توجد طبقات مختلفة من المتعلمين والعوام، يُعدّ التدرج والحكمة شرطًا لنجاح أي مشروع دعوي قائم على رسائل النور.

كما أن النورسي قدّم نموذجًا تطبيقيًا للتدرج عبر تقسيم رسائله بحسب مستويات المتلقين؛ فهناك رسائل للمبتدئين، وأخرى للراسخين، وثالثة للمتشككين. وهذا التصنيف يعكس فهمه العميق للتنوع البشري، وهو ما يمكن توظيفه عمليًا في برامج التبليغ في باكستان، بحيث يُخاطَب الشباب بلغةٍ تختلف عن مخاطبة العلماء أو العامة، وفق قواعد الحكمة والتدرج التي أصلها النورسي في مشروعه الإيماني.

دمج الوعظ الإيماني بالتحليل العقلي

من أبرز ملامح الخطاب النورسي في التبليغ والإرشاد دمج الإقناع الوجداني بالتحليل العقلي، حيث يجمع بين حرارة الوجدان ونور البرهان، فلا يكتفي بالمواعظ التي تثير العاطفة فقط، ولا يغرق في البراهين التي تُجفّف الروح، بل يزاوج بين العقل والقلب. يقول النورسي في هذا السياق: "الحقائق الإيمانية لا تُبلّغ بالقهر ولا بالسطحية، بل تُبنى على فهم عقلي ووجدان حيّ، وهذا هو سرّ ثباتها"[2].

وهذا المنهج ضروري بشكل خاص في بيئة باكستانية شهدت تغلغل شبهات فكرية، وانتشار مناهج تعليمية علمانية أو مادية، ما يجعل الخطاب العقلي التحليلي أمرًا ضروريًا. وقد بيّن النورسي أهمية تقديم العقيدة بلغةٍ عقلانية مقنعة، فقال: "لا يكفي أن تقول: الله موجود، بل اشرح كيف يدلّ الكون عليه، كيف تنطق الذرّة بإسمه، كيف يشهد الجسم له بالتنظيم، فالدعوة اليوم تحتاج إلى منطق قويّ وروح حية معًا"[3].

ولذلك فإن تفعيل هذا المنهج في باكستان يتطلب إعداد دعاة يجيدون اللغة العقلية والبرهانية إلى جانب الوعظ القلبي، مستفيدين من نموذج النورسي الذي نجح في مخاطبة الجامعيين والعلماء والملحدين على حد سواء، بأسلوب يجمع بين جمال الإيمان وقوة البرهان. ومثال ذلك رسالته حول "الوجود الإلهي" حيث دمج الأدلة الكونية والفلسفية مع الآيات القرآنية بطريقة ملهمة وعميقة [4].

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع السابع، ص: 155

2 النورسي، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص: 101

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع الأول، ص: 32

4 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية والعشرون، ص: 251

مشاريع إصلاحية دعوية قائمة على النموذج النورسي

لم يكن منهج سعيد النورسي (رحمه الله) في الإرشاد نظريًا فقط، بل أسّس مشاريع عملية إصلاحية عُرفت بـ"مدارس النور"، وهي تجمع بين التعليم، والإرشاد، والتزكية، وتُعدّ من أنجح النماذج التربوية المعاصرة في العالم الإسلامي. وقد بيّن النورسي هدفها بقوله: "الغاية من مدارس النور: تربية أناس قرآنيين يُظهرون الدين حيًّا في أخلاقهم وسلوكهم، لا حفظًا فقط في عقولهم"[1].

يمكن في باكستان الاستفادة من هذه التجربة بإنشاء مراكز دعوية تربوية تنبني على النموذج النورسي، بدلًا من الاقتصار على الخطب الأسبوعية. فمدارس النور لا تخرّج خطباء فقط، بل تخرّج شخصيات مؤمنة فعالة، لأن التعليم فيها مقرون بالصحبة، والموعظة مقترنة بالقدوة، وهذا ما يفتقده الواقع الدعوي الباكستاني اليوم. وقد قال النورسي: "إذا لم تُقترن الدعوة بالقدوة، تفقد نصف أثرها، فالعين ترى قبل أن تسمع، والنفس تتأثر بالفعل أكثر من القول"[2].

إن تجربة "جماعة النور" التي نشأت بعد النورسي أثبتت أن العمل الجماعي المنظم وفق المنهج القرآني يحقق تأثيرًا دعويًا ممتدًا عبر الزمن. ولذلك فإن تأسيس مشاريع شبيهة بـ"مدارس النور" في الجامعات والمدن الباكستانية يمكن أن يكون مدخلًا لنهضة دعوية قائمة على الإيمان العميق، والتربية العملية، والبصيرة الفكرية.

نقاط المبحث:

أولاً: اعتماد التدرج التربوي في الدعوة، باعتبار أن بناء الإيمان يتم عبر مراحل تبدأ بالإقناع وتنتقل إلى التزكية وتنتهي بالالتزام.

ثانياً: غياب هذا التدرج عن معظم الخطابات الدعوية في باكستان، حيث يغلب الطابع العاطفي أو الفقهي دون بُعد تربوي منهجي.

ثالثاً: تأكيد النورسي على ضرورة مراعاة تفاوت العقول والقلوب، واعتبار الحكمة شرطًا أساسيًا في إيصال الحقائق الإيمانية.

رابعاً: تطبيق النورسي للتدرج عمليًا من خلال تصنيف رسائله بحسب مستويات المتلقين (مبتدئين – راسخين – متشككين).

خامساً: دمج النورسي بين الإقناع العقلي والتحليل العاطفي، حيث يجمع بين حرارة الإيمان ونور البرهان

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة التاسعة، ص: 120

2 النورسي، الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون، ص: 191

في عرضه للعقائد.

سادساً: حاجة المجتمع الباكستاني إلى هذا المنهج التكاملي في ظل تفشي الشبهات الفكرية والمناهج المادية.

سابعاً: أهمية إعداد دعاة يجيدون المزج بين الخطاب القلبي والعقلي، ويتفاعلون مع مختلف فئات المجتمع بأسلوبٍ مرنٍ ومقنع.

ثامناً: نجاح النورسي في مخاطبة مختلف الطبقات (جامعيين، علماء، عوام، متشككين) من خلال الجمع بين المنطق القرآني والتحليل الفلسفي.

تاسعاً: إمكان توظيف رسائل النور عمليًا في البرامج الدعوية الباكستانية بتكييفها وفق السياق والاحتياجات المحلية.

الفصل الثالث: تحليل ضعف الأسلوب الخطابي وتجديده

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: ملامح الأسلوب الخطابي عند سعيد النورسي

المبحث الثاني: مظاهر تكلس الخطاب الديني في باكستان

المبحث الثالث: تجديد الخطاب الديني على هدي رسائل النور

شهدت المجتمعات الإسلامية، ولا سيما في باكستان، تحولات عميقة في بنيتها الثقافية والاجتماعية، نتيجة للحداثة والعولمة وتطور وسائل الإعلام. ومع ذلك، فإن الخطاب الديني لم يواكب هذا التغيير في كثير من مراحله، مما أفقده فعاليته وأدخله في قطيعة مع الجيل الجديد. فبقي الخطاب حبيس الأساليب التقليدية، عاجزًا عن مخاطبة العقل والواقع المعاصر. وهنا تتجلّى إسهامات سعيد النورسي (رحمه الله) الذي أحدث نقلة نوعية في أسلوب الخطاب الديني، حيث ركّز على الخطاب العقلي العاطفي المتوازن، المبني على البرهان والمعايشة الروحية. يهدف هذا الفصل إلى دراسة معالم هذا التحول في فكر النورسي، وبيان كيفية تفعيل عناصره في إصلاح الخطاب الديني الباكستاني ليصبح أكثر ملاءمةً لعصره وأكثر قدرةً على التأثير في مجتمعه.

المبحث الأول: ملامح الأسلوب الخطابي عند سعيد النورسي

يُعدّ الأسلوب الخطابي عند سعيد النورسي (رحمه الله) من أبرز ملامح مشروعه الدعوي، إذ جمع بين التأثير الوجداني والإقناع العقلي، مُمهدًا بذلك لمنهج شامل يخاطب الإنسان بكلّ أبعاده: قلبه، وعقله، وروحه. ولم يكن هذا الأسلوب مجرّد وسيلة تعبيرية، بل كان جزءًا من رؤية متكاملة تهدف إلى بناء الإيمان الحيّ، وتثبيت اليقين، وتحقيق الإصلاح الروحي والاجتماعي. لذلك، فإن تفعيل هذا الأسلوب في البيئة الباكستانية يُعدّ من الأولويات الدعوية في ضوء التحديات الفكرية والعاطفية التي تواجه المجتمع.

الأسلوب الوجداني القائم على بث الإيمان

من أبرز ما يميز خطاب سعيد النورسي (رحمه الله) هو الأسلوب الوجداني العميق الذي يستهدف القلب والروح، ويُشعل جذوة الإيمان في النفس، قبل أن يُخاطب العقل أو يُقيم الحجة. إن هذا الأسلوب ينبع من قناعة النورسي أن الإنسان كائن ذو بُعد روحي، وأن أعمق ما فيه هو الشعور، ومن ثم فإن الخطاب الإيماني لا بد أن يمسّ تلك الجوانب الوجدانية. يقول النورسي: "إنّني أخاطب القلب أولًا، لأنّه مرآة نور الإيمان، فإذا ما أضاء، تهيأ العقل للفهم، والنفس للاتباع"[1].

وقد ظهر هذا الأسلوب جليًا في تعبيراته المتكررة عن عظمة الخالق، وجمال أسمائه، وسُبحان تدبيره للكون، بأسلوب وجداني مؤثر. ففي مواضع كثيرة من رسائل النور، يصف مشاهد الطبيعة والكون بعبارات مؤثرة توقظ الإيمان في القلوب، كما في قوله: "الكون كتاب مفتوح، ترى في كل صفحة من صفحاته تجليات أسماء الله الحسنى"[2].

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية، ص: 35

2 النورسي، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص: 99

هذا الخطاب ليس منطقيًا جافًا، بل يغمر القارئ بجوّ وجداني تربوي، يُربّي النفس على حب الله والخشوع له.كما يعتمد هذا الأسلوب على تصويرٍ وجدانيّ معبّر لمواقف الإيمان، مثل وصفه للقرآن بأنه "الخطاب الإلهي للقلوب الحيّة، لا للعقول الجافة فقط"[1].

مما يجعل هذا النمط الخطابي مناسبًا جدًا للبيئة الباكستانية التي تمتاز بعاطفية دينية، وتفاعل وجداني مع الخطب والدروس. وهذا ما يجعل منهج النورسي قابلًا للتطبيق في تقوية الإيمان الحيّ بين العامة.

الحوار العقلي والمنطقي مع المخالف

إلى جانب الوجدان، يتميز خطاب سعيد النورسي (رحمه الله) أيضًا بالحوار العقلي المنطقي، خصوصًا في مخاطبة المخالفين والمتشككين، وهو أسلوب يعكس اهتمامه العميق بالإقناع لا الإلزام، وبالبحث عن الحقيقة لا المجادلة العقيمة. يقول النورسي: "لا أُجادلهم لأسكتهم، بل أناقشهم لأُنير عقولهم"[2].

فالحوار عنده ليس من باب الدفاع، بل من باب البناء العقلي الراشد.

وقد استخدم النورسي في هذا السياق حججًا فلسفية وكلامية وعلمية للرد على الملاحدة، والماديين، والدهريين، ولكن بأسلوب لا يُشعر الخصم بالإقصاء، بل يستدرجه نحو الحقيقة. ففي رسالته حول التوحيد يقول: "أيها الإنسان! انظر إلى يدك، إلى عينيك، هل صنعتها أنت؟ إن عجزك عن خلق شعرة يدل على أن لك خالقًا قديرًا لا يُحدّ"[3].

فهذا الأسلوب يجمع بين البساطة والعمق، وبين المحاججة والرحمة.

ويُعدّ هذا النوع من الحوار ضرورة ملحّة في البيئة الباكستانية، خاصة في أوساط الطلبة والنخب الذين قد تأثروا بالتيارات الغربية أو الشبهات الفكرية. إن ما يُميز النورسي في هذا الباب هو أنه لم يُخاطب العقول بلغة الجدل الكلامي الجاف، وإنما ربط العقل بالإيمان، والمنطق بالروح، وهذا ما يحتاجه الخطاب الإسلامي المعاصر في باكستان ليكون فعالًا ومؤثرًا.

اللغة المتجددة والموجهة لعامة الناس و خاصتهم

تميز خطاب النورسي كذلك باستخدام لغة متجددة، قريبة من الناس، بعيدة عن التعقيد، تجمع

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة الثانية، ص: 42

2 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة عشرة، ص: 174

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 287

بين الوضوح والدقة، وبين البساطة والعمق، الأمر الذي مكّنه من مخاطبة مختلف طبقات المجتمع؛ من العامة والبسطاء، إلى العلماء والمثقفين. يقول النورسي: "إنّني أكتب طريقتي بلغةٍ يفهمها الفلاح كما يفهمها الأستاذ، لأنّ الهداية ليست حكرًا على النخبة، بل رزقًا مشاعًا لكلّ من طرق بابه"[1].

وكانت رسائله غالبًا ما تبدأ بمواقف حياتية أو قصصية، ثم تُستثمر في بيان عقيدة أو قيمة، مما يجعلها سهلة الوصول للناس، دون أن تفرّط في العمق. كما أن النورسي كان يستعمل مصطلحات مألوفة للناس، ويشرح بها المفاهيم العقدية والقرآنية، فيقول مثلًا: "كما أن الشمس تنير الأرض دون تفريق، فكذلك رحمة الله تشمل عباده كافة، فافتح قلبك لها كما تفتح الزهرة أوراقها للنور"[2].

وفي بيئة مثل باكستان، حيث توجد تفاوتات تعليمية وثقافية، تكون هذه اللغة الشاملة ذات فاعلية كبيرة. إن استعمال لغة متجددة تراعي تطور المفاهيم، وتربط الدين بالواقع، هو من أبرز الدروس المستفادة من خطاب النورسي، ويمكن أن يُحدث تحولًا نوعيًا في الخطاب الديني الباكستاني، إذا ما تم استيعابه وتطبيقه.

المبحث الثاني: مظاهر جمود الخطاب الديني في باكستان

إنّ الخطاب الديني في باكستان، رغم ما له من جذورٍ عميقة ومكانةٍ مرموقة في حياة الناس، يعاني من ظواهر متعددة للجمود والانغلاق، أدّت إلى ضعف تأثيره في الساحة المعاصرة، خصوصًا إمام التحديات الفكرية والاجتماعية المتجددة.فبدلًا من أن يُجسّد هذا الخطاب حيوية الدين وقدرته على التفاعل مع الحياة، أصبح في كثير من الأحيان تكرارًا لما مضى، مع غيابٍ ملحوظ لروح التجديد والاجتهاد.وهذا الجمود لم يكن وليد الصدفة، بل هو نتيجة تراكمات تاريخية، ومناهج تعليمية تقليدية، وغياب المشروع الفكري النهضوي الذي يُعيد وصل الدين بالواقع والإنسان.

اعتماد الأسلوب الوعظي الخالي من التحديات الواقعية

من أبرز مظاهر تكلّس الخطاب الديني في باكستان اعتماده على الأسلوب الوعظي التقليدي، الذي يُركّز على التذكير المجرد بالجنة والنار، والمواعظ العامة، مع إغفال شبه كامل للتحديات الواقعية التي يعيشها المسلم الباكستاني، من فقرٍ، وتغيرات اجتماعية، وأزمات فكرية، وعقدية. إن هذا النوع من الخطاب، رغم تأثيره العاطفي المؤقت، لا يُسهم في بناء وعي ديني متماسك، كما أنه يُكرّس الانفصال بين الدين والواقع. وقد انتقد سعيد النورسي (رحمه الله) هذا النمط حين قال:

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة الخامسة، ص: 73

2 النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة عشرة، ص: 145

"إذا اكتفى الواعظ بأن يُردّد ألفاظًا محفوظة لا تمسّ واقع الناس، فإنّ خطابه يصبح طنينًا[1] لا يُثمر شيئًا"[2].

ويُلاحظ أن كثيرًا من الخطب في باكستان تدور في إطار الوعظ المجرد عن الإشكالات الفكرية المعاصرة كالعلمانية، أو مشاكل السلوك المجتمعي كالفقر والبطالة والفساد. بينما كان سعيد النورسي (رحمه الله) يُوجّه خطابه لعلاج المشكلات الواقعية، كإلحاد العصر الحديث، والغزو الفكري، وضعف الإرادة الروحية، ولهذا قال:

"لا بدّ أن يتحوّل الوعظ إلى تشخيصٍ للداء، لا تكرارٍ للمسكنات اللفظية"[3].

إن الخطاب الإسلامي، كي يكون حيًّا ومؤثرًا، لا بد أن يضع في حسبانه التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية، ويعيد صياغة محتواه الوعظي ليرتبط بتلك التحديات، كما فعل سعيد النورسي (رحمه الله) حينما ناقش الاستعمار الفكري، والانحرافات الدينية، ضمن قالب وعظي تحليلي. وهذا ما نفتقده في السياق الباكستاني، حيث بات الخطاب مكررًا، منعزلًا عن السياق، موجهًا لمستمع لا يُشارك فيه همومه الواقعية.

تجاهل لغة الشباب والتقنية في الخطاب

من المظاهر الخطيرة لجمود الخطاب الديني في باكستان تهميشه للغة الشباب والتقنية الحديثة، فمعظم الخطابات لا تأخذ في اعتبارها تطلعات الجيل الجديد، ولا تتفاعل مع وسائطهم الرقمية، ولا تُحدّث المصطلحات الدينية لتكون قابلة للفهم والاستيعاب من قبل هذه الفئة المتغيرة. يقول سعيد النورسي:

"الجيل الجديد لا يُخاطَب بعقلية العصور الماضية، بل بفهمٍ يربط الدين بواقعه وأدواته المعاصرة"[4].

ولم يكن النورسي ليُهمل الشباب، بل ركز عليهم في خطابه التربوي والتعليمي، وأدرك أنهم نقطة التحول في الأمة. فنراه يقول في موضع آخر:

"إنّ شباب الأمة إذا لم تُروَ أرواحهم بنور الإيمان بأسلوبٍ يناسب عقولهم، فإنهم

---

1 صوتٌ متردّدٌ مستمرّ، كصوت الجرس، أو الرنين، أو الأصداء في الأذن.يُقال: سمعتُ طنينًا في أذني، أي صوتًا متردّدًا لا ينقطع.

2 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية والعشرون، ص: 260

3 النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة، ص: 60

4 النورسي، الشعاعات، الشعاع السادس، ص: 105

سيتركون الدين لا لأنه باطل، ولكن لأنّ صورته لم تعد مفهومة"[1].

وهنا يبرز الفرق بين خطاب يتجدد ليلامس الفئة الناشئة، وخطاب تقليدي لا يزال يُخاطبهم بأساليب تعود للقرون الوسطى.

وفي باكستان، لا تزال خطب الجمعة والدروس الدينية تعتمد في الغالب على لغة تقليدية مملوءة بالمصطلحات القديمة التي لا يفهمها الشاب، وتخلو من أي توظيف للتقنية أو التواصل الرقمي، في الوقت الذي يعيش فيه الشباب على منصات التواصل. إن هذا الانفصال يُعزز ظاهرة العزوف عن المساجد والدروس الدينية بين الشباب، ما لم يتم تجديد الخطاب كما فعل النورسي، الذي أدرك أنّ اللغة الوسيطة بين الدين والعصر لا تقل أهمية عن المضمون نفسه.

خلو الخطاب عن قضايا العصر

المظهر الثالث من مظاهر تكلّس الخطاب الديني في باكستان يتمثل في خلوه شبه التام عن قضايا العصر؛ السياسية، والاقتصادية، والبيئية، والحقوقية. فقلما نجد خطابًا دينيًا يتناول مثلاً قضايا حقوق الإنسان من منظور إسلامي، أو يتفاعل مع الكوارث البيئية أو النزاعات الطائفية. هذا الانفصال يولّد في أذهان كثير من الناس أنّ الإسلام لا يملك حلولًا معاصرة، مما يُمهّد الطريق للفكر العلماني. وقد نبّه النورسي لهذا الخطر حين قال:

"إذا ظنّ الناس أنّ الدين لا علاقة له بأحوالهم السياسية والاجتماعية، فإنهم سيبحثون عن الحلول في غيره"[2].

ويُلاحظ أن سعيد النورسي، رغم كونه متصوفًا ومفسّرًا، لم يغفل عن معالجة قضايا عصره: كالتغريب، والانحراف الفكري، والتسلط السياسي. بل إنه خصص رسائل كاملة للرد على النزعات الغربية التي غزت المجتمعات الإسلامية، كقوله في إحدى رسائله:

"إن أخطر سلاح للعدو ليس المدفع، بل نشر الإلحاد المغلّف بالعلم والتقدم، وهنا لا ينفع إلا الإيمان الراسخ المدعوم بالبصيرة"[3].

أما الخطاب الديني السائد في باكستان، فإنه لا يُقارب هذه القضايا غالبًا، ولا يُحلل التغيرات المجتمعية أو يعرض بدائل من المنظور الإسلامي. وهذا الانفصال يجعل الخطاب غير ذي صلة بحياة الناس. في حين أن المنهج النورسي يُلزم الدعاة بتقديم خطاب شمولي متفاعل مع العصر، دون أن يتنازل

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 292

2 النورسي، اللمعات، اللمعة التاسعة، ص: 138

3 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة عشرة، ص: 181

عن الثوابت. وهذا بالضبط ما تحتاجه باكستان في سياقها الحالي.

المبحث الثالث: تجديد الخطاب الديني على هدي رسائل النور

يشهد الخطاب الديني المعاصر في باكستان تحديات معرفية ومنهجية متعددة، في ظلّ تزايد التساؤلات الوجودية والتأثيرات الفكرية الغربية. ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية تجديد الخطاب الديني بأسلوب يجمع بين أصالة المضمون وواقعية الأسلوب. وقدّم سعيد النورسي (رحمه الله) من خلال رسائل النور نموذجًا فريدًا لهذا التجديد، حيث لم يكتفِ بالوعظ التقليدي، بل سلك منهجًا إيمانيًا عقليًا يُخاطب القلب بالعاطفة، والعقل بالبرهان.

تبني الخطاب الإيماني العقلي المؤثر

اعتمد سعيد النورسي (رحمه الله) في منهجه الدعوي على خطاب إيماني عقلي يجمع بين حرارة الوجدان ومنطق البرهان. وهذا يُعد تحولًا مهمًا في الخطاب الإسلامي، الذي كان في بعض مراحله التاريخية يميل إلى المبالغة الوعظية أو التكرار المألوف. فقد أدرك النورسي أن تحديات العصر تتطلب مخاطبة العقل لا مجرد إثارة العاطفة. يقول:

"لا بدّ من إيقاظ الإيمان في القلب لا بالتهويل العاطفي، بل بعرض براهينه العقلية، لتثبيت اليقين"[1].

فبهذا الطرح، يُعيد النورسي تفعيل منهج القرآن في عرض الحقائق العقدية من خلال الدليل العقلي والمثال الواقعي، مما يجعل الخطاب مؤثرًا ومستوعبًا لمقتضيات الوعي المعاصر.

وقد قدّم سعيد النورسي (رحمه الله) عشرات الأدلة العقلية على وجود الله وصفاته، من خلال نظام الكون، وتوازن المخلوقات، وحكمة الخلق، بل وجعل من أبسط الظواهر الطبيعية منطلقًا لترسيخ العقيدة، كما قال في إحدى كلماته:

"إن زهرة واحدة في الربيع دليل كافٍ على وجود الخالق، لو تأمّل فيها القلب بعين العقل"[2].

وهذا النوع من الخطاب، الذي يُزاوج بين الحسّ الروحي والاستدلال العقلي، هو ما يحتاجه المجتمع الباكستاني اليوم، في مواجهة موجات الشك والإلحاد والمادية الفكرية.

في باكستان، حيث تُواجه فئة من الشباب تساؤلات فلسفية ووجودية متأثرة بالحداثة الغربية، فإن تبنّي هذا النموذج من الخطاب الإيماني العقلي، كما قدّمه النورسي، يُعد أداة فعّالة لتعزيز الإيمان

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 249

2 النورسي، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص: 103

الواعي والراسخ، لا الإيمان الوراثي أو الموروث فقط. وهذا يُفضي إلى تحويل الخطاب الديني من حالة التلقين إلى فضاء الحوار والاقتناع واليقين، وهو ما يُنادي به النورسي بقوله:

"إنّ الإيمان لا يورث كما تُورث النقود، بل يُكتسب بالبصيرة والتفكر"[1].

بناء لغة دينية معاصرة تجمع الأصالة والواقعية

من أبرز ما يُميّز الخطاب النورسي أنّه استعمل لغة دينية وسطية، جمعت بين أصالة المفهوم الإسلامي وواقعية العصر وأدواته. لم يتخلّ النورسي عن المفاهيم التراثية الكبرى كـ"الإيمان" و"اليقين" و"الجنة والنار"، لكنه أعاد تقديمها بأسلوب عصري، يخاطب القارئ بلغته وظروفه. فهو لم يُفصل الدين عن العصر، بل جعل من الدين روحًا تُحيي الحياة، لا مفردات لغوية تزيّنها. يقول في ذلك:

"الإيمان لا يجب أن يُقالَ فقط، بل يُعاش ويُعبّر عنه بلغة تُفهم وتُطبَّق في الحياة اليومية"[2].

وقد اعتمد النورسي على استخدام مصطلحات حيوية وواقعية، فاستعمل تعبيرات كـ"مصباح الإيمان"، و"قانون الرحمة"، و"محكمة الضمير"، ليُقرّب المعاني المجردة إلى عقل المتلقي. وهذا ما نحتاجه اليوم في السياق الباكستاني، حيث أصبحت اللغة الدينية في كثير من الأحيان إما مترهلة تقليدية، أو مُفرَغة حداثية. أما الخطاب النورسي فيُعيد للتدين لغته الأصيلة لكن بتأويل معاصر يخاطب الفرد والمجتمع والكون. كما يقول:

"اللغة التي لا تُجسّد العقيدة في واقع الحياة، تتحوّل إلى رمز فارغ لا يُؤثّر في النفوس"[3].

وإن من سمات هذه اللغة أيضًا توظيف الرموز الطبيعية والشواهد الكونية لتقريب المفاهيم، كقوله في وصف القرآن:

"إنه مصباحٌ لا ينطفئ، يُضيء دربَ الحائر في ليلِ الحيرة، ويهدي العقل قبل القلب"[4].

هذه اللغة المتزنة بين الأصالة والواقع هي ما يحتاج إليه الخطاب الديني في باكستان لتجاوز الجمود من جهة، والاغتراب الحداثي من جهة أخرى.

نماذج خطابية مستلهمة من النورسي للبيئة الباكستانية

تُعد رسائل النور مصدرًا غنيًا لبناء نماذج خطابية واقعية قابلة للتطبيق في البيئة الباكستانية، نظرًا

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الأول، ص: 35

2 النورسي، اللمعات، اللمعة الثانية عشرة، ص: 151

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص: 315

4 النورسي، الكلمات، الكلمة الرابعة والعشرون، ص: 303

للتشابه الكبير بين السياقين التركي والباكستاني من حيث الانقسام بين التدين التقليدي والعلمنة الزاحفة. فمثلًا، يُمكن استلهام النموذج التربوي الإيماني الذي اعتمده النورسي في مدارس "التفسير الإيماني"، لتطوير مناهج التعليم الديني في باكستان، وجعلها أقرب إلى واقع الطالب والباحث، بدل الاكتفاء بحفظ النصوص. يقول النورسي في ذلك:

"يجب أن يكون العلم وسيلة لفهم الإيمان، لا لحشو الأذهان بمصطلحات لا تُغيّر السلوك"[1].

كما يُمكن اقتباس نمط "الخطاب التأملي العقلي" الذي برع فيه النورسي، في خطب الجمعة والدروس المسجدية في باكستان. فبدل أن تكون الخطبة تكرارًا وعظيًا، تُصبح مساحة لتحفيز الفكر، وتحريك الروح، والربط بين الكون والدين، والعقل والوحي، كما قال:

"اجعل من خطبتك مرآةً يرى فيها السامع نفسه، ونافذة يرى بها ربه"[2].

كذلك، يُمكن بناء برامج إعلامية دعوية في باكستان مستوحاة من منهج النورسي، تجمع بين الطرح المعرفي، والبُعد الروحي، والاهتمام بالواقع، وهو ما فعله النورسي في مقاومته الفكرية للإلحاد والعلمانية الكمالية، من خلال رسائل كتبها تحت الرقابة والسجن والمنفى، ومع ذلك أثّرت في مئات الآلاف، كما قال:

"لستُ خطيبًا على منبر، بل أنا رسولُ المعاناة أكتب بالإيمان في زمنٍ تكلّم فيه الرصاص بدل الدعوة"[3].

وهذا النموذج الرسالي، يُعدّ مثالًا يُحتذى به للدعاة في باكستان، ليُحوّلوا خطابهم إلى أدوات إصلاح وتغيير حقيقية في زمن الأزمات.

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع السابع، ص: 177

2 النورسي، الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون، ص: 237

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثالث، ص: 88

الفصل الرابع: تحليل الانقسامات والعنف والتصوف البدعي والتغريب وتقديم الحلول الدعوية

و فيه تسعة مباحث

المبحث الأول: مبدأ النصح الشامل في فكر النورسي

المبحث الثاني: مظاهر الشقاق والعنف في الواقع الباكستاني

المبحث الثالث: البدائل السلمية في ضوء فكر النورسي

المبحث الرابع: موقف النورسي من التصوف المشروع

المبحث الخامس: مظاهر التصوف المنحرف في باكستان

المبحث السادس: إعادة تأهيل التصوف في ضوء فكر النورسي

المبحث السابع: مفهوم التغريب في منظور النورسي

المبحث الثامن: مظاهر التغريب بين شباب باكستان

المبحث التاسع: حلول نورية لتحصين الأجيال

يُعدّ الشقاق الداخلي والعنف المذهبي من أخطر التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية في باكستان، حيث أدّت النزاعات الطائفية إلى تمزيق الصفوف وتشويه صورة الإسلام في الداخل والخارج، وابتعاد الناس عن الدعاة والمؤسسات الدعوية. ومن هنا تظهر أهمية فكر سعيد النورسي، الذي أسّس دعوته على مبدأ النصح الرفق والاجتماع على المشتركات، رافضًا كل أشكال الصراع والعنف سواء كان مذهبيًا أو سياسيًا. فقد وجّه النورسي أتباعه إلى حفظ وحدة الأمة واحترام الخلاف المشروع، والتعامل بالحكمة مع المختلفين، انطلاقًا من قاعدة قرآنية جامعة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [1]. يناقش هذا الفصل ضرورة ترسيخ ثقافة النصح لا العنف في البيئة الباكستانية، عبر استلهام مواقف النورسي العملية والنظرية في بناء مجتمع دعوي متماسك وسلمي.

المبحث الأول: مبدأ النصح الشامل في فكر النورسي

النصح كمنهج للتغيير الاجتماعي في رسائل النور

تبنّى سعيد النورسي (رحمه الله) مبدأ النصح الشامل كوسيلة أساسية لإحداث تغيير اجتماعي عميق ومستدام، معتمدًا على منهج التذكير بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله تعالى ﴿ادْعُ إِلِىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [2]. وقد رفض النورسي منطق الثورة الصدامية أو العنف اللفظي في التغيير، وبدلًا من ذلك ركّز على تربية النفوس بالإيمان عبر خطاب النصح الهادئ المؤثر. يقول النورسي:

"ما دامت هذه الأمة لا تُصلحها السيوف، بل تصلحها الموعظة، فإن النصح الخالص هو أعظم الجهاد"[3].

فهو يرى أن النصح المحب الصادق يؤثّر في أعماق القلوب، ويقود المجتمع إلى التغيير من الداخل لا من الخارج.

وقد وضع النورسي هذا المفهوم قيد التطبيق في ظل أوضاع سياسية واجتماعية مضطربة، حيث واجه التيارات التغريبية والعلمنة لا بالصدام، بل بـ"النصح المؤسس على البيان والدليل"، كما عبّر عن ذلك في رسائله. يقول في موضع آخر:

> "إنّ الإنسان إذا لم يُنصح بلغة قلبه وعقله، فإنه لا يذعن مهما كانت القوة الخارجية"[4].

---

1 آل عمران: 103

2 النحل: 125

3 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة والعشرون، ص: 569

4 النورسي، اللمعات، اللمعة الخامسة عشرة، ص: 198

فالتغيير الحقيقي – في نظره – لا يتم إلا عندما يصبح النصح قيمة اجتماعية متجذرة تنبع من الإخلاص وحب الخير للناس، لا من الحقد أو الغلبة.

لقد جعل النورسي من النصح فريضة اجتماعية وسلوكًا يوميًا، ورأى أن مجتمعات المسلمين لا تنهض إلا إذا تحوّلت من التوبيخ واللعن إلى ثقافة النصح الراقي البنّاء. يقول:

"من ينصحك بحب، أفضل ممن يمدحك بنفاق. وإنّ الأمة الحية هي التي تحتضن النصيحة لا التي تنفر منها"[1].

وهذا التصور يتماشى تمامًا مع حاجة المجتمع الباكستاني المعاصر، الذي يعاني من شروخ فكرية وطائفية، ويحتاج إلى أسلوب إصلاحي نبوي قوامه النصح بالحكمة.

رفض التوبيخ العام والعدوان اللفظي

يُعد رفض النورسي للتوبيخ العام والعدوان اللفظي من أبرز مظاهر النضج الدعوي في فكره، إذ يرى أن الخطاب القائم على الإهانة والتجريح يُولّد النفور والعداوة بدل الهداية. ولذا، رفض ما يُسمى بـ"لعن الظالمين علنًا" في كل خطبة ودعاء، معتبراً أن ذلك يُفقد النصح روحه. قال:

"يا أخي، لا تلعن أهل الضلال على المنابر، بل وجّه إليهم دعوة محبة، فربما يسمعون، وربك يهدي من يشاء"[2].

وهذا الموقف يُمثل منعطفًا أخلاقيًا في التعامل مع المخالفين، ويؤسس لأدب الخطاب الدعوي المعاصر.

كما رأى النورسي أن التوبيخ العام يقتل الأمل ويُغذي العناد، خصوصًا إذا لم يكن هناك فرق واضح بين النصيحة وبين الشتم. ولهذا قال:

"التوبيخ بلا تفريق ولا حكمة يزيد الضال ضلالًا، ويُصمُّ أذنه عن الحق"[3].

ومن هنا، دعا إلى الفصل بين توجيه النقد البناء والنقد الهدّام، مؤكداً أن الخطاب الإسلامي يجب أن يتسم بالتأدب والرقي حتى مع المخالفين، مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [4].

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني، ص: 77

2 النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة والعشرون، ص: 394

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع السادس، ص: 162

4 البقرة: 83

ويُشير النورسي إلى أن العدوان اللفظي هو أحد مظاهر فشل الدعوة، لأنه يُثير الغرائز لا العقول، ويغلق أبواب التأثير. ولذلك أوصى طلابه قائلاً:

"إن لم تستطيعوا كبح الغضب في دعوتكم، فاصمتوا، فالصمت أبلغ من صراخ بلا أدب"[1].

وهذا التعليم التربوي الأخلاقي يمكن أن يُسهم في إصلاح الخطاب الديني في باكستان، الذي يعاني أحيانًا من الغلظة والحدة في مواجهة الآخر.

التركيز على إصلاح النفس قبل إصلاح الغير

ركز سعيد النورسي (رحمه الله) في مشروعه الإصلاحي على أن أولى خطوات التغيير تبدأ من النفس، وهو تأصيل قرآني عميق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [2]. ولذا جعل النورسي من إصلاح النفس شرطًا لإصلاح المجتمع، وحذّر من ظاهرة "الداعية المنفصل عن ذاته"، فقال:

"ابدأ بإصلاح قلبك، فإنّ القلب الذي لا يعرف الإخلاص لا يستطيع أن يهدي غيره"[3].

فهو يُربّي على الوعي الذاتي قبل الاندفاع الجماهيري.

ومن مظاهر هذا التوجه في فكر النورسي أنه يكثر من الحديث عن "الجهاد الأكبر"[4]، وهو جهاد النفس، مُقدمًا على جهاد الدعوة والمواجهة. يقول في إحدى شعاعاته:

"أعظم مجاهدة في هذا الزمان، أن تُنقّي نفسك من الأهواء والرياء، فبهذا فقط يُقبل كلامك عند الناس وعند الله"[5].

وقد اعتبر أن الداعية الذي لم يُهذّب نفسه سيكون خطابه وسيلة تنفير لا هداية، ولذلك ركّز

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة السادسة، ص: 78

2 الرعد: 11

3 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة عشرة، ص: 227

4 مصطلح "الجهاد الأكبر" ورد في بعض الروايات المنسوبة إلى النبي ﷺ، وأشهرها:"رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس."حكم الحديث:هذه الرواية مشهورة، لكنها ليست صحيحة من حيث السند.الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، بل هو ضعيف جدًا أو موضوع (كما بيّن أهل الحديث مثل ابن حجر، العراقي، الزركشي، وابن تيمية).قال العجلوني في كشف الخفاء:"رُوِيَ: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف، وقال الزركشي: لا أصل له."

5 النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص: 113

على تهذيب النية، ومحاسبة النفس، وتزكية الروح.

هذا المنهج يُعد حجر الأساس لأي مشروع إصلاحي في باكستان، حيث تنتشر الخطابات الدينية التي تهتم بإصلاح المجتمع دون أن تبدأ من القدوة الذاتية. والنورسي يُصحح هذا الخلل بقوله:

> "من لم يقدر على إصلاح نفسه، فكيف يطلب من الناس أن يتغيروا؟ هذا تناقض دعوي يُسقط المصداقية"[1].

ومن هنا، يُقدّم النورسي نموذج الداعية الصادق العامل القائم على إصلاح داخلي حقيقي، لا مجرد خطيب أو كاتب.

المبحث الثاني: مظاهر الشقاق والعنف في الواقع الباكستاني

الخطاب السياسي المتشدد ودوره في إثارة الفتنة

يُعدّ الخطاب السياسي المتشدد في باكستان أحد أهم الأسباب التي ساهمت في تفكيك البنية الاجتماعية وإشعال الفتن الطائفية والدينية، حيث لجأت بعض التيارات السياسية ذات الخلفية الدينية إلى توظيف الدين وسيلةً للصراع على السلطة، مما أدّى إلى تأجيج الانقسام بين أبناء المجتمع الواحد. وقد نبّه سعيد النورسي (رحمه الله) إلى خطورة تسييس الدين واستخدامه كأداة صراع، حيث قال: "إن استعمال الدين لأغراض سياسية يُضعف الدين، ويؤدي إلى نفور الناس منه، ويُسيء إلى قدسيته"[2]. وهذا التحذير المبكر ينطبق على واقع باكستان، حيث طغت المصلحة الحزبية على المصلحة الشرعية.

من جهة أخرى، أدّى هذا الخطاب المتشدد إلى إقصاء الآخر وتكفيره، ما ساهم في زيادة التوترات المجتمعية، وتحويل الخلاف السياسي إلى صراع ديني. وقد وصف النورسي هذا النوع من التوجهات بأنها "فتنة فكرية تهدف إلى تدمير الأمة من الداخل باسم الحق والدين، لكنها تُستخدم لخدمة الطغيان والأنانية السياسية" [3]. وقد نتج عن ذلك في السياق الباكستاني تراجع في الثقة بين مكونات المجتمع، وتفشي مشاعر العداء والانقسام بين التيارات الدينية.

وقد دعا النورسي في المقابل إلى الفصل بين العمل الدعوي والعمل السياسي المتنازع عليه، مؤكّدًا أن على الداعية أن يبقى على مسافة من الصراعات السياسية حفاظًا على نقاء خطابه وفاعلية دعوته. يقول: "إذا اختلطت الدعوة بالإيديولوجيات الحزبية، فقدت تأثيرها الروحي، وأصبحت وسيلة

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة العاشرة، ص: 122

2 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 405

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني، ص: 66

للخصومة لا للهداية"[1]. وهذا التنبيه مهم في ضوء ما تشهده باكستان من تسييس واسع للخطاب الديني، أدى إلى زعزعة الوحدة الإسلامية وإضعاف المشروع الدعوي.

النزاعات الطائفية والمذهبية وموقف الدعاة منها

تمثل النزاعات الطائفية والمذهبية أحد أبرز التحديات التي تواجه العمل الدعوي في باكستان، حيث تحوّل الخلاف الفقهي المشروع إلى صراع دموي أحيانًا، تدعمه مؤسسات ومنابر إعلامية ودينية تعمل على تأجيج الفتنة، مما أضعف صفّ المسلمين وهدّد السلم الأهلي. وقد اعتبر سعيد النورسي (رحمه الله) هذه الظاهرة من أخطر ما يُصيب الأمة، حيث قال: "إن الانشغال بالخلافات الطائفية في وقت يُهاجم فيه الإسلام من الخارج ضرب من الجهل المدمر"[2]. وقد جسّد هذا الرأي موقفًا صارمًا ضد التعصب المذهبي.

وقد دعا النورسي إلى التسامح بين المذاهب والاعتراف بالخلاف باعتباره تنوعًا رحيمًا لا تناقضًا مدمرًا، حيث قال: "الخلاف الفقهي رحمة، أما تحويله إلى عداوة فهو خيانة لأخوة الإسلام"[3]. كما ركّز على وحدة الأصول والعقيدة بين المسلمين، معتبرًا أن الشقاق في الفروع لا ينبغي أن يُفسد التعايش. ويُعد هذا المبدأ علاجًا حيويًا للوضع الباكستاني، حيث تتفاقم الانقسامات بسبب صراعات مذهبية تتغذّى من أطماع سياسية وطائفية.

أما عن موقف الدعاة، فقد شدّد النورسي على دورهم الإصلاحي، لا التحريضي، مؤكدًا أن الداعية يجب أن يكون "جسرًا بين القلوب لا جدارًا بين الطوائف"[4]. وقد وجّه طلابه إلى اجتناب الخوض في الخلافات المذهبية، والانشغال بدعوة الناس إلى الإيمان والأخلاق والتزكية، معتبرًا أن هذه هي الوظيفة الأصلية للداعية في زمن الفتن. وهذا النموذج يمثّل سبيلًا فعالًا للحد من النزاعات الطائفية في باكستان إذا ما تم اعتماده كموقف مؤسسي داخل المؤسسات الدينية.

أثر الصراعات الدينية على تعطيل الإصلاح

أدّت الصراعات الدينية، سواءً كانت بين الجماعات أو داخلها، إلى تعطيل مشاريع الإصلاح الحقيقي في المجتمع الباكستاني، حيث استُنزفت الطاقات في الجدل العقيم والخصومات، بدل أن تُوظف في التربية والتعليم والدعوة إلى الله. وقد عبّر النورسي عن هذا الأثر السلبي قائلًا: "إن النزاع بين أبناء

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة التاسعة، ص: 113

2 النورسي، الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون، ص: 517

3 النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة عشرة، ص: 181

4 النورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص: 156

الأمة يقطع الطريق على العمل الإصلاحي، ويُلهي الناس عن البناء الحقيقي للدين والخلق"[1]. وهو وصف دقيق لما آلت إليه الحالة الباكستانية من تعثّر بسبب هذه الصراعات.

لقد أسهمت هذه الخلافات أيضًا في تشويه صورة الدين إمام العامة، وجعلت الشباب ينفرون من التدين، لا سيما حين يرون رجال الدين منشغلين بالصراع لا بالتربية، وبالتحزّب لا بالتزكية. وقد نبّه النورسي إلى هذا الخطر، فقال: "إن الخصومات الدينية تُنفر الناس من الدين، وتجعلهم يظنون أن الإسلام دينُ شقاق لا رحمة"[2]. ومن هذا المنطلق، اعتبر أن الصراع الديني – حتى وإن ادّعى الدفاع عن الحق – قد يُفضي إلى نتائج عكسية.

كما أن هذا النوع من الصراعات أضعف قدرة الدعاة على التأثير، وعرّضهم لفقدان المصداقية في أعين الناس. ولذلك حذّر النورسي من أن "الاشتغال بالعداوات لا يترك مجالًا للإصلاح، والداعية الذي يفرّق لا يُصلح، بل يُفسد من حيث لا يدري"[3]. ومن هنا، فإن المشروع الإصلاحي في باكستان لا يمكن أن ينهض دون إخماد نيران الصراعات الدينية، والعودة إلى منهج قائم على الحكمة والموعظة الحسنة والاتحاد في الأصول الكبرى.

المبحث الثالث: البدائل السلمية في ضوء فكر النورسي

الحوار البناء بدل المواجهة العقيمة

شدّد سعيد النورسي (رحمه الله) في مشروعه الفكري والدعوي على قيمة الحوار البنّاء كأداة مركزية في تجنب النزاع وتجاوز الخلاف، واعتبره بديلاً نبيلاً عن المواجهة العقيمة التي لا تولّد إلا الفرقة والعداوة. كان يرى أن الإصلاح الحقيقي لا يكون بالقهر والقوة، وإنما عبر الكلمة الطيبة والمنطق الهادئ، يقول: "إن سلاحنا الوحيد هو المنطق والحقيقة، لا السيف والعنف، لأن طريق القرآن هو الإقناع لا الإكراه"[4]. ويعد هذا التوجه علاجاً ناجعاً في السياق الباكستاني حيث تشهد الساحة الدينية صراعات لفظية ومنهجية تُعيق أي حوار حقيقي.

كما دعا النورسي إلى استخدام الأسلوب الحواري مع الخصوم والمخالفين، مؤكداً على أن الحق لا يُفرض، بل يُعرض، وأن الرفق في الدعوة هو سُنة قرآنية لا تُخالف، قال: "إن الإقناع بالحكمة هو

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون، ص: 448

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص: 99

3 النورسي، اللمعات، اللمعة السادسة، ص: 86

4 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة عشرة، ص: 278

السبيل الوحيد لفتح العقول والقلوب، لأن القلوب لا تُفتح بالقوة بل بالرفق والموعظة"[1]. هذه القاعدة التربوية يمكن أن تُحدث تحولاً في الخطاب الديني الباكستاني إذا ما تم إدماجها في آليات الحوار بين الفرقاء.

وقد كان النورسي نفسه نموذجًا في هذا النوع من الخطاب، حيث تعامل مع خصومه الفكريين دون إقصاء أو عنف، واعتمد أسلوب الحجة الهادئة والرد العلمي الموزون، متمثلاً في قوله: "إننا لا نحارب أحدًا، بل نرد على الشبهات، وندعو إلى الإيمان، فإن لم يسمع الناس، لا نردّ إلا بالدعاء والكلمة الطيبة"[2]. هذا المبدأ، لو تَبَنّته المدارس الدعوية في باكستان، لأمكن التخفيف من حدة النزاعات الفكرية والطائفية عبر الحوار الرصين.

التربية الروحية كسلاح ضد العنف

من أبرز ما يميز مشروع سعيد النورسي (رحمه الله) الدعوي هو اعتماده على التربية الروحية والإيمانية كوسيلة أساسية في معالجة جذور العنف والانحراف، حيث رأى أن العنف ناتج عن فراغ روحي وفقدان الإيمان الحقيقي. يقول: "إن القلب الذي يمتلئ بنور الإيمان لا يعرف الغلّ ولا يحمل الضغينة، بل يُثمر رحمة وسلامًا حتى مع من يُخالفه"[3]. وهذا الاتجاه يقدّم بديلًا واقعيًا في السياق الباكستاني حيث تتزايد مظاهر العنف باسم الدين.

لقد أكّد النورسي أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من الداخل، من تزكية النفس وبناء الأخلاق، لا من سنّ القوانين أو فرض السلطة، فقال: "إن أول إصلاح ينبغي أن يقع في القلب، فإذا صلح القلب، صلح المجتمع، أما العنف فإنه يعمّق الفساد ويزيد الظلم"[4]. وهذا ينسجم مع حاجات الواقع الباكستاني الذي يحتاج إلى نهضة تربوية تعيد تربية الفرد على معاني الإيمان الحي بدل الخطاب التحريضي.

كما دعا النورسي إلى ترسيخ معاني الرضا، والصبر، والتسامح بوصفها من أعمدة التربية الروحية التي تقي من العنف والتمرد، وكتب: "من عرف ربه حقًا، لا يحمل سيفًا في وجه أخيه، بل يحمل له الرحمة والدعاء، لأن التزكية تُطهّر القلب من الحقد وتحوله إلى مرآة للرحمة الإلهية"[5]. ولهذا تُعدّ التربية الروحية في فكر النورسي ركيزة فعالة في مقاومة موجات العنف والتطرف التي تُهدد المجتمعات الإسلامية.

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة الخامسة عشرة، ص: 206

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني، ص: 62

3 النورسي، الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 299

4 النورسي، اللمعات، اللمعة السادسة، ص: 93

5 النورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص: 145

اقتراح نموذج إصلاحي للنصح ونبذ الفتنة في باكستان

قدّم النورسي نموذجًا إصلاحيًا فريدًا يقوم على ثلاث دعائم رئيسية: الإيمان، الأخوة، والعقل، وهو نموذج لا يواجه الفتنة بالقوة، بل يطفئها بالحكمة، ويُعالجها بالنصح المجرّد من الأهواء السياسية أو الطائفية. يقول: "إننا نحمل في أيدينا مصابيح النور، لا سيوف النار، لأن دعوتنا إصلاحية لا سياسية، تربوية لا حزبية، سلمية لا تصادمية"[1]. وهو اتجاه يدعو الدعاة في باكستان إلى التخلي عن أساليب التجريح والخصومة في سبيل خطاب إصلاحي جامع.

ويتأسس هذا النموذج أيضًا على مبدأ النصيحة كفريضة تربوية وليست سلاحًا للهجوم، إذ يُفرّق النورسي بين النصح الصادق وبين التجريح المغلف بثوب الإصلاح، فقال: "النصيحة لا تكون نابعة من الغضب، بل من الرحمة، ولا تهدف للإفحام بل للإيقاظ والإصلاح، ومن لم يكن قلبه رحيماً، لا يصلح أن يكون ناصحاً"[2]. وهذا النمط من النصح يعزز ثقافة السلام والتفاهم داخل المجتمعات.

وأخيرًا، يدعو النورسي إلى الوقوف ضد الفتنة لا بالفتنة، بل بالحكمة والإخلاص، إذ قال: "نحن لا نقابل من يُضلّ الناس بالسباب، بل نردّ عليه بنور الإيمان، ونترك الحكم لله، لأن إثارة الفتنة تُضاعف الباطل، أما مواجهته بالحكمة فتُبطل أثره"[3]. ومن هذا المنظور، يُمكن للنموذج النورسي أن يُساهم في تأسيس خطاب إصلاحي في باكستان، يُعلي من قيمة النصح البنّاء، ويرفض الصدام، ويُوحّد الجهود نحو التزكية والإصلاح الشامل.

المبحث الرابع: موقف النورسي من التصوف المشروع

التفريق بين التصوف السني والتصوف المبتدع

أولى سعيد النورسي (رحمه الله) أهمية كبرى لتمييز التصوف السني القائم على الكتاب والسنة عن التصوف المنحرف الذي تسربت إليه البدع والخرافات. فقد كان يرى أن التصوف في أصله طريق تربوي روحي هدفه تزكية النفس وتقوية الصلة بالله، بشرط أن لا يخرج عن ضوابط الشريعة. يقول في هذا السياق: "الطريقة ليست إلا وسيلة لتقوية الإيمان وتصفية القلب، وليست دينًا مستقلًا أو بديلًا عن الشريعة"[4]. بهذا التفريق يُبرز النورسي معيارًا قرآنيًا في الحكم على المناهج الصوفية.

ويُشير النورسي إلى أن الانحراف لا يأتي من أصل التصوف وإنما من سلوك بعض المتصوفة الذين

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة والعشرون، ص: 472

2 النورسي، اللمعات، اللمعة العاشرة، ص: 134

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثالث، ص: 89

4 النورسي، اللمعات، اللمعة الثانية، ص: 42

تجاوزوا حدود الشريعة ووقعوا في الابتداع. فهو يقول منتقدًا من يُغفل التمييز بين الصحيح والمنحرف: "كما أن هناك سُكارى الخمر، يوجد أيضًا سُكارى التصوف الذين ظنوا أن الهذيان من مقامات الولاية، بينما هو غفلة عن الشريعة" [1].. وبهذا يحدد أن أصل الفساد ليس التصوف ذاته، بل تأويلاته المغلوطة.

وقد امتاز فكر النورسي بنظرة عادلة ومعتدلة تجاه الطرق الصوفية، فلم يطلق الحكم العام عليها بالضلال، بل دعا إلى الإصلاح الداخلي لها، فقال: "الطرق الصوفية إن بقيت في دائرة الشريعة، فإنها من أنوار الإيمان، وإن خرجت عنها، صارت ظلامًا مضلًا، فالمعيار هو السنة النبوية"[2]. إن هذا التفريق مهم جدًا في السياق الباكستاني الذي يعاني من اختلاط المفاهيم حول التصوف بين مؤيد ومُجَرّح.

الدور الروحي الإيجابي للتصوف في إصلاح النفس

أكد النورسي أن التصوف السني المعتدل يُمكن أن يؤدي دورًا إيجابيًا في إصلاح النفس وتزكيتها، إذا ما التزم بأصول الإيمان، وظل مرتبطًا بمرجعية الشريعة. فهو لا ينكر فضل كثير من الأولياء والزهاد الذين سلكوا طريق التصوف الصحيح، بل يدعو إلى الاقتداء بهم في إخلاصهم وتقواهم، ويقول: "الولي الصادق هو من جاهد نفسه أولًا، ثم وجّه غيره إلى الصدق والطهارة الروحية"[3]. وهذا يدل على أن التصوف الحقيقي هو تربية لا رياء، وتهذيب لا ادعاء.

يرى النورسي أن وظيفة التصوف الأساسية هي التزكية من الداخل، وتحقيق التوجه الصادق إلى الله، خصوصًا في وقت ضعف الإيمان وانتشار الماديات، ويقول: "الزمن الحالي لا يتحمل المجادلات الكلامية، وإنما يحتاج إلى غذاء روحي يُنعش الإيمان ويُثبت اليقين، وهذا ما تقدمه الطرق السنية إذا التزمت بالشرع"[4]. وفي هذا تأييد ضمني للدور التربوي لبعض الطرق الصوفية التي ما تزال متمسكة بالكتاب والسنة.

ومن الجدير بالذكر أن النورسي نفسه استفاد من التجربة الروحية لبعض رموز التصوف، مثل الإمام الغزالي والشيخ عبد القادر الجيلاني، لكنه دعا إلى تجاوز مرحلة الانعزال، والانخراط في جهاد الإيمان والعقل، فقال: "زماننا ليس زمان الزهد الفردي، بل هو زمان العمل الجماعي لحماية العقيدة والإيمان، وهذا يتطلب أن نربط بين الروح والعقل في سبيل الدعوة"[5]. هذه الرؤية تُفيد باكستان المعاصرة في ربط الروح بالإصلاح المجتمعي الواقعي.

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الأول، ص: 33

2 النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة عشرة، ص: 212

3 النورسي، اللمعات، اللمعة التاسعة، ص: 128

4 النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص: 61

5 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 312

نقد النورسي للغلو في الكرامات والطقوس

أبدى النورسي موقفًا ناقدًا بوضوح تجاه مظاهر الغلو في الكرامات والطقوس التي ظهرت في بعض الطرق الصوفية، معتبراً ذلك انحرافًا عن جوهر التصوف النبوي، ومصدرًا لتزييف الإيمان، فقال: "إن كثرة الحديث عن الكرامات يُفسد نية السالك، ويصرفه عن مراقبة الله إلى مراقبة الناس"[1]. فالنورسي يُعلي من قيمة الإخلاص والعمل الصامت على حساب المظاهر الطقسية المبالغ فيها.

وقد هاجم النورسي التعلق بالكرامات كدليل على القرب من الله، فقال: "الكرامة ليست معيارًا للحقيقة، فكم من أولياء مزيفين نالوا إعجاب الناس بالكرامات، لكنهم فشلوا في صدق العبادة وطهارة القلب"[2]. ويؤكد أن أكبر كرامة هي الاستقامة، مستدلًا بقول الإمام الجنيد: "الكرامة الكبرى هي الاستقامة". ويستفاد من ذلك أن سلوك الطرق الصوفية في باكستان ينبغي أن يُعيد ترتيب أولوياته.

كما رفض النورسي الطقوس التي تُؤدى دون فهم أو دليل شرعي، مثل الرقص والدوران الصوفي، واعتبرها تشويهاً لمعاني الذكر، فقال: "الذكر الحق هو الذي يُحرك القلب بالخشية، لا الذي يُثير الجسد بالحركات، فليس كل حركة ذكرًا، وليس كل صيحة خشية"[3]. وهذا النقد يضع الأساس لفهم واعٍ للتصوف كعبادة عميقة لا طقوس سطحية.

المبحث الخامس: الغلو فى التصوف في باكستان

الخرافة والشعوذة باسم "الولاية"

من أبرز مظاهر الانحراف في التصوف المنتشر في بعض مناطق باكستان هو انتشار الخرافات والشعوذة تحت غطاء الولاية، حيث أصبح كثير من عوام المتصوفة يربطون الولاية بالتصرفات الخارقة، مثل معرفة الغيب، وعلاج الأمراض بوسائل غير شرعية، وادعاء كشف الأسرار. وقد انتقد سعيد النورسي (رحمه الله) هذا الفهم المغلوط للولاية بشدة، حيث قال: "ليس كل خرق للعادة كرامة، فقد تكون استدراجًا، وإن أولياء الله الحقيقيين يتوارون عن الناس ولا يدّعون الكرامات إلا مضطرين"[4]. هذا التحذير ينسحب بوضوح على ما يجري من شعوذة باسم التصوف في بعض مناطق باكستان.

ويضيف النورسي أن الكرامات ليست مقياسًا للولاية، بل هي اختبار لصحة العقيدة وصفاء النفس، قائلاً: "الكرامة ليست وسيلة للدعاية الشخصية، بل هي أمانة واختبار، ومن جعلها غاية فقد

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة السادسة، ص: 94

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثالث، ص: 79

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الرابعة عشرة، ص: 187

4 النورسي، اللمعات، اللمعة السابعة، ص: 102

خان الأمانة الروحية"[1]. وهذا الفكر يمثل دعوة واضحة للتصحيح العقدي في المجتمعات التي تقدّس الأشخاص دون ميزان العلم والعمل.

وفي السياق الباكستاني، انتشرت أضرحة يُنسب لأصحابها التصرف في الكون والشفاعة دون إذن، وهو ما يناقض التوحيد الخالص، حيث يُعلّق الناس التمائم ويزورون القبور معتقدين بنفع أصحابها دون الله. وقد صرّح النورسي أن هذه الممارسات "تُشوّه صورة الإسلام، وتفتح المجال للإلحاد والعلمانية في قلوب الشباب"[2]. وهذا النقد صريح للواقع الباكستاني الذي يحتاج إلى نهضة دعوية تنقي الدين من مظاهر الخرافة.

استغلال الطرق الصوفية للنفوذ السياسي والمالي

من الانحرافات الواضحة في التصوف الباكستاني أيضًا توظيف الطرق الصوفية لأغراض سياسية واقتصادية، حيث أصبحت بعض الزوايا الصوفية تُمارس دورًا حزبيًا يتنافى مع طبيعتها الروحية، وتحولت إلى مراكز نفوذ تستخدم الدين للسيطرة على أتباعها. وقد حذّر النورسي من خطورة تسخير الدين لمصالح الدنيا، وقال: "الدين إذا أُدخل في السياسة الدنيوية فُسد الدين أولًا، ثم فسد العالم، لأن السياسة تحوّل النية من الإخلاص إلى المصلحة"[3].

ويُضيف أن الطريق الصوفي يجب أن يكون وسيلة للوصول إلى الله، لا وسيلة للزعامات أو الأموال، قائلاً: "الطريقة إذا تحوّلت إلى مؤسسة دنيوية، فقدت روحها، وصار شيوخها طلاب دنيا لا دعاة آخرة"[4]. هذا النقد ينطبق على كثير من الزعامات الدينية في باكستان التي تستغل محبة العوام للدين في سبيل كسب النفوذ.

وقد نبه النورسي أيضًا إلى أن هذه الممارسات تُفقد التصوف مصداقيته، وتُحدث النفور بين الشباب من الدين، خاصة عندما يشهدون تنافس الشيوخ على الأموال والمناصب. ويقول: "حين تتحوّل الزوايا إلى شركات، يفقد القلب ثقته بالروح، ويضيع الصدق في ضجيج الرياء"[5]. لذا فإن تنقية التصوف من هذه المظاهر في باكستان ضرورة دعوية إصلاحية عاجلة.

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية والعشرون، ص: 278

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثاني، ص: 47

3 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة والعشرون، ص: 413

4 النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع، ص: 93

5 النورسي، اللمعات، اللمعة الحادية عشرة، ص: 167

الفصل بين التصوف والعمل الدعوي

ظاهرة أخرى خطيرة في التصوف الباكستاني هي فصل المتصوفة عن العمل الدعوي التربوي والاجتماعي، حيث انكفأ الكثير منهم على الذكر الفردي والاعتكاف الصوفي، واعتبروا ذلك كمالًا، بينما تركوا ميادين التعليم والدعوة والإصلاح، وهذا ما يُخالف هدي السلف. وقد قال النورسي موضحًا خطورة هذا الاتجاه: "الزهد إذا فصل عن العمل، صار عجزًا، وإن العزلة إذا خلت من الدعوة، صارت هروبًا من المسؤولية"[1]. هذا التوصيف ينطبق على حالة كثير من الصوفية الباكستانيين الذين لا يحملون همّ الإصلاح العام.

كان النورسي نفسه نموذجًا للصوفي المجاهد، الذي جمع بين العبادة والتعليم والدعوة والمقاومة الفكرية، وهو يرفض أن يتحول التصوف إلى حالة فردية مجردة من المسؤولية المجتمعية. وقد قال: "الإيمان يقتضي العمل، والدعوة إلى الله جزء من الشكر على الهداية، فكيف يرضى المؤمن أن يعبد الله وحده ويترك إخوانه للضلال؟"[2]. هذا الموقف يُقدم نقدًا عمليًا للتصوف المنفصل عن واجب البلاغ.

وفي السياق الباكستاني، فإن كثيرًا من الطرق الصوفية لا تملك منابر تعليمية قوية، ولا تشارك في الخطاب المعاصر أو الإصلاح المدني، بل تكتفي بإقامة الحلقات والموالد والإنشاد. وقد بيّن النورسي أن مثل هذا الانكفاء هو نوع من "الهروب الروحي المزيف"، قائلاً: "الدين الذي لا يحرك ضمير الأمة، لا يُسمى دينًا، بل هو تقليد ساكن يُرضي النفس ولا يُصلح الواقع"[3]. إن دعوة النورسي تُلزم العاملين في التصوف الباكستاني بمراجعة منهجهم في ضوء هذه المبادئ.

المبحث السادس: إعادة تأهيل التصوف في ضوء فكر النورسي

يُعد التصوف من أبرز الظواهر الدينية التي أثرت في الوجدان الإسلامي، خاصة في المجتمعات الشرقية ومنها المجتمع الباكستاني. ومع مرور الزمن، شهد التصوف تحولات متعددة، منها ما حافظ على جوهره التربوي والروحي، ومنها ما انحرف نحو المظاهر الطقوسية أو النزعات الفردية التي أبعدته عن أهدافه الأصلية في إصلاح النفس وخدمة الأمة. وفي ظل هذه التحديات، برزت الحاجة الملحة إلى تجديد الخطاب الصوفي وتوجيهه نحو مقاصده الشرعية والاجتماعية.

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة والعشرون، ص: 354

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع السادس، ص: 132

3 النورسي، اللمعات، اللمعة الثانية عشرة، ص: 189

ترشيد الروحانية وتوجيهها لخدمة الدعوة

اهتمّ سعيد النورسي (رحمه الله) بترشيد الروحانية وتطهيرها من النزعات الفردية، حيث أكّد أن التصوف ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة للتقرب إلى الله تعالى وخدمة دينه. وقد قال: "الروحانية ليست اعتزالًا عن الحياة، بل هي طاقة إيمانية إن استُثمرت في سبيل الدعوة كانت من أنفع الوسائل لإصلاح المجتمع"[1]. في هذا السياق، فإن التصوف الباكستاني بحاجة إلى إعادة توجيه روحانيته نحو أهداف دعوية جماعية بدلًا من الانكفاء على الخلاص الفردي.

وقد أشار النورسي إلى أن الروحانية إذا لم ترتبط بالإيمان والعمل، قد تنحرف إلى خيالات نفسية لا تثمر عملًا صالحًا، وقال: "الوجد الذي لا يثمر يقينًا ولا يحرك عزمًا، هو انفعال نفسي لا علاقة له بالإحسان الحقيقي"[2]. هذه الرؤية تصحّح كثيرًا من المفاهيم المنتشرة في بعض الأوساط الصوفية الباكستانية التي تعتبر الذكر والعزلة أعلى من الجهاد العلمي والدعوي.

لقد بيّن النورسي أن الروحانية المؤصلة يمكن أن تكون قوة محركة للدعوة، إذا ما ارتبطت بالعلم والتضحية، فقال: "إن السالك الذي يسلك طريق الفناء في الله حقًا، يجب أن يكون حاملًا لهمّ الأمة، ناشرًا لنور الإيمان، لا هاربًا في كهف الذات"[3]. وبالتالي، فإن إعادة تأهيل التصوف في باكستان يتطلب ترشيد الروحانية وربطها بمشروع إصلاحي جماعي يخدم الرسالة المحمدية.

التزكية العلمية بديلًا عن الطقوس الظاهرية

أحد الملامح الجوهرية في فكر النورسي هو تأكيده على الارتباط بين التزكية والعلم، وتقديمه التزكية العلمية العقلانية كبديل للتزكية المبنية على الطقوس الظاهرية الشكلية. يقول النورسي: "ليس المقصود من التصوف كثرة الأوراد والحركات، بل هو تخلية النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل على أساس من الإيمان والعقل"[4]. هذا التصور يُعَدّ نقدًا صريحًا للمنهج الطقوسي المهيمن على كثير من الطرق الصوفية في باكستان.

وقد أكّد النورسي أن تزكية النفس لا تتحقق إلا بالعلم النافع، ومجاهدة الهوى، والعمل الصالح، فقال: "إن السبيل إلى صفاء النفس لا يمر عبر مجرد الذكر اللساني، بل يحتاج إلى إيمان صحيح، وفهم عميق، وعمل صادق، وإخلاص نقي"[5]. هذه النظرة تجعل التصوف جزءًا من المنهج التربوي الإسلامي

---

1 النورسي، اللمعات، اللمعة الثامنة، ص: 119

2 النورسي، الكلمات، الكلمة العشرون، ص: 247

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع الثالث، ص: 88

4 النورسي، اللمعات، اللمعة الثانية، ص: 53

5 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والثلاثون، ص: 521

المتكامل، لا مجرد تجربة وجدانية خاصة.

إن النورسي يدعو إلى تحويل مجالس الذكر إلى مدارس للعلم والعمل، حيث قال: "من يجعل الزوايا موضعًا للعبادات الشكلية فقط، فقد عطل الرسالة العلمية للتصوف، وجعلها في خدمة الركود الفكري والديني"[1]. ولهذا فإن تجديد التصوف في باكستان يتطلب تجاوز الطقوس الظاهرية والانطلاق نحو التزكية المعرفية التي تعزز الفهم وتثبّت الإيمان وتبني الإرادة.

تطبيق المنهج الروحي النورسي في التصوف الباكستاني

يدعو سعيد النورسي (رحمه الله) إلى تطبيق منهج روحاني متوازن يقوم على أساس العقيدة الراسخة، والعمل الدعوي، والتزكية المتكاملة، وقد قدّم هذا المنهج عمليًا من خلال رسائل النور، التي جمعت بين التهذيب الروحي، والتحليل العقلي، والموقف الدعوي. يقول النورسي: "منهجنا مبني على العقل والإيمان، ويستمد من النور المحمدي، ويهدف إلى إحياء الدين في القلوب والعقول معًا"[2]. إن هذا المنهج يصلح ليكون بديلاً حضاريًا للتصوف المتكلّس في باكستان.

لقد أثبتت تجربة النورسي أن التزكية الروحية لا تتعارض مع المقاومة الفكرية والاجتماعية، بل إن الروحانية المحمدية تُولد طاقة إصلاحية إذا ارتبطت بالوحي والعقل. وقد قال في أحد المواضع: "التصوف السني الحقيقي لا يكتفي بالعزلة ولا الذكر، بل يتحرك لإصلاح الأمة وتنوير العقول وتعزيز الإيمان"[3]. وهذا يقدّم نموذجًا عمليًا لما ينبغي أن يكون عليه التصوف في السياق الباكستاني.

ولتطبيق المنهج النورسي في باكستان، يجب أولًا إعادة النظر في المقررات التعليمية داخل الزوايا والخانقاهات، وربطها بفهم القرآن والسنة والعقيدة السليمة. كما ينبغي تكوين قيادات صوفية ذات علم راسخ وإخلاص حقيقي، تسهم في نشر الوعي بدلًا من ترويج الكرامات والطقوس. وقد عبّر النورسي عن هذا بقوله: "القائد الروحي الحق هو من يحيي القلوب بنور الإيمان، لا من يُسحر العقول بلباس الزهد المزيف"[4]. وهذا القول يلخص المطلوب من التجديد الصوفي المنشود.

---

1 النورسي، الشعاعات، الشعاع الخامس، ص: 109

2 النورسي، الكلمات، الكلمة التاسعة عشرة، ص: 209

3 النورسي، الشعاعات، الشعاع السابع، ص: 173

4 النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة، ص: 87

المبحث السابع: مفهوم التغريب في منظور النورسي

التغريب الثقافي والتقليد الأعمى للغرب

يرى سعيد النورسي (رحمه الله) أن التغريب لا يقتصر على مظاهر اللباس أو اللغة، بل هو اختراق فكري وثقافي يسعى لتفريغ الأمة من محتواها العقدي والأخلاقي. وقد حذّر النورسي من التقليد الأعمى للغرب، واعتبره من أعظم أسباب انهيار الهوية الإسلامية، حيث قال: "التقليد الأعمى لحضارة لا تؤمن بالله ولا بالآخرة، هو إلغاء للعقل وموت للضمير، وطمس لمعاني الفطرة السليمة"[1]. بهذا يشير إلى أن التغريب الثقافي يمس جوهر الإنسان المسلم ويفقده وعيه بذاته وتاريخه.

ويُبيّن النورسي أن الأمة الإسلامية، حينما تبهرت بالحضارة الغربية المادية بعد سقوط الخلافة، أصبحت تستورد نماذجها الفكرية والتربوية بلا تمحيص، مما أدى إلى خلخلة المفاهيم العقدية وظهور أجيال مشوشة الهوية. يقول: "لقد أصبح أبناؤنا يعتقدون أن التقدّم يعني نزع الحياء، وأن الحضارة تعني التحرر من الدين، وذلك نتيجة التقليد الساذج للغرب"[2]. من هنا يتضح أن التغريب في نظر النورسي ليس مجرد تفاعل ثقافي، بل هو عدوان على بنية القيم.

كما يشير إلى أن التغريب يحمل في طياته صراعًا خفيًا بين المادية الغربية والإيمان الإسلامي، فيقول: "من يقلّد الغرب في ظاهره دون وعي بجذوره العقدية، فإنه يزرع في ذاته بذور التمرد على الإيمان، حتى دون أن يشعر"[3]. وهذا يفرض ضرورة تبصير الأجيال الجديدة بمخاطر التغريب وتحصينها معرفيًا وروحيًا ضد الغزو الثقافي.

الرد العقلي والوجداني على فلسفات الحداثة

اتخذ سعيد النورسي (رحمه الله) منهجًا متوازنًا في نقد الفلسفات الغربية الحداثية، حيث لم يكتفِ بالرفض المجرد، بل قدّم ردودًا عقلية وروحية مبنية على أساس الإيمان والتأمل في الوجود. فكان يؤمن بأن أخطر ما في الفلسفة المادية هو محاولتها نفي المعنى والغاية من الوجود، فقال: "الفلسفة التي لا تعترف بالخالق تجعل الإنسان تائهًا في كونٍ بلا رب، وتسلبه الأمن والطمأنينة الداخلية" بذلك، فإن النورسي لا يهاجم الفلسفة من منطلق ديني صرف، بل يكشف تناقضاتها الذاتية.

وقد واجه النورسي تيارات مثل الوضعية (Positivism) والداروينية (Darwinism)

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: 373

2 النورسي، الشعاعات، الشعاع الأول، ص: 45

3 النورسي، الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون، ص: 427

بأدلة عقلية ووجدانية، حيث قال: "أي عقل يقبل أن هذا الكون الدقيق المنظم ظهر بلا قصد ولا صانع؟ إن العقل السليم يرفض الصدفة كما يرفض العبث"[1]. هذا النوع من الرد العقلي يعد أسلوبًا فعالًا لتحصين الأجيال المثقفة التي قد تتأثر بالشبهات الفلسفية المنتشرة.

أما من الناحية الوجدانية، فقد خاطب النورسي الفطرة البشرية التي تتوق للمعنى، فقال: "القلب لا يطمئن بالمعرفة الجافة ولا بالفكر البارد، بل يأنس بنور الإيمان، ويفرح حين يشعر بأنه مخلوق لمقصد سامٍ في هذا الكون"[2]. وهذا يدل على أن التصدي للتغريب لا يجب أن يكون عقلانيًا فقط، بل لا بد أن يلامس الوجدان ويستنهض الإيمان.

دعوة النورسي إلى المزج بين الإيمان والعقل

تقوم دعوة سعيد النورسي (رحمه الله) إلى مقاومة التغريب على مبدأ رئيس، وهو المزج المتكامل بين الإيمان والعقل، بعيدًا عن الثنائية المصطنعة التي يروجها التغريب بين الدين والعلم. حيث يقول: "العقل هدية من الله، لكنه يضلّ إذا لم ينر بالإيمان، فالعقل نور، والإيمان ضياء، وبهما معًا يرى الإنسان الحقيقة"[3]. هذا التصور يقدم بديلًا حضاريًا عن النموذج الغربي الذي يفصل الدين عن الحياة.

ويؤكد النورسي أن الإسلام لا يعارض العلم، بل يدعو إلى إعمال العقل، بشرط أن يكون خاضعًا للهداية الربانية، فيقول: "إن العلم إذا لم يهتد بنور الوحي، يصبح آلة في يد الأهواء، ووسيلةً للفتنة لا للرحمة"[4]. وبذلك يطرح رؤية تدمج الإيمان بالمعرفة، وتُخرِج جيلًا متوازنًا قادرًا على التعامل مع الواقع دون أن يفقد جذوره.

وقد طبّق النورسي هذا المبدأ عمليًا في رسائل النور التي كتبها بأسلوب عقلاني مقنع، موجّه للعقلاء والمثقفين، مستخدمًا لغة البرهان والاستدلال في توضيح معاني الإيمان. حيث قال: "هدفي أن أجعل من الإيمان علمًا، ومن العلم إيمانًا، وأن أزيل الفجوة بين القلب والعقل في فهم الدين"[5]. وهذا المنهج يمثل أساس تحصين الجيل الجديد من تأثيرات التغريب والعلمنة.

---

1 النورسي، الكلمات، الكلمة العاشرة، ص: 173

2 النورسي، اللمعات، اللمعة التاسعة، ص: 133

3 النورسي، الكلمات، الكلمة الثانية، ص: 45

4 النورسي، الشعاعات، الشعاع السادس، ص: 141

5 النورسي، اللمعات، اللمعة السادسة عشرة، ص: 211

المبحث الثامن: مظاهر التغريب بين شباب باكستان

الغزو الإعلامي والثقافي وآثاره على الهوية

يُعَدُّ الغزو الإعلامي والثقافي من أبرز مظاهر التغريب التي أصابت شباب باكستان، حيث أصبحت وسائل الإعلام الحديثة، خصوصًا القنوات الفضائية ومنصات التواصل الاجتماعي، أدوات فعالة في نقل القيم الغربية وأنماط الحياة المادية إلى المجتمعات الإسلامية. وقد حذّر سعيد النورسي (رحمه الله) من هذا النوع من التأثير الثقافي، حيث اعتبر الإعلام أداة يمكن أن تُستخدم إمّا للهداية أو للضلال، فقال: "إن وسائل النشر والتعليم إذا لم تُضبط بالهداية القرآنية، فإنها تُصبح سُمًّا زُعافًا يُفسد العقول ويُظلم القلوب"[1]. وهذا التحذير ينطبق تمامًا على واقع الشباب الذين يتأثرون يوميًا بمضامين إعلامية تمس القيم الدينية وتنشر ثقافة الاغتراب.

لقد لاحظنا أن الهوية الإسلامية لدى عدد كبير من شباب باكستان بدأت تتلاشى إمام طغيان النموذج الغربي المقدَّم عبر الإعلام، حيث يتماهى الشباب مع أنماط اللباس، الموسيقى، واللغة الأجنبية، مما يخلق لديهم نوعًا من الانفصام الثقافي. ويؤكد النورسي أن الخطر الحقيقي ليس في وجود الثقافة الغربية، بل في غياب البديل الإسلامي القوي الذي يُغني الشباب عن التقليد، ويقول: "حينما يُفقد النور الحق، ينخدع الناس ببريق الزيف، وإذا لم نُغذِّ قلوب الشباب بنور الإيمان، فستملأها الفلسفات المنحرفة"[2].

إن التحدي الأكبر الذي يواجه الشباب في هذا السياق هو التشويش على معاني العزة والهوية والانتماء. حيث يُربّي كثير منهم على أن الغرب هو النموذج الوحيد للتقدم، وأن الإسلام يتعارض مع الحداثة، وهو ما يناقض ما ذكره النورسي في قوله: "إن الحضارة الغربية ليست كلها شرًا، ولكن قبولها جملةً دون تمييز بين الحق والباطل هو عين الجهل والانقياد المذل"[3]. وعليه، فإن التصدي للغزو الإعلامي يتطلب ترشيد الإعلام، وتقديم نموذج ثقافي إسلامي جذاب ومتين.

التعليم العصري المنفصل عن الثوابت الدينية

أحد أبرز مظاهر التغريب في باكستان هو النظام التعليمي الحديث الذي غالبًا ما يُفصل بين المعارف الدنيوية والقيم الدينية، مما يؤدي إلى تكوين جيل يحمل كمًا معرفيًا تقنيًا، لكنه مفصول عن وعيه الروحي والأخلاقي. وقد وصف سعيد النورسي (رحمه الله) هذه الظاهرة منذ وقت مبكر، محذرًا من

---

1 النورسي، الشعاعات، ص: 145

2 النورسي، الكلمات، ص: 332

3 النورسي، اللمعات، ص: 94

نتائجها، حيث قال: "إن علماً لا يتصل بالإيمان لا يكون نورًا، بل يكون سُمًّا قاتلًا يفسد القلب والعقل معًا"[1]. وهذا التوصيف ينطبق على كثير من مؤسسات التعليم العالي في باكستان، حيث تُدرّس العلوم الطبيعية والاجتماعية بمعزل تام عن المرجعية الإسلامية.

إن غياب التعليم الديني المتوازن عن المنهج الدراسي يخلق فجوة معرفية خطيرة لدى الشباب، تؤدي إلى ضعف التصور العقدي وخلل في رؤية الوجود والحياة. وقد تناول النورسي هذه الإشكالية في بيانه الشهير حول ضرورة دمج العلم بالدين، فقال: "يجب أن يُدرَّس في المدارس العلم مع الإيمان، والقرآن مع الكيمياء، والتفسير مع الرياضيات، حتى لا ينشأ الإنسان ناقصًا في أحد جناحيه"[2]. لذا فإن التغريب في هذا السياق يتمثل في سلخ التعليم عن رسالته الروحية، وتحويله إلى مجرد وسيلة لكسب مادي بلا هدف أخلاقي.

ولعل أخطر ما في التعليم العصري المنفصل عن الثوابت هو تنشئة عقلية مادية محضة تُقيس النجاح بالوظيفة والدخل فقط، وتُقصي مقاصد الدين من حياة المتعلم. وهذا ما عبّر عنه النورسي حين قال: "إذا فُصل العقل عن الإيمان، صار آلةً خطيرة تُستخدم في الشر أكثر من الخير، أما إذا اقترن بنور الوحي، فإنه يصنع الحضارة الراشدة" [3]. ومن هنا تظهر الحاجة الملحّة لإصلاح النظام التعليمي في باكستان بإعادة ربطه بثوابت الأمة العقدية.

فقدان القدوة الفكرية في البيئة الجامعية

تُعاني البيئة الجامعية في باكستان من أزمة عميقة في غياب القدوات الفكرية والدينية التي تُلهم الشباب وتوجههم نحو المعاني السامية، مما يجعلهم فريسة سهلة لأفكار التغريب والانبهار الأعمى بالحضارة الغربية. يُشير النورسي إلى خطورة هذه الحالة حين يقول: "الشباب إذا لم يجدوا في بيئتهم قدوة صالحة، فإنهم يقلّدون كل ما يرونه براقًا، ولو كان ضارًا، لأنهم يطلبون المثال قبل أن يطلبوا القول"[4]. ففقدان النموذج الراشد يُسهم في انحراف المفاهيم وتشوش القيم لدى الطلبة.

وقد أدى هذا الفراغ في القدوة إلى بروز شخصيات إعلامية وفكرية ذات ميول علمانية أو مادية تُقدَّم على أنها نماذج للنجاح والحرية، مما يخلق صراعًا داخليًا لدى الشباب بين ما تعلموه في بيوتهم من دين وأخلاق، وبين ما يشاهدونه في واقع جامعاتهم. ويشير النورسي إلى أن القدوة الصالحة أعظم من ألف محاضرة، حيث يقول: "إن سلوك العلماء الربانيين أبلغ من مواعظهم، لأن القلب يتأثر بالفعل أكثر

---

1 النورسي، اللمعات، ص: 88

2 النورسي، الشعاعات، ص: 211

3 النورسي، الكلمات، ص: 149

4 النورسي، الكلمات، ص: 393

من القول"[1].

ومن مظاهر فقدان القدوة أيضًا تراجع دور العلماء والدعاة داخل الحرم الجامعي، في مقابل تنامي تأثير الأساتذة ذوي الاتجاهات المتأثرة بالفكر الغربي. ويقول النورسي: "إذا لم يتقدم أهل الحق لتربية الجيل، فإن أهل الباطل لن يتركوا الساحة فارغة، بل يملؤونها بالفكر المشوه والسلوك المنحرف"[2]. ولذلك فإن أحد أهم أساليب مواجهة التغريب هو استعادة الدور التربوي للقدوة الراشدة في الأوساط العلمية والجامعية.

المبحث التاسع: حلول نورية لتحصين الأجيال

التربية الفكرية الإيمانية المزدوجة

إن التربية الفكرية الإيمانية المزدوجة تمثل منطلقًا مركزيًا في مشروع النورسي لتحصين الجيل الجديد من التأثيرات التغريبية، حيث دعا إلى تربية لا تفصل بين العقل والقلب، ولا بين الفكر والإيمان، بل توحّد بينهما توحيدًا متوازنًا. وقد أكّد النورسي هذا المعنى بقوله: "إن الإيمان الحقيقي لا يكون إيمانًا تقليديًا جامدًا، بل لا بد أن يكون إيمانًا نابعًا من التدبر العقلي، والتأمل في الكون، والانطلاق من النصوص الإلهية إلى إدراك المعاني الإيمانية في أعماق القلب والعقل معًا"[3]. وهذا يعني أن التربية التي تقتصر على العاطفة أو المعرفة المجردة، لا يمكنها أن تصنع جيلاً ثابتًا إمام عواصف التغريب.

وفي هذا السياق، ألحّ النورسي على أن يتم إحياء الإيمان في نفوس الشباب عبر مخاطبة عقولهم أولاً بالحجج العقلية والعلمية، ثم ترسيخ تلك المفاهيم في قلوبهم عبر التربية الروحية والسلوكية، فقال: "لا يكفي أن نُلقّن الإيمان تلقينًا، بل لا بد أن نُفهمه بالعقل والبرهان، ليكون راسخًا إمام الشبهات، ثابتًا عند الامتحانات، حيًا في مواجهة الإغواءات"[4]. فهذه التربية المزدوجة تجمع بين العقل والإلهام، وبين الحجة والذوق، وهو ما يجعلها حصنًا ضد الغزو الثقافي.

وهذه الرؤية ليست تنظيرية فحسب، بل ترجمها النورسي عمليًا في رسائل النور، التي لم تقتصر على تعليم العقائد، بل فسّرت الوجود والتاريخ والإنسان تفسيرًا ربانيًا عقليًا. ولذلك كتب يقول: "رسالتي ليست كتابًا من الكتب التقليدية، بل هي مدرسة روحية عقلية تُربي قارئها تربية شاملة في آنٍ

---

1 النورسي، الشعاعات، ص: 108

2 النورسي، اللمعات، ص: 163

3 النورسي، الكلمات، ص: 159

4 النورسي، الشعاعات، ص: 315

واحد"[1]. لذا، فإن التربية الفكرية الإيمانية المزدوجة تُعدّ أداة استراتيجية لتحصين الأجيال في باكستان من التمزق العقدي والتشويش الثقافي.

تقديم خطاب ديني عقلاني يجذب الشباب

من أبرز ما شدد عليه سعيد النورسي (رحمه الله) كحلّ جذري لمواجهة التغريب هو ضرورة تقديم خطاب ديني عقلاني يستوعب تساؤلات الشباب ويُقنع عقولهم ويُحرّك قلوبهم. إذ يرى أن التقليد الأعمى والجمود الفقهي لا يُلبي احتياجات الجيل المعاصر، بل قد يؤدي إلى النفور من الدين. وقد عبّر عن ذلك بقوله: "الخطاب الديني إن لم يكن عقلانيًا ومستنيرًا بنور الوحي، أصبح عائقًا إمام الهداية بدل أن يكون وسيلة إليها"[2]. وهذا يؤكد أن أسلوب تقديم الدين له أثر لا يقل عن مضمون الدين نفسه.

ويُشدد النورسي في العديد من رسائله على أن الدعوة إلى الإيمان في هذا العصر يجب أن تتسلّح باللغة العلمية والبراهين الفلسفية الرصينة، لا سيما إمام جيل باتت تغزوه الشكوك بسبب الاحتكاك بالثقافات الغربية والمذاهب الفكرية المادية. يقول: "الإيمان لا يُدافع عنه الآن بالكلمات الرنانة، بل بالبراهين الكونية، والقرائن العقلية، والتحليل الواقعي لحقائق الوجود"[3]. وهذا يُحتّم على الدعاة تطوير خطاباتهم بما يُقنع الشباب ويجذبهم بدل تنفيرهم.

والأهم في منهج النورسي أنه يُقدّم خطابًا دينياً لا يُقصي العقل، بل يُفعّله ضمن إطار الوحي، ويُوجّهه إلى استنتاج الإيمان من مظاهر الكون والخلق، لا من المسلّمات الجامدة. ولهذا يقول: "كل آية في الكون هي مرآة تعكس نور الله، وعلى الداعية أن يُرشد الشباب إلى هذه المرايا، حتى يروا جمال الدين فيها بأعينهم، لا بعيون غيرهم"[4]. وهذا هو الخطاب الذي تحتاجه الجامعات والمدارس والمجالس الشبابية في باكستان اليوم.

تفعيل دور المؤسسات التعليمية في غرس الثوابت

إن المؤسسات التعليمية تُعدّ من أهم أدوات التوجيه في المجتمع، وإذا لم تُفعَّل في خدمة الثوابت الإسلامية، فإنها قد تتحول إلى مراكز لبث الشكوك والأفكار التغريبية. وقد تنبه سعيد النورسي (رحمه الله) إلى هذه الخطورة منذ وقت مبكر، فقال: "المدارس والجامعات إما أن تكون قلاعًا للإيمان، أو جسورًا للتيارات الإلحادية، بحسب ما يُزرع فيها من فكر وقيم"[5]. ومن هنا تأتي أهمية غرس الثوابت

---

1 النورسي، اللمعات، ص: 78

2 النورسي، الكلمات، ص: 203

3 النورسي، الشعاعات، ص: 122

4 النورسي، اللمعات، ص: 134

5 النورسي، الكلمات، ص: 227

العقدية والأخلاقية ضمن المناهج التربوية والتعليمية.

وقد اقترح النورسي في رسائله أن يُعاد النظر في فلسفة التعليم لتصبح قائمة على الجمع بين "نور العلم" و"نور الإيمان"، حيث كتب: "ينبغي أن تُفتح مدارس تُعلّم الدين مع العلوم، والقرآن مع الفيزياء، والتفسير مع الرياضيات، ليكون المتعلم ذا جناحين، يطير بهما في فضاء الإيمان والمعرفة معًا"[1]. وهذا النموذج لا يزال غائبًا في كثير من المؤسسات التعليمية في باكستان، حيث يُفصل التعليم الديني عن التعليم الرسمي، مما يُنتج شبابًا ممزق الهوية.

إن تفعيل دور المؤسسات التعليمية لا يعني فقط تدريس بعض المواد الدينية، بل يتطلب إعادة صياغة المناخ الثقافي داخل المدرسة والجامعة ليكون بيئة تُغذّي الهوية الإسلامية، وتُقدّم للطلاب رموزًا فكرية وأخلاقية يحتذون بها. ويؤكد النورسي ذلك بقوله: "إذا كانت البيئة التعليمية تُهيئ للطلبة أجواءً نقية من القدوة والروحانية، فإنهم سيتشربون الحق دون حاجة إلى كثير من التلقين"[2]. ومن هنا تظهر الحاجة الملحة لإصلاح السياسات التعليمية وتوجيهها لخدمة ثوابت الأمة.

---

1 النورسي، الشعاعات، ص: 219

2 النورسي، اللمعات، ص: 191

خلاصة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبعد دراسة معمقة وتحليل دقيق لموضوع "القضايا الدعوية في باكستان وتحليلها من منظور رسائل النور لسعيد النورسي"، توصل البحث إلى عدد من النتائج والملاحظات المهمة التي تسلط الضوء على التحديات الدعوية في باكستان، وكيف يمكن الاستفادة من فكر الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) في التعامل معها. يشتمل هذا البحث على أربعة أبواب رئيسة، تضمنت فصولًا متنوعة تتكامل في تقديم رؤية دعوية متكاملة.

في الباب الأول، تم تخصيص الدراسة للتعريف بشخصية الإمام سعيد النورسي (رحمه الله) وسيرته الذاتية والعلمية والدعوية، مع تسليط الضوء على العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية التي أثرت في تكوين فكره. تم استعراض نشأته وتعليمه ورحلاته ومعاناته في سبيل الدعوة، ثم بيان حال الدولة العثمانية وسقوطها، وتأسيس الجمهورية التركية الحديثة، والأوضاع الدينية والفكرية في تلك المرحلة. كما عرضنا لنشأة رسائل النور، دوافع تأليفها، تركيبتها، أسلوبها البياني، وأثرها الكبير على المجتمع التركي والعالمي.

أما الباب الثاني، فقد خُصص لعرض منهج النورسي في الدعوة، حيث تم في فصوله بيان مفهوم الدعوة وأصولها الشرعية وخصائصها. ثم تناولت فصوله الأساليب التي استخدمها النورسي في دعوته، سواء الفكرية أو التربوية أو السلوكية، مع الإشارة إلى الوسائل الحديثة التي استثمرها في نقل رسالته. كما استعرض البحث المرتكزات الدعوية التي اعتمد عليها النورسي، والتحديات التي واجهها، وآثار منهجه في الواقع التركي والعالمي، ثم أُجري تقويم علمي شامل لذلك المنهج.

وفي الباب الثالث، انتقل البحث إلى استعراض وتحليل القضايا الدعوية الراهنة في باكستان، حيث تم تخصيص الفصل الأول للطائفية الدينية والصراعات السياسية، من حيث جذورها وآثارها، وارتباطها بالانقسام المذهبي. وفي الفصل الثاني تم تحليل مظاهر الغزو الفكري والتأثيرات الغربية في المجتمع الباكستاني. أما الفصل الثالث فناقش الأخطاء المنهجية في الخطاب الديني، والتركيز على الشكل دون المضمون، ثم ضرورة تجديد الخطاب. كما ناقش الفصل الرابع ظاهرة الانغماس في التصوف المنحرف، وأثره السلبي على البيئة الدعوية.

أما الفصل الخامس من هذا الباب، فقد تناول العنف الديني، من حيث أسبابه وآثاره، وضرورة تقديم بدائل سلمية. وخُتم الباب بفصل سادس ركّز على أثر التغريب على الجيل الجديد، شبابًا ونساءً، وبيّن التحديات الدعوية في هذا المجال، خاصة في ظل تداخل الهوية الثقافية والدينية مع الأفكار الغربية.

وفي الباب الرابع والأخير، تم تحليل تلك القضايا من خلال منظور سعيد النورسي (رحمه الله) في

رسائل النور. فكان الفصل الأول مخصصًا لتجديد صلة المسلمين بالقرآن الكريم، حيث شدد النورسي على مركزية القرآن وضرورة إعادة ربط المجتمع به. ثم في الفصل الثاني تناول البحث قضية الإرشاد والتبليغ بالأسلوب السلمي الخالي من العنف والجدل، مع بيان قابلية منهج النورسي للتطبيق في البيئة الباكستانية.

تناول الفصل الثالث من الباب الأخير تجديد الخطاب الديني، حيث أبرزت رسائل النور أسلوبًا فريدًا يتميز بالحكمة والموعظة الحسنة. ثم في الفصل الرابع عالج البحث مبدأ النصح ورفض الشقاق والعنف، من خلال استعراض المظاهر السلبية في المجتمع الباكستاني وتقديم بدائل إصلاحية. أما الفصل الخامس فناقش بعمق موقف النورسي من التصوف المشروع، مع دعوته إلى تنقية التصوف من البدع والشركيات، وهو أمر بالغ الأهمية في السياق الباكستاني.

الفصل السادس والأخير كان مخصصًا لتحصين الجيل الجديد من مظاهر التغريب، إذ وضع النورسي منهجًا تربويًا عميقًا لحماية الهوية الإسلامية لدى الشباب. وقد أظهرت نتائج هذا الفصل أهمية التربية الإيمانية وربط الشباب بالقيم الإسلامية بأسلوب عقلاني وروحي متوازن.

وقد تبين من خلال مجمل فصول هذا البحث أن القضايا الدعوية في باكستان لا يمكن علاجها من خلال الوسائل التقليدية وحدها، بل تحتاج إلى رؤى عميقة كما طرحها الإمام النورسي، تجمع بين الفهم الديني العميق والمعالجة السلمية الحضارية. كما ثبت أن فكر النورسي يحمل طاقة تجديدية يمكن تكييفها مع الواقع الباكستاني لإصلاح الانحرافات وتوجيه الخطاب الدعوي نحو الأثر الفعّال.

واختتامًا، فإن هذا البحث قد أظهر أن تجربة سعيد النورسي (رحمه الله) تمثل نموذجًا ناجحًا في مزاوجة العمل الدعوي بين الفكر والسلوك، وبين التربية والموعظة، وبين الدفاع عن القيم والبعد عن الصدام. لذا فإن الاستفادة من هذا الفكر تمثل ضرورة عملية للدعاة والمهتمين بالإصلاح في باكستان وسائر العالم الإسلامي.

نتائج البحث

1. يتبيّن من دراسة حياة سعيد النورسي (رحمه الله) وأحوال عصره أن مشروعه الدعوي لم يكن مجرد ردة فعل على الأوضاع السياسية والاجتماعية، بل كان مشروعاً إصلاحياً متكاملاً ينبع من تصور عقدي تربوي يهدف إلى إحياء الإيمان في النفوس، وذلك من خلال رسائل النور التي أسهمت في تجديد الفكر الإسلامي في تركيا والعالم الإسلامي.
2. يظهر من خلال دراسة منهج النورسي في الدعوة أن الدعوة عنده ليست صراعاً سياسياً أو خصومة فكرية، بل هي مشروع شامل يقوم على السلم، واللين، والحوار، ويهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع عبر بناء اليقين القلبي وترسيخ القيم الأخلاقية.
3. بيّنت الدراسة أن الأساليب التربوية والعملية التي استخدمها النورسي في رسائل النور تمثّل نموذجاً متجدداً في العمل الدعوي، حيث اعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة في مخاطبة العقول والقلوب، مع استخدام الوسائل العصرية في نشر الدعوة.
4. تُظهر الدراسة أن من أبرز القضايا الدعوية في باكستان: الطائفية الدينية والصراعات السياسية، والتي أدت إلى إضعاف وحدة الصف الدعوي وزيادة الانقسامات الفكرية والمذهبية.
5. تبيّن أن الفكر الغربي والغزو الثقافي تركا أثراً كبيراً على الوعي الديني للشباب والمرأة، مما ساهم في بروز حالة من الاغتراب الثقافي وضعف التمسك بالهوية الإسلامية.
6. أوضحت الدراسة أن من بين التحديات المنهجية وجود خطاب ديني سطحي، يركّز على الشكل دون المضمون، ويتسم بالإقصاء والعداء بدلاً من الحكمة والرحمة.
7. كشفت الدراسة عن انتشار مظاهر التصوف المنحرف، الذي أفرغ التصوف من حقيقته التزكوية، مما انعكس سلباً على العمل الدعوي الأصيل.
8. أكدت الدراسة أن العنف الديني أصبح مشكلة متفاقمة، أضعفت صورة الإسلام الدعوي الرحماني، وأدت إلى عزوف الشباب عن الالتزام الديني المعتدل.
9. أوضحت الدراسة أن المنهج النورسي يقدم حلولاً فعالة لتلك القضايا، من خلال إعادة ربط المسلمين بالقرآن الكريم، وتفعيل مبدأ السلم واللين في الخطاب الدعوي.
10. تبيّن أن معالجة الانقسامات والعنف تتطلب التركيز على النصح الشامل والحوار البناء، بعيداً عن العنف والصدام الفكري.

11. أوضحت الدراسة أن منهج النورسي يدعو إلى تنقية التصوف من البدع والانحرافات، وتوظيفه في تزكية النفوس، لا في تغييب العقول.

12. بيّنت الدراسة ضرورة تحصين الجيل الجديد ضد التغريب الثقافي والفكري، من خلال تعزيز الهوية الإسلامية القائمة على الفهم الوسطي والمنهج المتوازن.

التوصيات

1. يُوصى بإجراء دراسة تحليلية نقدية لترجمات رسائل النور إلى اللغة الأردية، للتحقق من مدى دقة الترجمة ونقل المفاهيم الفكرية والدعوية كما أرادها المؤلف.
2. يُقترح إدراج مختارات من رسائل النور في مناهج المدارس والجامعات الدينية في باكستان، لتزويد الطلبة بأسلوب متزن في الفهم الإيماني والدعوة الفكرية.
3. من المفيد إجراء دراسة مقارنة بين المنهج الدعوي لسعيد النورسي (رحمه الله) والمناهج المعتمدة لدى الجماعات الإسلامية الباكستانية، مثل جماعة الدعوة والتبليغ، للوقوف على الفروق والالتقاءات.
4. يُستحسن إجراء دراسة ميدانية (إمبريقية) حول أثر فكر النورسي في مقاومة التغريب الفكري والثقافي لدى الشباب الباكستاني، ومعرفة مدى قابليته للتطبيق العملي.
5. يُوصى بـ بحث تطبيقي حول إمكانية استثمار الفهم النورسي للتصوف في إصلاح الانحرافات الصوفية المنتشرة في المجتمع الباكستاني.
6. من الضروري القيام بمقارنة علمية بين فكر النورسي وفكر الحركات الإسلامية العالمية مثل الإخوان المسلمين والدعوة السلفية، لفهم طبيعة الاختلاف في الخطاب والوسائل.
7. يُقترح القيام بدراسة حول واقع المرأة الباكستانية الديني وإمكانات تعزيز دورها الإصلاحي في ضوء تصور النورسي لدور المرأة في المجتمع الإسلامي.
8. يُستحسن تحقيق دراسة علمية مقارنة بين مقاصد فكر سعيد النورسي (رحمه الله) ومقاصد الحركة الباكستانية عند تأسيس الدولة، وبيان نقاط الاشتراك في مقاربة الهوية الإسلامية.
9. من المفيد إجراء بحث حول إمكانية ربط التعليم الديني والتعليم العصري في باكستان من خلال فكر النورسي، بما يحقق التوازن بين الأصالة والمعاصرة في العملية التعليمية.
10. يُوصى بإجراء دراسة حول تفعيل وسائل الإعلام الحديثة في الدعوة الإسلامية من خلال ضوء رسائل النور، واستثمارها في إيصال الرسالة الإسلامية بأسلوب حضاري جذاب.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الترقيم	الآيات القرآنية	سورة وآية	الصفحة
.1	وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	البقرة: 143	60
.2	وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا	البقرة: 83	157
.3	قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ	آل عمران: 31	64
.4	وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ	آل عمران: 104	52
.5	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	آل عمران: 103	156
.6	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ	آل عمران: 187	52
.7	وَالصُّلْحُ خَيْرٌ	النساء: 128	56
.8	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ	المائدة: 2	57
.9	قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الأنعام: 162	58
.10	ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	يونس: 10	48
.11	وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ	هود: 88	55، 140
.12	قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي	يوسف: 108	52
.13	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا ...	الرعد: 11	158

.14	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ..	النحل: 36	62
.15	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحسان وَإِيتَاءِ ذِي..ٰ	النحل: 90	57
.16	ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	النحل: 125	51، 138، 156
.17	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	الأنبياء: 107	61
.18	وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ	الأحزاب: 4	48
.19	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	الأحزاب: 21	37، 64
.20	كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ.....	ص: 29	132
.21	قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي	الزمر: 14	63
.22	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا	فصلت: 33	52
.23	اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ	الشورى: 13	54
.24	وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ	الشورى: 52	55
.25	وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	الذاريات: 21	69
.26	قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا	الشمس: 9	38، 114
.27	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	البينة: 5	63
.28	قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ	الإخلاص: 1-4	62

فهرس الأحاديث النبوية

الترقيم	الاحاديث	الكتاب	الصفحة
.1	ألا وإن في الجسد مضغة	الجامع الصحيح	117
.2	أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ	الجامع الصحيح	56
.3	إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا	الجامع الصحيح	112
.4	إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	الجامع الصحيح	53
.5	إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى	الجامع الصحيح	64
.6	فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ	الجامع الصحيح	54
.7	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ...	صحيح مسلم	54
.8	اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ	صحيح مسلم	62
.9	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً	صحيح مسلم	54
.10	إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ	مسند أحمد	58
.11	إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ	سنن النسائى	61
.12	دع داعي اللبن	الاحاديث المختارة	49
.13	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين	كتاب السنة	65
.14	ما تَرَكْتُ شيئًا يُقَرِّبُكُمْ إلى اللهِ إلَّا وأمَرْتُكُمْ بهِ	المعجم الكبير	59

فهرس الأعلام

الترقيم	الأعلام	الصفحة
.1	إبرهيم محمد	34
.2	أبو الأعلى مودودى	94
.3	ابو الحسن على ندوى	96
.4	إحسان الهى ظهير	106
.5	جوسف سكاجت	91
.6	رؤوف شلبى	45
.7	سعد محمود حسين	85
.8	سعيد النورسى	9
.9	سكران وحيد	36
.10	عبد الرحيم المغذوى	45
.11	عبد الله بن يوسف إمام الحرمين	97
.12	فتح الله آفندى	11
.13	كرستن فئير	85
.14	محمد الغزالى	107
.15	محمد بن أبى بكر بن القيم الجوزية	50
.16	محمد بن البيانونى	44

.17	محمد عبد الرحمٰن	44
.18	محمود أحمد غازی	99
.19	محمود بن عمرو جار الله زمخشری	48
.20	مصطفی صبری	31
.21	مصطفی کمال اتاترک	20

فهرس الأماكن

الترقيم	الأماكن	الصفحة
.1	أفيون	16
.2	انقرة	21
.3	باكستان	30
.4	بايزيد	12
.5	بطليس	9
.6	بوردور	16
.7	التركية	10
.8	دنيزلي	16
.9	ديار بكر	11
.10	نورس	9
.11	وان	11

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد ابن حنبل، المسند (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001/1421)
2. البخاري، الجامع الصحيح (بولاق مصر: المطبعةالكبرى،1311)
3. بكير، حسن عبد الله، بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) وأثره فى الفكر والدعوة (دمشق: دار الشهاب1421ھ/2000ء)
4. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003/1424)
5. ابن تيمية، مجموع الفتاوى (السعودية: مكتبة ابن تيمية)
6. الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني (القاهرة: دار الكتاب العربي، 2000)
7. أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (دمشق: دار القلم، 1983)
8. الخضر حسين، محمد الدعوة إلى الإصلاح (رياض: المطبعة السلفية، 1346ھ)
9. الخطيب، محمد طاحون، مرشد الدعاة (قاهرة: دار المعرفة، 1981ء)
10. الرازي، ابوعبد الله محمد بن أبى بكر، مختار الصحاح (بيروت: المكتبةالعصرية، 1420/(1999
11. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيينى، تاج العروس من جواهر القاموس (بيروت: دار احياء التراث، 2001)
12. الزركلي، خير الدين، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)
13. الزمخشري، محمود بن عمرو جار الله، أساس البلاغة (بيروت: دار الفكر، 1399ھ / 1979م)
14. زيدان، عبد الحميد، انهيار الخلافة العثمانية (القاهرة: مكتبة وهبة، 1995)
15. أبو السعود، التخطيط للدعوة الإسلامية (مصر: دار التوفيق، 1992م)
16. سجستانى، أبو داود، سليمان بن أشعث، كتاب السنة (بيروت: المكتبةالعصرية)
17. الشاذلي، عبد الله بن يوسف، الدعوة والإنسان (طنطا: المكتبة القومية)
18. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات (القاهرة: دار المعرفة)

19. شلبي، رؤوف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (بيروت: دار القلم، 1982م)

20. صبري، مصطفى. الفكر الإسلامي الحديث في تركيا (إسطنبول: وقف النشر الإسلامي، 2010م)

21. صالحى، إحسان قاسم، صيقل الإسلام كليات رسائل النور (قاهرة: دار النيل 2010)

22. الطبرانى، سليمان بن أحمد بن ايوب، المعجم الكبير (رياض: دار الصميعى،1994/1415)

23. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيانفى تأويل آى القرآن (القاهرة: دار هجر، 2001م)

24. ظهير، إحسان إلهي، التصوف: المنشأ والمصادر (لاهور: مكتبة دار السلام، 1986)

25. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (تونس: الدار التونسية، 1978)

26. العثماني، محمد شفيع. واقع الشباب والدين في باكستان (كراتشي: مكتبة معارف القرآن، 2018)

27. العمار، حمد ناصر، نصوص الدعوة في القرآن، (دمشق: دار إشبيليا، 2002م)

28. غازى، محمود احمد، محاضرات حديث (لاہور: الفیصل ناشران وتاجران، 2015)

29. القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار الفكر)

30. القرضاوي، يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة (القاهرة: مكتبة وهبة، 2001)

31. القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (القاهرة: مكتبة وهبة، 1982)

32. القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (القاهرة: مكتبة وهبة)

33. ابن القيم، محمد بن أبى بكر، مدارج السالكين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م)

34. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998/1419)

35. كورقون، عبد الرحمن، العزلة والتجديد الفكري في حياة النورسي (إسطنبول: مركز الفكر الإسلامي، 2008)

36. الكيلانى، مال الدين فالح والصميدعى، زياد حمد، بديع الزمان سعيد النورسى قراءة جديدة فى فكره المستنير (قاهرة: دار الزنبقة 2013)

37. محمد أكرم، الاستعمار البريطاني في الهند وآثاره الفكرية والدينية (الرياض: دار المسلم، 2001)

38. مسلم، صحيح مسلم (بيروت: دار احياء التراث العربى، 1955/1374)

39. المغذوي، عبد الرحيم بن محمد، الأسس العلمية لمنهج الدعوة (الرياض: دار الخضارة،1431)

40. المقدسى، ضياء الدين ابوعبد الله محمد بن عبد الواحد، الأحاديث المختارة (بيروت: مكتبة النهضة الحديثة 2000/1420)

41. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر)

42. المودودي، أبو الأعلى. أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة (لاهور: ترجمان القرآن، 1961)

43. المودودی، أبوالأعلی، مسئلہ قومیت (لاہور: ترجمان القرآن، 1965)

44. أبو الأعلى المودودي، نظام الحياة في الإسلام (لاهور: ترجمان القرآن، 1956)

45. النجار، عبد الكريم، تاريخ الدولة العثمانية (دمشق: دار الفكر، 2001)

46. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائى (قاهرة: المكتبةالتجارية الكبرى، 1930/1348)

47. نصار، محمد نصار، الدولة العثمانية من النشأة إلى السقوط، (بيروت: دار النفائس، 2008)

48. النورسى، بديع الزمان سعيد، السيرة الذاتية (اسطنبول: شركة سوزلر للنشر، الطبعة السابعة 2013)

49. النورسي، سعيد، الشعاعات، (إستانبول: دار سوزلر، 2020)

50. النورسي، بديع الزمان سعيد صيقل الإسلام (شركة سوزلر للنشر، الطبعة السابعة 2013م)

51. النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات (إسطنبول: سوزلر للنشر، 2004)

52. النورسي، سعيد، اللمعات، (إستانبول: دار سوزلر، 2020)

53. النورسي، سعيد، المكتوبات (إسطنبول: دار سوزلر، 2004)

54. النووي، يحيٰ بن شرف، شرح صحيح مسلم (بيروت: دار احياء التراث العربى، 1392)

55. الواعي، توفيق، الدعوة إلى الله (الرياض: مكتبة الفلاح، 1986م)

56. يورت، أحمد، تقارير المحاكمات في حياة النورسي (إسطنبول: وقف النور، 2011)

57. يورت، أحمد، من هو بديع الزمان النورسي؟ (أنقرة: وقف النور، 2009)

58. يونس، عبد القادر، إلغاء الخلافة: من السلطنة إلى الجمهورية، (القاهرة: دار السلام،

(م2005

59. Bunyamin Duran, Islam and Muslims in the Post Secular Society, Tuesday 08 April 2008

60. Colin Turner, The Qur'an Revealed: A Critical Analysis of Said Nursi's Epistemology, (Oxford: Oxford Centre for Islamic Studies, 2009)

61. Fair, C. Christine. Fighting to the End: The Pakistan Army's Way of War. Oxford: Oxford University Press, 2014

62. Khalid Ahmad, Sectarian War: Pakistan's Sunni-Shia Violence and its Links to the Middle East (Karachi: Oxford University Press, 2011)

63. M. Hakan Yavuz, Islamic Political Identity in Turkey (Oxford: Oxford University Press, 2003)

64. Rahman, Fazlur. Islam and Modernity. Chicago: University of Chicago Press, 1982

65. Serif Mardin, Religion and Social Change in Modern Turkey: The Case of Bediuzzaman Said Nursi (Albany: SUNY Press, 1989)

66. Şükran Vahide, The Author of the Risale-i Nur: Bediuzzaman Said Nursi, (Istanbul: Sozler Publications, 2005)

67. Tariq Rahman, Denizens of Alien Worlds: A Study of Education, Inequality and Polarization in Pakistan (Karachi: Oxford University Press, 2004)

68. Thomas Michel, Insights from the Risale-i Nur: Said Nursi's Approach to Dialogue, in "Islam at the Crossroads", ed. Ibrahim Abu Rabi' (Albany: SUNY Press, 2003)